الجامعـــــــة الأردنيـــــــة
كليـة الدراسـات العليـــــا
قسم

٨٤٤
٥٥٢

رسالـة ماجستـــــير

تحت عنـــــوان

"أنمـــاط النشـر العراقي فـي القـــــرن

الثالـــث الهجـــرى"

١٧
٤١٦٥

اعـــــداد

الطالبـــة : ايمـان أحمـد اللّحـــام

اشـــراف

الأستاذ الدكتـور: محمـــود ابراهـيم

قدمـت هـذه الرسالـــة استكمـالا لمتطلبـات درجـة الماجستيـر فـي اللّغـة العربيـة وآدابها بكلّيـة الدراسات العليـا فـي الجامعـــة الأردنيّـــة .

التاريـخ ٢٦/ ١ / ١٩٩١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج

صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا "

صدق اللّه العظيم

"الاسراء: ٨٠"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــــــــداء

الـى الذيـــن تمتـدّ المحبّـة الـى قلوبهـم جســـــرا .....

يحمـــل آمالنـــا وطموحاتنـــا ويحلـــق بهـــــــــا .....

الـى أمـي وأبـي الكريمـــين لقـاء مـا تعبـا مـــن أجلـــي

وهيّـئا لـــي أسبـاب العمـل والبحـــــــــث .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الموضوعـــات

الموضـــوع	الصفحـــة
المقدمـــة :	١ ـ ٥
التمهيـــد :	٦ ـ ١٩
الفصـــل الأول :	
ـ عوامـل ازدهار النثر الفني في القرن الثالث الهجري:	٢٠ـ٢٢
ـ أنماط النثر العراقي في القرن الثالث الهجـــري :	
أ ـ الرسائـــل :	
١ . الاخوانيـــة:	٢٣ـ٣٠
٢ . الديوانيـــة:	٣١ـ٣٦
٣ . الخصائص الفنية للرسائل الاخوانية والديوانية:	٣٦ـ٤١
ب ـ الخطابـــة :	٤٢ـ٥٢
جـ ـ التوقيعـــات:	٥٣ـ٥٧
د ـ المؤلفات الأدبيـــة:	٥٨ـ٦١
هـ ـ المناظـــرات:	٦٢ـ٧٠
الفصـــل الثانـــي :	
ـ الكتّـاب وتنظيماتهم في القرن الثالث الهجـــري:	
١ . أحوال الكتّاب في القرن الثالث الهجـــري ومكانتهم ودورهم في المجتمـــع :	٧١ـ٩٤
٢ . كتّاب من رجال القرن الثالث الهجري وبعض نصوصهـــم :	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة

أ . سهل بن هارون: ٩٥ـ١٠١

ب . أبو العيناء: ١٠٢ـ١٠٩

جـ . ابن المعتز: ١١٠ـ١١٨

الفصل الثالث :

ـ السمات الفنية للنثر العراقي في القرن الثالث الهجري بين القديم والحديث :ـ

أ ـ المضمون السياسي والاجتماعي: ١١٩ـ١٢٢

ب ـ الموضوعات الأدبية: ١٢٣ـ١٢٧

جـ ـ الأسلوب واللغة: ١٢٨ـ١٣٩

د ـ الصورة والخيال: ١٤٠ـ١٥٠

هـ ـ الزخرف اللفظي: ١٥١ـ١٥٦

الخاتمة: ١٥٧ـ١٥٨

الفهارس: .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــة : ـ

الحمـد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعـــد : ـ

استرعى انتباهي في أثناء فترة دراستي وبحثي الجامعيّ ، أن كثيرا من الدارســين والمؤلفين في الميادين الأدبية ، كانوا ميالين الى ايثار الشعر والشعراء في دراستهم وبحوثهم ، أما النثر فكان أقلّ حظا في الدراسات الأدبية ، ولم ينل ما هو أهل له من الاهتمام. وقد حفزني ذلك على أن يكون النثر موضوع دراستي هذه . وكان عليّ بعدئذ أن أقيد البحث باطار زماني وجغرافي ، فحدّدت القرن الثالث الهجري زمنا ، والعراق مكانـــا .

وقد شجّعني على اختيار تلك الفترة بالذات وهي القرن الثالث الهجري ، أن الكتّاب العراقيين استطاعوا أن ينتجوا في هذا القرن نثرا غزير المادة ، لا يقلّ في تنوّع أغراضه وأشكاله عمّا نظمه الشعراء في تلك الفترة . وفضلا عن ذلك فان الدراسات التي ظهرت في العصر الحديث كانت عبارة عن دراسات وبحوث تناولت النثر العباسي عامة ، أو بعض الناثرين وكتبهم بشكل مستقل ، من مثل الدراسة التي قام بها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي بعنوان "ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان" . "ومحمد بن عبد الملك الزيات صاحب التنور" لمحمود الهجوسي ، "وأدب الجاحظ" لحسن السندوبي ، "وآل وهب" للدكتور يونس السامرائي .

من أجل ذلك أردت في هذه الدراسة أن أقدم صورة واضحة عن النثر الفني في العراق في القرن الثالث الهجري . وحدود العراق في القرن الثالث الهجري تبدأ من تكريت شمالا وتنتهي عند عبادان والبصرة والبحر جنوبا ، مرورا بسامراء وبغداد وواسط ومنطقة البطيحة والأهواز ، ومن أعالي هيت غربا حتى شهرزور وحلوان شرقا، مرورا بمدينة الأنبار ومنطقة ديالي وجلولاء وخانقين وقصر شيرين (١) .

(١) ينظر "المسالك والممالك" ، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، ١٩٦١م ، دارالقلم ، مصر ، ص٥٦ وما بعدها ، وأيضا "أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم" لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ، ط٢ ، ١٩٠٦م ، مطبعة بريل ، ليدن ، ص ١١٣، ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قسمت هذه الدراسة الى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

فبدأت في التمهيد بعرض سريع موجز للحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في القرن الثالث الهجري ، وبينت أنه على الرغم مما شهده المجتمع العراقي في تلك الفترة من تفكك وانحلال سياسي واجتماعي ، فقد ازدهرت الحضارة العربية الاسلامية في هذا القرن ازدهارا عظيما ، وارتقت الحياة الفكرية ارتقاء لم يعهد له مثيل قبل ذلك .

وقد عالجت في الفصل الأول النثر الفني في العراق ، والأسباب التي أدت الى ازدهاره من تشجيع رجال الدولة وعامة الناس وتقديرهم للنثر الفني ، والمكانة العالية للكتّاب ومدى ما وصلوا اليه من نفوذ وجاه وسلطان ، والمنافسة بين الكتّاب ، الى غير ذلك من الأسباب . ثم انتقلت الى الحديث عن أنماط النثر العباسي في الرسائل والخطب والتوقيعات والمؤلفات الأدبية والمناظرات ، مبينة السمات الفنية لكل منها ، وقد أبرزت لنا هذه الأنماط النثرية جوانب مهمة من اهتمامات الكتّاب والأدباء في القرن الثالث الهجري ، اضافة الى أنها قدمت لنا صورة حيّة عن تراثنا الأدبي في هذه الفترة .

وحرصت على أن يتكفل الفصل الثاني بالكشف عن حياة الكتّاب وتنظيماتهم ومكانتهم الاجتماعية والسياسية والأدبية في هذا القرن ، وذلك من أجل الاحاطة بالظروف الثقافية والاجتماعية التي أثرت على عقول كتّاب هذا القرن واتجاهاتهم . وقد عالج هذا الفصل مجموعة من النصوص النثرية لثلاثة من كتّاب هذا القرن وهم : سهل بن هارون ، وأبو العيناء ، وابن المعتز . وقد اخترت هذه النصوص لأنه يتبيّن فيها آثار الحياة الاجتماعية والفكرية للقرن الثالث الهجري ، وتتمثل فيها السمات الفنية السائدة لنثر ذلك القرن .

وفي الفصل الثالث رصدت تطور النثر الفني في العراق في القرن الثالث الهجري ، وتحدثت عن موضوعاته وعن سماته الفنية ، وقد قسمت هذا الفصل إلى : ـ

١ ـ الموضوعات ٢ ـ الأسلوب واللغة ٣ ـ الصورة والخيال
٤ ـ الزخرف اللفظي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وختمت الرسالة بالنتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة ، مما استطعت استخلاصه من خلال الفصول التي تحويها هذه الرسالة .

وقد تنوعت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في دراستي بين الأدبية والنقدية والتاريخية ، والقديم منها والحديث ، كما يتضح من مراجعة قائمة المصادر والمراجع المثبتة في نهاية هذا البحث. وجاءت مؤلفات الأدباء الذين عاشوا في العراق في القرن الثالث الهجري في مقدمة هذه المصادر، "كالبيان والتبيين" ، و"الحيوان" و "البخلاء" للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، و"عيون الأخبار" ، و "أدب الكاتب" لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، و "الكامل" و "التعازي والمراثي" و "الفاضل" و "كتاب البلاغة" للمبرد (ت ٢٨٥هـ) ، "والبديع" ، و "طبقات الشعراء" ، و "فصوص التماثيل في تباشير السرور" لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ، و "الموفقيات" للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) .

وتلتها في الأهمية المصادر التي عاش أصحابها في القرن الرابع الهجري ، ومن هذه المؤلفات "الوزراء والكتّاب" لابن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ) ، و "أدب الكتّاب" ، لأبي بكر الصولي (ت ٣٣٦هـ) ، و "مروج الذهب ومعادن الجوهر" ، و "التنبيه والاشراف" للمسعودي (ت ٣٤٥هـ) ، و "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) ، و "المصون في الأدب" لأبي أحمد العسكري (ت ٣٨٢هـ) ، و "مثالب الوزيرين" و "البصائر والذخائر" للتوحيدي (ت ٤٠٠هـ) .

وقد استعنت في دراستي — أيضا — بمؤلفات لكتّاب متأخرين نسبيا ، ولكني اعتمدت في هذه المؤلفات على كل خبر أسند لعراقيّ عاش في الفترة التي تنحصر فيها هذه الدراسة . وفي هذا الاطار يمكن تصنيف كتاب "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" ، و "خاص الخاص" و "التمثيل والمحاضرة" للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، و "زهر الآداب" و "جمع الجواهر" للحصري (ت ٤٥٣ هـ) ، و "صبح الأعشى في صناعة الانشا" للقلقشندي (ت ٨٢١هـ) .

ورجعت كذلك لعدد من المراجع التي تناولت أجزاء من موضوعي بمناهج مختلفة ، وقد سهلت هذه المراجع أمامي البحث ، وانتفعت بها بمقدار صلتها بموضوع الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكننا أن نقسم هذه المراجع والدراسات التي تتّصل بهذا البحث إلى ثلاثة أنواع —

١— دراسات كتبت في تاريخ الأدب العربي بصفة عامة ، شعره ونثره ، وهذا النوع من الدراسات يعنى بالتأريخ للأدب العربي ، عن طريق ابراز معالم تطوره الكبرى من ناحية الشكل والمحتوى . ومن هذه الدراسات "ملامح النثر العباسي" لعمر الدقاق ، و"تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني" لابراهيم أبو الخشب ، و"بلاغة الكتّاب في العصر العباسي" لمحمد نبيه حجاب ، و"تاريخ الأدب العربي" لكارل بروكلمان .

وقد ظلّت هذه الدراسات ضمن ما أريد لها من تعريف سريع موجز بالفنون الأدبية في فترات محدودة ، اذ لم تركز على نثر القرن الثالث الهجري في العراق بصورة خاصة .

٢— دراسات متخصصة في موضوع من موضوعات النثر العربي ، أو في اتجاه من اتجاهاته المختلفة . على نحو ما نرى في كل من كتاب د . احسان عباس "ملامح يونانية في الأدب العربي" ، و"تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول" لعيسى عاكوب ، و"مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري" لمحمد نبيه حجاب . وقد اهتم هؤلاء الدارسون بمادة بحثهم وتناولوها بشيء من التفصيل والاستقصاء ، فكشفوا لنا عن جوانب جديدة لم نكن نستطيع ادراكها في كتب تاريخ الأدب العامة .

٣— دراسات تتناول كاتبا أو كتّابا من كتّاب القرن الثالث الهجري . ويبدو على هذه الدراسات طابع الاختيار للرجال والنصوص ، حيث يعنى أصحابها غالبا بالكتّاب المشهورين ممن كثرت حولهم الأحاديث ، دون الوقوف عند المقلين أو المغمورين .

وليس الغرض من هذه الدراسة هو مجرد تتبّع الخصائص الفنية لنثر القرن الثالث الهجري ووصفها وتحليلها ، وانما الغرض الأساسي منها هو كذلك ابراز مكانة هذا النثر في تاريخ الأدب العربي ، وتبيين ما بينه وبين الحياة من صلات وثيقة ، والوقوف على التطورات التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرّ بها النثر العراقي خلال هذه الفترة من حكم العباسيين بعد أن دخلت في حياة العباسيين عوامل ثقافية ، وحضارية ، وفكرية متعددة المصادر . وما ترتب على ذلك من تغير في القيم الفنية التي كانت وراء الجديد في موضوعات النثر وأشكاله ، وتبيان الآثار المباشرة وغير المباشرة التي ترتّبت على ظهور الكتّاب باعتبارهم شخصيات لها مكانتها في تاريخ الأدب العربي.

وفي الختام وأنا أنهي هذه الكلمات أرجو أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في تقديم صورة واضحة للنثر العراقي في القرن الثالث الهجري من خلال نصوصه خاصة .

ومن الوفاء أن أسجل شكري الجزيل لأستاذي الكريم **الدكتور محمود ابراهيم** لقبوله الاشراف على هذه الرسالة ، ولما منحنيه من علمه ووقته وجميل ثقته ، فجزاه الله تعالى عني كل خير .

وأتقدّم بجزيل شكري الى **الدكتورة عصمة غوشة** ، **والدكتور صلاح جرار** اللّذين بذلا جهديهما في قراءة هذا البحث ثمّ لمناقشته ، بما يتطلّبه ذلك كله من وقت وانشغال ، وأتقدّم بالشكر أيضا لجميع الاخوة في مكتبة الجامعة الأردنية لما قدّموه لي من عون وتسهيلات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوضع السياسي في القرن الثالث الهجري : ـ

بايع المأمون بتحريض من وزيره وصاحب دعوته الفضل بن سهل [١] ، لداعية العلويين في خراسان علي بن موسى المعروف بعلي الرضا [٢] ، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم ، وزوجه ابنته أم حبيبة ، وأمر بخلع السواد ولبس الخضرة [٣] . وعندما بلغ ذلك الهاشميين ببغداد غضبوا وامتنعوا عن هذه البيعة التي تعني زوال الملك عن بني العباس الى ولد علي . فقاموا باخراج الحسن بن سهل [٤] ، خليفة المأمون على العراق ، وخلعوا المأمون ، وبايعوا

---

(١) الفضل بن سهل : أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي ، وزر للمأمون ، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه تقلد السيف والقلم . اجتمعت فيه فضائل عدة ، قتل سنة (٢٠٣هـ) . انظر وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين بن خلكان ، تحقيق د . احسان عباس ، ١٩٧٠م ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، جـ٣ ، ص ٤١ . وسير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، أشرف على تحقيقه شعيب الارنؤوط ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، جـ١٠ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) علي الرضا : أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين توفي سنة (٢٠٣هـ) ، وكان موته بالحمى وقيل انه أكل عنبا فأكثر منه ، وقيل بل كان العنب مسموما فاعتل منه ومات وعمره خمسون سنة . انظر وفيات الاعيان ، جـ٣ ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ . وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، دار المسيرة ، بيروت ، جـ٢ ، ص ٦ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ٥ ، ص ١٣٧ . وتاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، تحقيق محمد صادق ، ١٩٦٤م ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، جـ٣ ، ص ١٨٣ ، ١٨٩ . وانظر أيضا تاريخ الموصل ، أبو زكريا الازدي ، تحقيق د . علي حبيبة ، ١٩٦٧م ، مؤسسة دار التحرير للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٣٤٣ .

(٤) الحسن بن سهل السرخسي ، كان عالي الهمة كثير العطاء ، تولى وزارة المأمون بعد أخيه الفضل ، كما تولى جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين ، توفي سنة (٢٣٦هـ) ، وقيل سنة (٢٣٥هـ) . وفيات الاعيان ، جـ٢ ، ص ١٢٠ ـ ١٢٣ . وأيضا سير أعلام النبلاء ، جـ١١ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمّه ابراهيم بن المهدي [١] ، ودعي له على المنابر بمدينة السلام وغيرها [٢] .

وفي سنة (٢٠٢هـ) قرر المأمون التخلص من الفضل ، بعد أن استوثق من حقيقة الوضع المتدهور في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وأدرك أن الفضل حجب عنه الحقائق وشوّه الأخبار وحرفها [٣] . وبعودة المأمون الى بغداد سنة (٢٠٤هـ) استكانت غوارب الفتنة بعض الاستكانة ، واستقامت أمور الولاة والعمال ، واستشعرت الرعية في زمنه بعض الأمن والطمأنينة .

استمر نفوذ الفرس التقليدي في عهد المأمون ، الا أنه أخذ يتقلص مع تزايد العنصر التركي ، الذي بدأ يسيطر على شؤون الدولة منذ عهد المعتصم. وقد وجد المعتصم نفسه في وضع حرج بعد أن ضعفت ثقته بالعرب والفرس، وأخذت الأخطار تهدّد الدولة في الداخل والخارج على السواء . ففي الداخل كان عليه قتال بابك [٤] والقضاء عليه . وفي الخارج كان البيزنطيون يهدّدون حدود الدولة فكان لا بدّ من حربهم وتأديبهم . لذا فقد اتجه المعتصم خليفة المأمون الى الأتراك لتكوين جيش الخلافة الجديد . وبذلك انتقلت سياسة الدولة من أيدي الفرس الى أيدي الأتراك ، وامتد نفوذهم الى أوائل القرن الرابع الهجري ، حيث عاد الفرس مرة أخرى الى السيادة والسيطرة [٥] .

(١) ابراهيم بن المهدي بن محمد المنصور ، كان أديبا فصيحا شاعرا محسنا في معرفة الغناء وأنواعه ، توفي سنة (٢٢٤هـ) . انظر شذرات الذهب ، ابن العماد ، جـ٢ ، ص٥٣ . وأيضا وفيات الاعيان ، جـ١ ، ص ٣٩ — ٤١ .

(٢) التنبيه والاشراف ، المسعودي ، مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٦٥م ، ص ٣٥٠ ، وتاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ١٣٨ ، ص ١٤٠ .

(٣) تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص١٤٤ .

(٤) هو بابك الخرمي ، وقد ظهر في الجبال بناحية أذربيجان وصار له أتباع عرفوا بالخرمية ، استباحوا المحرمات وعاثوا في البلاد . وقد جرد اليهم خلفاء بني العباس حملات لقمعهم خلال عشرين سنة . انتهت بأخذ بابك وصلبه في أيام المعتصم سنة (٢٢٣هـ) . انظر تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٢١٠ ، وأيضا الفهرست ، لابن النديم ، تحقيق رضا تجدد ، ١٩٧١م ، طهران ، ص٤٠٧ ، وشذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص٢ .

(٥) استطاع بنو بويه انتزاع السلطان من أيدي الأتراك سنة (٣٣٤هـ) ، وصاروا هم أصحاب الغلبة على الخلافة العباسية. انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، جـ٤ ، ص ٢٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ازداد تدخل الأتراك في سياسة الدولة منذ عهد الواثق ، الذي توفي دون أن يعهد لأحد بعده بتولي الخلافة . فاستغل الأتراك هذه الفرصة ، وتدخلوا في اختيار الخليفة المتوكل ، الذي كانت فترة خلافته فترة صراع متصل بينه وبين قادة الترك ، انتهت بقتله بيد جماعة منهم سنة (٢٤٧هـ) عندما أحسوا بالخطر الذي يتهددهم ، ولا سيّما بعد أن أقدم المتوكل على تدبير مكيدة لكبير قادتهم "ايتاخ "[١] أبعده بها عن سامراء ، ومن ثم أمر بالفتك به [٢] .

وبعد مقتل الخليفة المتوكل تردت هيبة الخلافة ، وقوي نفوذ الأتراك ، وأخذوا يتدخلون مباشرة في خلع الخلفاء وتعذيبهم وقتلهم ، ثم اختيار من يتولى الخلافة من بعدهم ، من غير رجوع منهم الى ديانة ولا نظر للمسلمين. روي أن المعتزّ عندما تولّى الخلافة ، اجتمع خواصه وطلبوا من المنجمين أن ينظروا كم يعيش ، وكم يبقى في الخلافة . وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : "أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ! فقالوا له : فكم تقول أنه يعيش ، وكم يملك ؟ قال : مهما أراد الأتراك "[٣] .

ان هذه الرواية تصور حقيقة ما صارت اليه الخلافة في ذلك العهد ، اذ استمر استبداد الأتراك طيلة خلافة المنتصر والمستعين والمعتز ، حتى تولى المهتدي الأمر ، فاستنفر العامة لحربهم وقتالهم ، وأباحهم أموالهم ونهب منازلهم . واستدعى موسى بن بغا وأصحابه وعنفه وأنذرهم قائلا : "والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن أو ليذعبن بها أكثركم . أما دين ؟ اما حياء ؟ أما رِعَة ؟ كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء والاقدام والجرأة على الله "؟! "[٤] .

---

(١) من كبار قادة الترك ، كان غلاما لسلام الأبرش ، فاشتراه منه المعتصم ورفعه لقوته وبأسه ، ضم اليه من أعمال السلطان أعمال كثيرة ، فكان اليه في زمن المتوكل الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجابة ودار الخلافة . انظر تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٣٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .

(٣) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، محمد بن علي بن طباطبا ، ١٩٦٠م ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ص ٢٤٣ .

(٤) تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٤٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاّ أن الأمر انتهى على غير ما توقع ، فحبس في يد الأتراك ، وافترقت عنه العامة ، وعندما أبى أن يخلع نفسه من الخلافة قام الأتراك بخلع أصابع يديه ورجليه من كفّيه وقدميه ، وفعلوا به غير شيء حتى مات (١) .

تلت خلافة المهتدي فترة من الهدوء ، انتعشت فيها الخلافة ، ويرجع الفضل في ذلك الى الموفق أخي الخليفة المعتمد والحاكم الفعلي للخلافة اذ ذاك ، لما أبداه من حزم وشدة وقوة ، فقد تولّى قيادة الجيوش بنفسه ، وحارب الخارجين على الدولة ، فحدّ من خطر الصفاريين وحال دون تقدمهم الى بغداد ، وانتصر على صاحب الزنج ، وأخمد ثورة من أعنف الثورات التي شغلت الدولة العباسية ، وكلفتها الكثير من المال والرجال طوال الفترة الممتدة بين سنتي (٢٥٥هـ) و (٢٧٠ هـ) (٢) .

وكان البيزنطيون يستغلون هذه الأهواء والمنازعات والثورات للايغال في بلاد الدولة العباسية ، فالصراع الحربي بين المسلمين والروم في هذا القرن كان مستمرا ، وان داخله فترات من الهدوء يتم خلالها تبادل الوفود والأسرى (٣) .

وقد أخذت الأخطار تهدّد الدولة بظهور امارات ودول مستقلة وشبه مستقلة في أطرافها ، كالطاهرية في خراسان (٢٠٥هـ ـ ٢٥٩هـ) ، والطولونية في مصر (٢٥٤هـ ـ ٢٩٢هـ) ، والصفارية في سجستان (٢٥٤هـ ـ ٢٩٨هـ) ، والامارة السامانية في بلاد ما وراء النهر (٢٦١هـ ـ ٣٨٩ هـ) .

---

(١) تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٤٧٥ .
(٢) التنبيه والاشراف ، ص ٣٦٨ .
(٣) تاريخ مختصر الدول ، ابن العبري ، تصحيح الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، ط١ ١٩٨٣م ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ، ص ١٤١ ، ص ١٥١ .
انظر أيضا تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٣٢١ ، ٦١٥ ، ٦٥٨ .

٣٩٦٧١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين أفضت الخلافة الى المعتضد بالله سنة (٢٧٩هـ) ، سكنت الفتن ، وضبطت الثغور ، وهابه الناس ، وخضع له القواد لما اتصف به من قوة وبأس. ولابن المعتز [١] قصيدة طويلة مدح فيها المعتضد وعدد أعماله ، وما قام به من حروب ، وما أحدث من اصلاح [٢] .

وعندما تولى المكتفي الحكم (٢٨٩هـ) ، سار سيرة أبيه المعتضد في محاربة الحركات والثورات المختلفة ومقاومتها ، فقد تمكن من اخماد حركة القرامطة ، واعادة مصر الى نفوذ الدولة العباسية بعد القضاء نهائيا على الطولونيين سنة (٢٩٢هـ) [٣] .

وينتهي القرن الثالث الهجري ، وتنتهي فترة انتعاش الخلافة بموت المكتفي ، وتولي الخليفة المقتدر الأمر سنة (٢٩٥هـ) ، فاختل التدبير ، وفسد الملك ، وأصبح للحُرَم والخدم رأي يقبل ويعمل به ، وعادت الخلافة الى ضعفها الذي كانت عليه .

---

(١) أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ، شاعر مجيد ، اشتهر بالنقد والبلاغة والحكمة ، تولى الحكم بعد خلع الخليفة المقتدر ، انتهى الأمر بقتله سنة (٢٩٦هـ) . انظر سير أعلام النبلاء ، جـ ١٤ ، ص ٤٢ ـ ٤٤ ، وأيضا وفيات الاعيان ، جـ٣، ص٧٦ ـ ٨٠ ، وشذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، تحقيق د . يونس السامرائي ١٩٧٧م ، منشورات وزارة الاعلام ، جـ ١ ، ص ٥١٩ ـ ٥٩١ .

(٣) تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٦٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوضع الاجتماعي والاقتصادي في القرن الثالث الهجري : —

كان المجتمع العراقي في هذا القرن ينقسم وفق معيار الثروة الى طبقتين هما : —

١ — طبقة الخاصة ، وتضم الخلفاء والأمراء والطبقة الحاكمة التي بيدها مقاليد الأمور ، ومن قربهم الخليفة العباسي وجعلهم من خواصه ، وكبار التجار والموسرين وأتباعهم .

٢ — طبقة العامة ، وهم بقية أفراد المجتمع من الصنّاع والفلاحين وصغار التجار وغيرهم .

وقد اختل التوازن الاقتصادي بين هاتين الطبقتين ، واتسعت الهوّة بينهما . فبلغت الطبقة الخاصة حدّا من الاسراف والبذخ ، ومارست ضروبا منه لم تكن معهودة من قبل ، وأخبار زواج المأمون ببوران ، وأعذار المعتز ، أشهر من أن تذكر (١) .

وكما غالت هذه الطبقة في احتفالاتها غالت أيضا في تشييد القصور وأماكن اللهو ، وقد أطنب الشعراء أمثال ابن المعتز والبحتري في وصفها (٢) . وكان المتوكل أكثر الخلفاء ولوعا بالبناء ، فبنى جملة قصور منها "قصر العروس" أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم ، و "قصر المليح" أنفق عليه خمسة آلاف ألف درهم ، و "اللؤلؤة" خمسة آلاف ألف درهم (٣) . أما "البرج" الذى يعد من أحسن أبنيته فقد أنفق عليه عشرة آلاف ألف درهم . وقد جعل في هذا القصر صورا عظاما من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة جعل فرشها ظاهرها وباطنها صفائح الفضة ، وجعل عليها شجرة ذهب ، فيها كل طائر يصوّت ويصفر مكلّلة بالجوهر (٤) .

(١) الذخائر والتحف ، الرشيد بن الزبير ، حققه د . محمد حميد الله ، قدم له وراجعه د . صلاح الدين المنجد ، ١٩٥٩م ، مطبعة حكومة الكويت ، ص٩٨ — ٩٩ ، ص١١٩ . وأيضا نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، ابن الساعي ، تحقيق د . مصطفى جواد ، دار المعارف ، مصر ، ص ٦٧ — ٦٨ .

(٢) انظر ديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ١٩٦٤م ، دار المعارف بمصر ، مجلد ٣ ، ص١٤٦٧ — ١٤٦٨ ، ١٦٤٨ — ١٦٤٩ .
أيضا ديوان ابن المعتز ، جـ١ ، ص٤٣٤ — ٤٣٦ .

(٣) الديارات ، أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي ، حققه كوركيس عوّاد ، ط٢ ، ١٩٦٦ ، مطبعة العارف ، بغداد ، ص ١٥٩ . انظر أيضا أدب الغرباء ، أبو الفرج الاصبهاني ، تحقيق د . صلاح الدين المنجد ، ط١ ، ١٩٧٢ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ص ٤٨ — ٥٠ .

(٤) انظر الديارات ، ص ١٦٠ — ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد شارك الخلفاء في البناء أتباعهم ونساؤهم وقادتهم ، وكانت هذه القصور حافلة بالخدم ، مليئة بالأثاث الفاخر . روى أن أم المستعين عملت بساطا على صورة كل حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كل طائر من ذهب ، وأعينها ياقوت وجواهر ، وأنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار (١) .

وامتد السرف الذى وصل أحيانا حدّ البطر إلى موائدهم. ذكر أنه كان يعد على مائدة اسحاق بن ابراهيم (٢) حاكم بغداد أيام المأمون ثلاثين طائرا ، غير الحلو والحامض والحار والقار الذى كان أكثر من أن يحصى (٣) .

وكما تأنقوا في طعامهم ، تأنقوا أيضا في ملابسهم ، فكان لكل طبقة لباس خاص بها يميزها عن غيرها من الطبقات ، ولبست النساء الثياب الموشاة والمطرزة ، واختلن في الحلي والجواهر . وانتشرت مجالس الشراب ووضعت لها قواعد وآداب ، وأقبل القوم على اقتناء العدد الكثير من الغلمان والقيان ، فأصبح يقال في المثل : العيش في سعة الدار ، والعز في كثرة العبيد (٤) .

ووصل فن الغناء الى أبعد غاياته من التقدم والرقي ، وازدهرت الموسيقى وأصبح لها قواعد معروفة ومناهج متبعة . وقد ألف كثير من المؤلفين في الموسيقى وفي أخبار المغنين والمغنيات (٥) . ومن مشاهير المغنين اسحاق بن ابراهيم الموصلي (٦) ، وابراهيم

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين الابشيهي ، شرح وتحقيق د . مفيد محمد قميحة ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، جـ١ ، ص ٣٥٨ .

(٢) أبو الحسن اسحق بن ابراهيم ، وهو ابن أخي طاهر بن الحسين ، ولاه المأمون خلافة عبد الله بن طاهر ببغداد ، لما أخرج عبد الله الى خراسان ، وعلى يده امتحن العلماء — بأمر المأمون — في خلق القرآن . توفي سنة (٢٣٥هـ) ، الديارات ، ص٣٧ . أيضا سير اعلام النبلاء ، جـ ١١ ، ص ١٧١ .

(٣) التاج في أخلاق الملوك ، الجاحظ ، تحقيق ونشر دار الفكر ، بيروت ، ودار البحار ، بيروت ، ١٩٥٥م ، ص ٥١ .

(٤) اللطائف والظرائف في الاضداد ، أبو نصر أحمد بن عبد الرازق المقدسي ، ١٨٧٨م ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ، ص ٧٢ .

(٥) الاغاني ، ابو الفرج الاصبهاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، جـ ١ ، ص٤ ، انظر ايضا الفهرست ، ص ١٦٢ .

(٦) اسحق بن ابراهيم بن ماهان من بهمن بن نسك ، أصله من فارس ، كان حاذقا بصناعة الغناء راوية للشعر والمأثر ، لقي فصحاء الاعراب ، شاعرا ، مفننا في علوم كثيرة ، توفي سنة (٢٣٥هـ). انظر معجم الادباء ، ياقوت ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، جـ٥ ، ص٥-٥٨ والفهرست ، ص ١٥٧ — ١٥٨ ، والاغاني ، جـ٥ ، ص ٣٦٨ — ٤٣٥ . وسير اعلام النبلاء ، جـ ١١ ، ص ١١٨ — ١٢١ . وشذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص ٨٢ — ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن المهدي ، وطائفة من الجواري من أشهرهن فضل جارية المتوكل [١] ، وعريب [٢] ، وشارية التي كانت من مولدات البصرة والتي يقول عنها صاحب الأغاني أنها "أحسن الناس غناء منذ توفي المعتصم الى آخر خلافة الواثق" [٣] .

وقد أدى هذا البذخ والترف الى نتائج سيئة على بيت مال الدولة ، فتأخرت الأرزاق ، وانتشرت الرشوة والضمانات بين موظفي الدولة ، وقدم الدينار والدرهم على الدين والأمانة ، وانقسم الجيش الى شعب مختلفة ، تنفق أموال طائلة لاسترضائها من قبل الخليفة واتباعه أو خصومه ، وارتفعت الأسعار ، ففي سنة (٢٠٧هـ) لم يكن أحد يجترئ أن يظهر الطعام أمام الآخرين ، انما يخرج الرجل الشيء في كمه فيبيعه سرّا ، ويكيله ليلا خوفا من الناس والمجاعة [٤] . وفي سنة (٢٦٠هـ) بلغ كرّ الشعير ببغداد مائة وعشرين دينارا [٥] .

فكثر الشغب ، واستفحل أمر العيارين والشطّار [٦] ، وازدادت حوادث السلب والنهب وقطع الطرق ، وسفك الدماء ، وضعفت الروابط النفسية بين الطبقة الحاكمة وأفراد الشعب

(١) فضل الشاعرة : لم تكن تعرف بعد أن اعتقت إلا بفضل العبدية ، لأنها ولدت ونشأت في دار رجل من عبد القيس ، وباعها بعد أن أدبها ، ثم أهديت الى المتوكل ، وكانت حسنة الوجه والجسم ، أديبة فصيحة ، سريعة البديهة ، مطبوعة في قول الشعر . انظر الاغاني ، جـ١٩ ، ص ٣٠١ — ٣١٢ .

(٢) مغنية محسنة ، كانت لعبد الله بن اسماعيل صاحب مراكب الرشيد ، وهو الذي رباها وأدبها وعلمها الغناء . اشتراها المأمون بخمسين ألف درهم ، فلما مات المأمون بيعت في ميراثه . انظر الاغاني ، جـ ٢١ ، ص ٥٤ — ٨٧ .

(٣) الاغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٢ .

(٤) تاريخ الموصل ، ص ٣٦٣ .

(٥) انظر البداية والنهاية أبو الفداء الحافظ بن كثير . تحقيق مجموعة من الاساتذة ، ط٣ ، ١٩٨٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ١١ ، ص ٣٥ .

(٦) الكربضم الكاف وتشديد الراء ، مثال للغراب وهو ستون قفيزا أو أربعون أردبا . وكان المكيال المعتمد في قوائم الخراج في العصر العباسي . انظر لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، جـ٥ ، مادة كرر . وكتاب الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، د . محمد ضياء الدين الريس ، ط٢ ، ١٩٦١م ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٣٤٥ — ٣٤٨ .

هؤلاء يمثلون حركة اجتماعية ظهرت أول مرة في بغداد سنة (١٩٦هـ) لتشارك في الدفاع عن المدينة في أثناء فتنة الأمين والمأمون ، وظهرت ثانية خلال الحصار الثاني لبغداد سنة (٢٥١هـ) ، وأغلب أفراد هذه الحركة من الفقراء ولا سيما من الباعة وأهل السوق . وكان لهم تنظيمات ووصايا بينهم . انظر الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، ١٩٣٨م ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، جـ٢ ، ص ٣٦٦ — ٣٦٧ . وأيضا العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي ، د . محمد أحمد عبد المولى ، ١٩٨٦م ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ص ٤٣ — ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد قال دعبل [١] عندما بلغه موت المعتصم ، وتولي الواثق :—

الحمدُ لله لا صَبْرٌ ولا جَلَدٌ ... ولا عزاءٌ اذا أعلُ البِلادَ بدُ
خليفةٌ ماتَ لم يحزنْ له أحدٌ ... وآخرٌ قام لم يفرحْ به أحد [٢]

كما انتشرت الكدية وأصبحت حرفة لمن ضاقت بهم سبل الرزق ووسائل الكسب . وقد حدث تفاوت في الطبقات كبير ، وتباين في أساليب المعاش ودرجاته شاسع ، ومزيج عجيب من الأجناس والعناصر التقت جميعها في مجتمع العراق ، فهناك العرب ، والفرس ، والترك ، والمغاربة ، والسودان ، والفراغنة [٣] . . . فتعددت العادات والتقاليد والأزياء والأعياد ، وألوان اللهو في هذا القرن ، الا أن آثار الفرس على الحياة الاجتماعية كان أكثرها وضوحا .

وكان من الصعب في كثير من الأحيان ايجاد جوّ من الثقة والتفاهم بين جميع هذه العناصر المتباينة ، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والآداب كثيرا من القصص والمواقف التي تكشف عن طبيعة العلاقة بين هذه العناصر ، وما كان يسودها من توتر ، تغذيه العصبية العرقية حينا ، والشعور بالظلم والاستبداد حينا آخر [٤] . ولعل العرب كانوا أكثر العناصر شعورا بهذا الاضطهاد ، فعندما سئل نصر [٥] بن شبث عن سبب محاربته للخلفاء العباسيين قال : "انما محاربتي اياهم محاماة عن العرب ، لأن بني العباس يقدمون عليهم العجم" [٦] .

---

(١) أبو علي دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، شاعر مشهور ، كان مولعا بالهجاء ، توفي سنة (٢٤٦هـ) . وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٦٦ — ٢٧٠ . وأيضا سير أعلام النبلاء ، ج ١١ ، ص٥١٩ . ومعجم الأدباء ، ج ١١ ، ص ٩٩ — ١١٢ .

(٢) ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، جمع وتحقيق د . محمد يوسف نجم ، ١٩٦٢م ، دار الثقافة بيروت ، ص٥٩ . انظر أيضا شعر دعبل بن علي الخزاعي ، جمع د . عبد الكريم الاشتر ، ط ٢ ، ١٩٨٣م ، ص ١١٥ .

(٣) وهم أتراك سمرقند وأشروسنة وفرغانة من بلاد ما وراء النهر .

(٤) تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ٢٩٣ ، ١٩٧ . انظر أيضا طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ص ٣٩٨ .

(٥) أحد القادة العرب ، كانت له ثورة بالجزيرة بعد مقتل الأمين ، حاصره عبد الله بن طاهر وضيق عليه ، حتى طلب الأمان سنة (٢٠٩هـ) . انظر الطبري ، جـ٥ ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .

(٦) تاريخ الموصل ، ص ٢٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولتنوع سبل الحياة في المجتمع العباسي ، وتعدّد العناصر والفئات ، أصبحت البلاد بؤرة لآراء وفرق مختلفة ، فكان فيها الاعتزال الذي أصبح عقيدة الدولة الرسمية في أيام المأمون والمعتصم والواثق حتى بداية عهد المتوكل ، الذي كتب الى الآفاق كتبا ينهى فيها عن المناظرة والجدل والكلام في القرآن ، وأمر الناس بالتسليم والتقليد واظهار السنة والجماعة[١] .

وقد انتشر التشيع بتعاليمه ، والتصوف بأصوله ومبادئه ، وطوائف الأديان الأخرى بآرائهم ومعتقداتهم . فقد ضم المجتمع العباسي الى جانب المسلمين أهل الذمة من اليهود والنصارى، وكانوا منتشرين في جميع أنحاء العراق، وكان النصارى رجال المال وأرباب مهنة الطب في هذا القرن ، وقد عبر الجاحظ عن قلقه الناتج عن تزايد دورهم وقوة سلطانهم من خلال رسالته في الردّ على النصارى . أما اليهود فكانوا يمارسون التجارة والصيرفة والصياغة .

ولم يتدخل خلفاء بني العباس بصورة عامة في شؤونهم الدينية أو الدنيوية الا في بعض الفترات ، حيث أمر المتوكل أهل الذمة سنة (٢٣٥هـ) بلبس ذراعين عسليتين على الأقبية والدراريع[٢] ، والاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمر ، وان لا يستعان بهم في أمور الدولة[٣] .

وقد كان فعل المتوكل هذا ضمن خطة شاملة واسعة لاعادة الأمور الى نصابها في جوانب الحياة المختلفة . أما ما دون ذلك ، فقد عاش أهل الذمة حريتهم كاملة ، يمارسون طقوسهم الدينية وأعيادهم ، كما كانت لهم أديرتهم ومعابدهم المنتشرة في أرجاء العراق ،

---

(١) مروج الذهب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، جـ٤ ، ص ٨٦ .

(٢) القباء : ثوب مقفل من الأمام بأزرار ، ومقور تمام التقوير في موضع الرقبة . الدراعة : ثوب مفتوح من الجهة الامامية أعلى القلب ، ومزرر بأزرار وعرى . انظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، تأليف المستشرق الهولندي رينهارت دوزي ، ترجمة د . أكرم فاضل ، ١٩٧١م ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ص ٢٨٥ ، ١٤٦ .

(٣) تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٣٠٤ — ٣٠٦ . تكرر هذا الأمر سنة (٢٣٩هـ) ، المصدر نفسه ، ص ٣١٨ . وأيضا شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يعكس روح التسامح عند المسلمين . يقول ف. بارتولد موضحا هذه الحقيقة : —

"ومهما يكن من شيء فان النصارى الذين عاشوا في حكم المسلمين لم يصبهم قط ما أصاب المسلمين في اسبانيا من الظلم والعدوان "(١) .

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية ، ف بارتولد ، ترجمة حمزة طاهر ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ، ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحيـاة الفكريـة فـي القـرن الثالـث الهجـــري : —

ارتقت الحياة الفكرية في العراق في القرن الثالث الهجري ارتقاءً كبيرا ، على الرغـــم مما شهده هذا القرن من اضطراب وتفكك سياسي واجتماعي . فقد أصبح العراق ملتقى ثقافـات الأمم العريقة وحضاراتها ، وساعد على ذلك الحرية الفكرية التي أظلت العقول في ذلك الحـين يقول الجاحظ : "فما ينتظر العالم باظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمـه وقد أمكن القول ، وصلح الدهر ، وخوى نجم التقية ، وهبت ريح العلماء ، وكسد العيّ والجهـل ، وقامت سوق البيان والعلم "(١) . فمنذ أن دخل المأمون بغداد ترك للناس حرية التفكيـــر ، وجالس الفقهاء والمتكلمين ، ورغب الناس في البحث والعلم ، وأصبح مذهبه تقريب العالـــم واقصاء الجاهل وكما يقول صاحب الفخري: "واذا كان الملك عالما صار العالم ملكا "(٢) . فظهـر في هذا القرن عدد من العلماء والأدباء الذين ألفوا عددا من الكتب والرسائل في حقـــول تخصصاتهم . وازدهرت علوم اللغة ، وخاض أصحابها في موضوعات اللغة المختلفة ، وصنفـــوا في كل فرع من فروعها ، وظهر من اللغويين والنحويين أعلام نضجت هذه الدراسات علـــى أيديهم ، كالمبرد (ت ٢٨٥هـ) ، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، والفـراء (٢٠٧هـ) ، وثعلـــب (٢٩١هـ). وفيه حددت الأسس التي تبنى عليها دراسة الأدب ، ووضعت الأصول الأولـــى للمذاهب النقدية المختلفة كما نجد في مؤلفات الجاحظ (ت٢٥٥هـ) وابن المعتز (ت٢٩٦هـ).

وفي هذا القرن وضعت أيضا المذاهب الفقهية الكبرى ، وظهر فيه أئمة الحديث مثـل البخاري (ت ٢٦٥هـ) ، ومسلم (ت ٢٦١هـ) ، والترمذي (ت٢٧٩هـ) ، والقشيري (ت٢٦١ هـ) ، وابن ماجـة (ت ٢٧٣هـ). وازدهر التأليف في التأريخ والجغرافيا عند البلاذري (ت ٢٧٩هـ) الذي يعدّ من أبرز علماء التاريخ والأنساب ، وابن طيفور صاحب كتاب تاريخ بغداد (ت ٢٨٠هـ) واليعقوبي (ت٢٨٤هـ) الذي قام برحلات طويلة في أرمينية والهند ومصر وبلاد المغـــرب ، وقد أفاد من هذه الرحلات في كتبه التي أبرزها "كتاب البلدان" ، والدينوري (ت٢٨٢هـ) صاحب كتاب "الأخبار الطـوال" ، والطبـــري (ت ٣١٠هـ) صاحب "تاريخ الرسل والملوك".

---

(١) الحيـــوان ، جـ١ ، ص ٨٦ ــ ٨٧ .
(٢) الفخـــري ، ص ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطول بنا القول لو عددنا مشاهير العلماء والأدباء في كل لون من ألوان الثقافة والعلوم . وكان من نتائج حب الخلفاء وأتباعهم للمعرفة والعلم ، وتشجيعهم للمشتغلين بهما ، أن ازدهرت حركة الترجمة ، فتدفق على بغداد عدد كبير من المترجمين ينقلون من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، من أمثال يحيى بن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ) ، وحنين بن اسحاق (ت ٢٦٣ هـ) ، وثابت بن قرة (ت ٢٨٩ هـ) . وقد شملت الكتب المترجمة جميع المواضيع ففي الفلسفة ترجمت كتب أفلاطون وأرسطو ، وفي الطب كتب بقراط وجالينوس ، وفي الرياضيات والنجوم كتب اقليدس وارخميدس . وبذل المترجمون جهدا عظيما في النقل والترجمة ، ولم يكن هؤلاء المترجمون مجرد نقلة ، ولم يقف الأمر بهم عند طور الأخذ والاستمداد ، أو الانتخاب والانتقاء ، بل جاوزوا ذلك كله الى دور الابتكار والابداع. ولنستمع الى ما تقوله المستشرقة الألمانية زيغريد في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب ، تقول : —

"لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس ، كما أنهم أيضا لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم القريب دون مناقشة أو تحقيق . فمنذ البدء ، أدهشوا العالم بالحرية الموضوعية والشجاعة العلمية اللتين استقبلوا بهما نتائج السالفين وأقوالهم ، ليشبعوها بحثا ونقدا وتفنيدا وتحقيقا للأخطاء ودحضها "(١) .

وقد أصبحت المادة الثقافية والعقلية للأمم الأخرى في متناول أيدي العرب ، وغدت هذه الموضوعات مما يؤلفون فيه ، ويستقلون ببحوثه خاصة في الالهيات ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والفلكيات . واستطاع أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي العالم المشهور في الرياضيات والفلك أن يؤلف أول كتاب في الجبر(٢) . كما ألف أبناء موسى بن شاكر عدة كتب في الرياضيات ، توصلوا فيها الى استخراج مسائل لم يسبقهم اليها أحد . كما قاموا ببناء مرصد على جسر بغداد .

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ، زيغريد هونكه ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون ، وكمال دسوقي ، راجعه مارون عيسى الخوري ، ط١ ، ١٩٦٤ م ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، ص ١٤٣ .

(٢) انظر الفهرست ، ص ٣٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان من نتيجة هذه النهضة الفكرية أن كثر الجدل وتباينت الآراء ، ولم يكن المجتمع العباسي كله راضيا عن هذا التفتت في الآراء والأفكار ، كما يتبيّن من أبيات ابن المعتز التالية في وصف صديق له :ـ

فان تَطْلُبْهُ تقتنصه بحانةٍ ... والا ببستانٍ وكرمٍ مُظلّل
ولستَ تراهُ سائلاً عن خليفة ... ولا قائلا من يعزلونَ ومَن يلي
ولا صائحاً كالعَيْرِ في يوم لذةٍ ... يناظرُ في تفضيل عثمانَ أوعلي
ولا حاسباً تقويمَ شمسٍ وكوكب ... ليعرفَ أخبارَ العلومِ من اسفل
يقوم كحرباءِ الظهيرةِ مائلا ... يقلبُ في اصطرلابه عينُ أحول (١)

مجتمع متناقض ، ومختلف ، ومتنوع ، تنطبق عليه الى حد كبير مقولة تشارلز ديكنز :ـ

"كان أحسن الأزمان ، وكان أسوأ الأزمان ، كان عصر الحكمة ، وكان عصر الحماقة ، كان عهد الايمان ، وكان عهد الجحود ، كان زمن النور ، وكان زمن الظلمة ، كان ربيع الأمل ، وكان شتاء القنوط "(٢) .

---

(١) ديوان ابن المعتز ، جـ٢ ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
(٢) قصة مدينتين ، تشارلز ديكنز ، ط٩ ، ١٩٨٢م ، دار العلم للملايين ، مقدمة القصة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــل الأول

النّثـر العراقـي فـي القـرن الثالـث الهجـــري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عوامل ازدهار النثر الفني في القرن الثالث الهجري : —

يتمثل هذا النثر في الرسائل ، والخطب ، والتوقيعات ، والمؤلفات الأدبية ، والمناظرات .

وقد نهض النثر الفني في هذا القرن نهضة عظيمة ساعد عليها عوامل عدة منها : —

١ — تشجيع رجال الدولة وعامة الناس وتقديرهم للنثر الذي يتسم بالفنية والجمال ، وقد وجدت الملكة الأدبية عند كثيرين من أصحاب المراكز والنفوذ في الدولة ، اذ كانوا قادرين على تذوق النثر الجميل والحكم عليه ، وكانوا يثيبون من أحسن ، وينقدون من قصر ، دونما مجاملة أو مسامحة (١) .

وقد بلغ من تقديرهم للفظ الحسن ، والمعنى البديع ، أنهم أخذوا يقيّدون الكلام البليغ ، وينسخون الرقاع الحسنة ، ويتذاكرونها ويتداولونها بينهم . فقد استأذن أحد الكتّاب الحسن بن سهل في نسخ رقعة وردت عليه من الحسن بن (٢) وهب فأذن له (٣) .

٢ — المكانة العالية للكتّاب ، ومدى ما وصلوا اليه من نفوذ وجاه وسلطان .

غلبت الكتابة على النسب في هذا القرن ، وحلت محله ، وجرت مجرى الألقاب ، وأصبحت مصدرا للجاه بعد المال . وفي ذلك يقول سليمان بن وهب (٤) الكاتب : —

---

(١) اعتاب الكتاب ، ابن الابار ، تحقيق د . صالح الأشتر ، ط١ ، ١٩٦١م ، المطبعة الهاشمية ، ص ١٢٧ .

(٢) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن قنان بن متى ، كان شاعرا بليغا مترسلا فصيحا ، كتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وولي ديوان الرسائل . توفي سنة (٢٥٠هـ) . الاغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٦٠م ، دار الثقافة بيروت ، جـ ٢٢ ، ص ٥٣٣ — ٥٦٤ . وأيضا الفهرست ، ص ١٣٦ .

(٣) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ٧ ، ص ٣٢١ . وانظر ما كتبه عبد الله بن طاهر الى المأمون ، الديارات ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٤) أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو ، كتب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ، ثم لا يتاخ ثم لاشناس ، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله ، وله ديوان رسائل . توفي سنة (٢٧٢هـ) وقيل (٢٧١هـ) . وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ٤١٥ — ٤١٨ . واعتاب الكتاب ، ص ١٣٨ — ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا ما جَرَّدْنا وانتضينا صوارمـــــاً يكادُ يُصمُّ السامعينَ صريرُهـــــا
تظلُّ المنايا والعطايا شوارعـــــاً تدور بما شئنا وتمضي أُمورهـــــا (١)

وقد بلغ من مكانة الكتّاب الاجتماعية أن المتعاطي لهذه الصناعة كان لا يجوز له أن يلابس سواها ، أو يتشاغل بغيرهـــــا (٢) .

٣ــ المنزلة الأدبية العالية للنثـــــر (٣) : ــ

أصبح النثر الفني الجميل نِدّا للشعر وكفوءا له في هذا القرن ، بل كاد يقوم مقامه فـــي بعض الأحوال ، فأخذ الكتّاب يشاركون في موضوعات استأثر الشعر بها زمنا طويلا ، كالمديـــح ، والهجـــاء ، والوصف ، والرثـــــاء ..... (٤) .

٤ــ المنافسة بـــين الكتّـــــاب : ــ

كان الكتّاب يتنافسون في الجودة ويتسابقون في الاحسان ، وكثيرا ما كان يدعى الكاتـب إلى الكتابة فجأة ، ليختبر مقدار فصاحته وبيانه ، ومن ذلك أن أحد جلساء المأمون أحـــبّ أن يمتحن محمد بن يزداد (٥) ، فطلب من المأمون أن يأمره بانشاء كتاب في أمر الزكاة، يقـــرأ على الناس فكتب محمد ــ من غير فكرة ــ كتابا شرح فيه أمور الزكاة بأوجز عبارة ، وأبلـــــغ قـــــول (٦) .

ولذا فقد تكونت طبقات ممتازة من الكتّاب ، رقيت بفضلها صناعة الكتابة ، ولا سيّما فـــي الدواوين المختلفة في الدولة، وألف هؤلاء الكتب والرسائل في شتى الميادين ، وكانـــت

(١) اعتاب الكتّـــاب ، ص ٤٤ .
(٢) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، جـ٢ ، رسالة في ذم أخلاق الكتاب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص ٢٠١ .
(٣) انظر أخبار الشعراء ، المسمى كتاب الأوراق للصولي ، عني بجمعه ح . هيوارث القاهرة، ص١٩٧ .
(٤) انظر الفصل الثالث من الرسالـــة .
(٥) أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد الكاتب المروزي ، وزر للمأمون ، وكان حسن البلاغة كثير الأدب ، مشهورا بقول الشعر . توفي سنة (٢٣٠هـ) بسامرا . الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، راجعه وصححه د . محمد يوسف الدقاق ، ط١ ، ١٩٨٧م، دار الكتب العلميـــة ، بيروت ، جـ ٦ ، ص ٨٤ .
(٦) اعتاب الكتـــاب ، ص ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأوساط الأدبية تتلقف هذه المؤلفات وتتناولها بالدرس والتمحيص والتقويم والتقدير . فازدهر النثر وتميز ، وكانت المنافسة الايجابية ، وما تزال ، عاملا دفّاعا[1] .

٥ـ التطور الحضاري والاجتماعي :

كان القرن الثالث الهجري معلما في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، التي شهدت فيه ازدهارا عظيما في مختلف أوجه الحياة ، بما في ذلك الحياة الأدبية ، والنثر الفني بصورة خاصة . فالمعرفة المتنوعة ، والاحتكاك الحضاري ، والثقافة الواسعة ، من شأنها جميعا أن تشحذ القريحة ، وتساعد الكاتب على الابتكار والابداع .

وقد أفاد النثر في البيئة العراقية ، من الثقافات والمواريث الحضارية المختلفة التي تفاعلت وأدى تفاعلها الى ظهور فكر مستقل ، ونثر مميز له أصوله ومعالمه المنهجية . فالعلوم الاسلامية والمترجمة أمدّت النثر بكثير من المعاني والأفكار والأخيلة والموضوعات ، اضافة الى ظهور مصطلحات العلوم الجديدة وذيوعها في أساليب بعض الكتّاب ، مما أثر في أساليب النثر وألفاظه تأثيرا واضحا في هذا القرن . كما أن الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية ، فتحت مجالات واسعة أمام الكتّاب للحديث عن مشكلات المجتمع ، والأخلاق ، وتدبير الملك والسياسة ، وغير ذلك من مسائل سنذكرها في موضعها من هذه الرسالة ـ إن شاء الله ـ .

٦ـ ثقافة الكتّاب : ـ

كثر محفوظ الكتّاب ، وازدادت عنايتهم بالعلوم المختلفة ، ولا سيّما العلوم الاسلامية فكان لذلك أكبر الأثر في كتاباتهم ، وازدادت الاقتباسات من القرآن والسنة ، والتضمينات من الشعر العربي والأمثال ، وأقوال الحكماء ، وهذا فضلا عن الافادة من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة والكلام التي عرفها المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري .

---

(١) انظر قصة ابراهيم بن العباس والبلاذري ، معجم الأدباء ، جـ٥ ، ص٩٣ ـ ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنمـــاط النثـــر الفنـــي العراقـــي فـــي

القـرن الثالـــث الهجـــري :

١٠ الرسائـــــــل :ـ

أول ما يسترعي النظر في فن الرسالة العباسية في القرن الثالث الهجري ، الكثـــــرة الكاثرة لهذا اللون من فنون التعبير ، وقد جمعت الرسائل في كتب ومصنفات كثر ذكرها فـــي المصادر الأدبية والتاريخية . فكانت ثروة أغنت النثر العربي بما احتوته من البلاغة الـراقيـــة .

والعوامل ذاتها التي ساعدت على ازدهار النثر عامة ، ساعدت على ازدهار الرسائـــل بصورة خاصة ، وذلك بالاضافة الى عاملين آخرين هما ـــــــا :

١ـ أن أكثر رسائل هذا القرن صدرت عن أدباء وكتّاب عنيت كتب التراجم والأدب بدراســـة آثارهم ، وتقصي أخبارهم ، لمكانتهم في المجتمع والسياسة والأدب . لذلك استطاعـــت رسائلهم أن تنال من التقدير والاهتمام ما جعلها تنتشر بين النـــــاس .

٢ـ ديوان الرسائل ، اذ كان مكانا لالتقاء طائفة من الكتّاب البارعين ، الذين تولّوا انشـــاء الرسائل وتحبيرها ، بأسلوبهم المتميّز باختيار الألفاظ الجميلة ، والمعاني العميقـــة والتراكيب المتينـــــة .

ولمع من بين الأسماء في هذا الميدان ، محمد بن عبد الملك الزيات [1] ، وسعيد بـــن حميـد [2] ، وسليمان بن وهب ، وغيرهم من الأدباء المقتدريـــــن .

(١) أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن ابان بن حمزة المعروف بابن الزيات، وزر لثلاثة خلفـــاء من بني العباس هم المعتصم ، والواثق ، والمتوكل . وكان قد اتخذ تنورا من حديد فـــي أيام وزارته ، وكان يعذب فيه المصادرين ، وأرباب الدواوين المطلوبين بالاموال . ولابـــن الزيات اشعار رائعة وله ديوان رسائل . توفي سنة (٢٣٣هـ) . انظر اعتاب الكتاب، ص ١٣٢ ـ ١٣٨ ، أيضا وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص ٩٤ ـ ١٠٢ . والفهرست ، ص ١٣٦ . وسير أعلام النبلاء ، ج١٦ ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) أبو عثمان سعيد بن حميد ، كاتب مترسل من الشعراء ، عذب الالفاظ، مقدم في صناعته، أصله من النهروان الاوسط، ومولده ببغداد ، وله ديوان رسائل وديوان شعر، وكان شديد العصبية على العرب ، وله من الكتب كتاب فضل العجم على العرب وافتخارها ، توفي سنة (٢٥٠) هـ . الفهرست ، ص ١٨٥ . والاغاني ، ج١٨ ، ص ١١٥ـ١١٧ ، أيضا الاعلام ، الزركلـــي ط٦ ، ١٩٨٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج٣ ، ص ٩٣ ـ ٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنقسم الرسائل حسب الموضوعات التي تناولتها الى قسمين هما :ـ

١ـ الرسائل الاخوانية .

٢ـ الرسائل الديوانية .

والرسائل الاخوانية هي تلك الرسائل التي تدور بين الكتّاب واخوانهم وأصدقائهم، في أغراض مختلفة تعرض لهم في حياتهم اليومية ، وعلاقاتهم الانسانية والاجتماعية .

وقد تشعبت موضوعات هذه الرسائل ، وتنوعت أغراضها وكان من أهم هذه الموضوعات الاستمناح ، والاهداء ، والدعوات ، والتهنئة ، والتعزية ، إلى غير ذلك من الموضوعات ذات الصلة بعلاقات الناس الاجتماعية ، كما استخدم الكتّاب أقلامهم وقدراتهم البلاغية ، في مجالات عدّة ، منها اعانة ذوي الحاجات ، متخذين لهم مسالك دقيقة يلتمسون بها خيرا لأنفسهم أو لغيرهم ، فكثرت رقاع الاستمناح والشفاعات إلى الخلفاء والوزراء وغيرهم (١) .

وتكثر الاشارة في هذه الرسائل الى ما بين الكاتب والمنعم من ثابت الولاء ، وصادق الاخاء ، وعظيم الثقة بنيل المبتغى ، وما بين الكاتب والمستشفع له من أسباب مؤكدة ، تحل صاحبها محل الأهل والخاصة .

فمن محكم الايجاز ما كتبه محمد بن يزداد شفاعة لرجل الى عبد الله بن طاهر (٢) :

" موصلَ كتابي اليكَ أنا ، وأنا أنت فانظرْ كيفَ تكونُ لـه . (٣) .

وهم اذ يطلبون يضنون بالمعروف الا عن أهله ، ويحبسون الشكر الا عن مستحقه ، وليست دالة الأهل والأصدقاء موجبة غضبا ، ولا قاطعة سببا ، لذلك نجدهم لا يفترون عن الالحاح

(١) انظر في ذلك ربيع الابرار ونصوص الاخبار ، محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق د. سليم النعيمي ، ١٩٨٢ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ج٢ ، ص٥٠٢ . أيضا معجم الادباء ، ج٢ ، ص١٢٨ ، والمحاسن والمساوئ ، البيهقي ، ١٩٦٠م ، دار صادر ، بيروت ، ص٤٤٣ .

(٢) ابو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين ، كان اديبا ظريفا جيد الغناء ، له شعر مليح ، ورسائل جيدة ، تولى الشام والديار المصرية مدة ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه . توفي بمرو سنة (٢٢٨هـ) وقيل سنة (٢٣٠هـ) ، انظر وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٨٣ ـ ٨٩ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٦٨ .

(٣) خاص الخاص ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، قدم له حسن الأمين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الطلب ، وحث المخاطب على تلبيته وترك التسويف والتواني ، فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل . وعد رجل أبا العيناء[١] دابة فأخرها ، فكتب اليه مذكرا :

" ان كانتْ الدابةُ التي وعدتني بها دابةَ الأرض ، فقد مضى خَبرُها مع مِنسأة سُليمانَ ، وان كانت دابةُ الصفا ، انتظرنا خَبَرها مع سابق الحاج ، وان كانت من دوابر الدنيا ، فقد جاوز عُمرٌ وعدك عمرَ الدواب ، فهي لي غيرُها ، وان كانت دابةٌ تدفعها الي في الآخرة ، فان الله تعالى يقول : لكلِ امرئ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه "[٢] .

وقد عمد أبو العيناء في رسالته هذه الى اثارة جوّ من المرح والدعابة الطريفة لينتزع ابتسام المخاطب ، ويهيئه لاجابة الرجاء وتنفيذ الوعد .

أما رسائل العتاب ، فتعبر عن عواطف الصداقة الرقيقة ، والمودّة التي تقتضي النصيحة وصدق المشورة ، فليس من حق الصديق على أصدقائه أن يغالطوه فيمسكوا عن خطابه ، ويتحاموا عن عتابه اذا بدر منه ما يدعو الى ذلك . ولذا اختلط العتاب بالنصح والوعظ في بعض هذه الرسائل . كتب سعيد بن حميد الى صديق له يعاتبه ويعظه :

" ورأيتُ رائدَ الهوى مالَ بك الى هذا الأمرِ ميلاً أياسَ من رَغِبَ فيك ، ودلّ عدوك على معايبك ، وكشفَ عن مقاتلك ، ولولا علمي بأن غُلظةَ الناصحِ تؤدي إلى نفعٍ في اعتقادِ صواب الرأي ، لكان غيرُ هذا القول أولى بك "[٣] .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، أصله من اليمامة ، ومولده بالأهواز ، سكن البصرة ، ثم انتقل الى بغداد ، وانتجع سامراء ولقي المتوكل . كان حسن الكتابة ، بليغ الخطابة ، مليح الشعر ، سريع الجواب ، حاضر النادرة ، توفي سنة (٢٨٢ هـ) . انظر شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ١٨٠ — ١٨٢ . وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، ص ٣٤٣ — ٣٤٨ ، والديارات ، ص ٩١ . ومعجم الأدباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٨٦ — ٣٠٦ .

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني ، ١٩٦١ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، جـ ١ ، ص ٥٦٠ .

(٣) رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ، جمع وتحقيق يونس السامرائي ، ١٩٧١م ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تفنّن القوم في صور معاتباتهم التي كانت تلطف حينا ، حتى تكاد تخفى عن أهل الرقة والفطنة ، وتغلظ حينا حتى تصل الى حد التقريع والهجاء ، وذلك مرتبط بنفس الكاتب وحاله ، والأمر الذي استثاره عندما وضع رسالته. بعثت عريب الى ابراهيم [1] بن المدبر رسالة تقول فيها :

"استوهبُ الله حياتك قرأتُ رقعتَكَ المسكينة ، التي كلفتها مسألتَكَ عن أحوالنا ، ونحن نرجو من الله أحسنَ عوائده عندنا وندعوه ببقائك ، ونسأله الاجابة . فلا تعودْ نفسَكَ — جعلني اللهُ فداءَها — هذا الجفاء ، والثقة مني بالاحتمالِ ، وسرعةِ الرجوع" [2] .

ويأتي الاعتذار صورة من صور الوفاء التي تركز في بسط الدليل على صفاء الودّ ، وتوكيد الايمان على حسن النية . فيعتذر الكاتب عما نسب اليه من تقصير ، ويلزم نفسه الاقرار بالتفريط في أداء الحقوق وتأدية الفروض ، فالاقرار بالذنب حجة في العفو عن المذنب [3] .

وتطول هذه الرسائل أحيانا لتجمع بين الاعتذار والاستعطاف ، فيتدرج الكاتب الى طلب الصفح ببيان جهله وخطئه ، أو بذكر ما نزل به من الجفاء والعقاب ، مع أسفه وندمه على ما فرط فيه . بأسلوب لبق رقيق يدل على ذكاء الكاتب ، وبراعته في تهدئة الأنفس وانتزاع رضاها.

كتب سعيد بن حميد معتذرا ومستعطفا :

"نبتْ بي عنك غرّةُ الحداثة ، فردّتني اليكَ الحنكة ، وباعدتني منك الثقةُ بالأيام ، فأدنتني اليك الضرورةُ . فسدتُ فلم أصلح لغيرك ، وبخستك معروفَك فلم أهنأ ظلمَكَ . وها أنا قد ألقيتُ

---

(١) ابراهيم بن محمد بن عبيد الله المعروف بابن المدبر الكاتب ، كان كاتبا بليغا ، وشاعرا فاضلا ، خدم المتوكل مدة طويلة ، وكان في رتبة الوزارة ، توفي سنة (٢٧٩هـ) . انظر فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق احسان عباس ، ١٩٧٣م ، دار صادر ، بيروت ، جـ١ ، ص ٤٥ — ٤٧ . ايضا اعتاب الكتاب ، ص ١٥٩ — ١٦٣ . ومعجم الادباء ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ — ٢٣٢ .

(٢) الاغاني ، جـ ٢٢ ، ص ١٧٣ . انظر أيضا رسالة ابن الزيات الى ابراهيم بن العباس الصداقة والصديق ، ابو حيان التوحيدي ، تحقيق علي متولي صلاح ، ١٩٧٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص ٩٧ — ٩٨ .

(٣) انظر في ذلك رسالة أبي علي البصير ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، القلقشندي ، شرح وتعليق علي طويل ، ط١ ، ١٩٨٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ٩ ، ص ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيدى اليك لمّا ضاقتْ عليّ المذاهبُ ، وتقطّعتْ بي السببلُ ، وأدركتني عاقبةُ ما أسلفت ، وارتهنت بسوء النيّة ما قدمت ، فتركتُ ما انكر ، وانصرفتُ الى ما أعـــــرف .(١)

مفردات متجانسة في تراكيب متجانسة ، تدل على قوة منشئها البلاغية ، وحسن توصلـــه الى استمالة المخاطب ، وقدرته العقلية في الحجاج والمنطـــــق .

وتكون هذه الرسائل عادة مجالا واسعا لاظهار المنزلة الرفيعة للمستعطفين ، ومدحهـم بكريم المناقب والشيم . ويبدو أن كتّاب هذا القرن قد عرفوا نفسيّة المخاطب ، وأدركوا ميولهـــا ونوازعها ، فخاطبوه بما يناسبها وبما يرضي غرورها ، ويثير فيها نوازع الفضل والشهامة ، ويعدها للعفو والتجاوز عن الذنـــــب (٢) .

وثمّة ضرب ثالث من المراسلات ، يشمل دعوات الاستزارة التي كان يوجّهها أصحـــاب الأندية والمجالس الى من يأنسون بهم من الأصدقاء والندماء والأدباء ، لحضور مأدبـــة أو منادمة أو خروج الى متنـزه ... وفي هذا الباب نجد كثيرا من القطع الأدبية ، الـــتي تتجلّى فيها الألفاظ العذبة ، والمعاني الأنيقة ، والتشبيهات الحسنة ، التي تصف مجالـــس الأنس ، وما تضمه من مباهج ومسرّات لتشويق المستزار الى الحضور وتلبية الدعـــوة .

كتب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الجلّة يستدعيـــه :

" يومنا يومٌ لينٌ الحواشي ، وطيءُ النواحي ، وسماؤنا قد أقبلت ، ورعدتْ بالخير وبرقت ، وأنت قطبُ السرور ، ونظامُ الأمور ، فلا تفردنا فنقلّ ، ولا تنفرد عنا فنـذلّ " (٣) .

---

(١) اعتاب الكتّاب ، ص ٩٦ .

(٢) انظر رسالة للجاحظ في الاستعطاف ، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، جمال الدين بن نباتة المصرى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٨٦ ، منشـــورات المكتبة العصريـة ، صيـدا ، بـيروت ، ص ٢٥٥ . انظر أيضا رسالة أبي علي البصير الى عبيد الله بن يحيى ، زهر الآداب وثمر الألباب ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصرى ضبطه وفصله د . زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بـيروت ، جـ ٢ ، ص ٤٣٧ .

(٣) زهر الآداب ، جـ ٢ ، ص ٤٩٧ . انظر أيضا رسالة الحسن بن وهب في البصائر والذخائر التوحيدي ، تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، ١٩٦٤ ، مطبعة الانشاء ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ ــ ٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن شيء آثر لنفوسهم ، ولا أشرح لصدورهم من صديق تقل مؤونته ، ومحـــدث لا يمـل ، وجليس لا يتحفظ . لذلك كانوا يستعجلون اللقاء ، وكانت الرسائل والكتـــب تتواتر اذا أبطأ أحدهم عن تلبية الدعـــوة .

واذا أصبحت الأندية والمجالس تقليدا اجتماعيا ، فقد أصبح تقديم الهدايا الـــى الأهل والأصدقاء وأصحاب الدولة والسلطان تقليدا آخر بين الناس يحرصون عليه ، ويتبارون فيه ، فكثرت الهدايا وتنوعت ، وتفنن القوم فيهـــا [١] .

وكانت العادة جارية أن يدرج مع الهدية رسالة تودع من أوصاف الشيء المهدى مـــا يحسنه في نفس المهدى اليه ، ويمهد لقبول الملاطفة دون تفخيم أو اشارة الى جلالة قدرهـــا ، فان ذلك يخل بشروط المروءة [٢] . كتب عبد الله بن طاهر الى المأمون مع فرس أهـــداه :

" قد بعثتُ إلى أميرِ المؤمنين فرساً يَلحقُ الأرانبَ في الصعداء ، ويجاوزُ الظباءَ فـــي الاستواء ، ويسبقُ في الحدورِ جريَ الماء ، ان عُطِفَ حار ، وان أُرْسِلَ طار ، وان حُبس صفـــن ، وان استوقف قطـن ، فهو كما قال تأبط شـــرّا :

ويَسْبِقُ وفدَ الريـحِ من حيثُ ينتحـــي بمنخرقٍ من شدّه المتتابـــعِ " [٣]

وقد يربط المهدي بين أوصاف ممدوحه ، وأوصاف هديّته بمشاكلة لطيفة ، كتلك الـــتي

---

(١) المحاسن والأضداد ، المنسوب الى الجاحظ ، قدم له وراجعه د . عاصم عيتاني ، ط١ ، ١٩٨٦م ، دار احياء العلوم ، بيروت ، ص ١٣٣ . والمستطرف ج٢ ، ص ١٢٠ ــ ١٢١ ، أيضا التحف والذخائر ، ص ١٩ . والاغاني ، ج١ ، ص ٧٥ .

(٢) انظر صبح الاعشى في صناعة الانشـــا ، ج٩ ، ص ١٠١ .

(٣) نهاية الارب في فنون الادب ، شهاب الدين النويري ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعـــة والنشر ، ج١٠ ، ص ٦٩ . لم أجد قول تأبط شرا في ديوانه الذي حققه علي ذو الفقار شاكر ، ط١ ، ١٩٨٤م ، دار الغرب الاسلامـــي ، بـــيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقدها الكندي[١] بين صديقه وسيف أهداه اليه :

" الحمدُ لله الذي خصك بمنافعَ كمنافع ما أُهديت ، وجعلكَ تهتزُّ للمكارم اهتزازَ الصارم ، وتمضي في الأمورِ مضاءَ حدهِ المأثور ، وتصون عرضَك بالإرفاد ، كما تصانُ السيوف بالأغماد ، ويطردُ ماءُ الحياءِ في صفحاتِ خدّك المشوف ، كما يشفُّ الرونقُ في صفائحِ السيوف ، وتصقلُ شرفَك بالعطياتِ ، كما تصقلُ متونَ المشرفيات "[٢] .

واذا كان المهدى اليه ذا همة ، لم يستعظم نفيسا ولم يستصغر خسيسا ، فكل يهدي على قدر بضاعته ورتبته وموضعه من سيده . فالاعتراف بالتقصير عن الحق ، مع الثناء والدعاء الحسن ، هدية تبهج القلوب ، وتزيد في الانس ، وتقضي بعض الحق .

وعلى نحو ما أكثروا من الكتب والرسائل مع الهدايا ، أكثروا منها أيضا في التهنئة مع كل مناسبة . فهم يهنئون بسلامة العودة من رحلة أو سفر ، ويهنئون باعتلاء المناصب وتقلد الأعمال ، ولا يفوتهم حمل التهاني الى من رزق بمولود ، فيستبشرون بمقدمه ، ويتفاءلون له ولوالده بضروب الخير والسعادة[٣] .

وهم اذ يشاركون الآخرين فيما خصّهم الله به من النعم ، فانه ينالهم من ألم الرزية ، وفاجع المصيبة ما ينال أهل مودتهم واخائهم في حال المحن . فتأتي رسائل التعزية لتصور لواعج نفوسهم ، وصادق احساسهم بالمصاب تصويرا يعتمد على ايراد العبارات التي تحمل

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، يرجع في نسبه الى يشجب بن يعرب ، فيلسوف العرب ، كتب في علوم مختلفة كالمنطق ، والفلسفة ، والهندسة ، والموسيقى ، والنجوم ، وله أخبار حسان ، ونوادر في البخل ، توفي سنة (٢٦٠هـ) . الفهرست ، ص ٣١٥ أيضا سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص ٢٣١ . والأعلام ، جـ٨ ، ص ١٩٥ .

(٢) زهر الآداب ، جـ٣ ، ص ٨٣٨ .

(٣) انظر مثلا رسالة ابن المعتز في التهنئة بمولود ، أشعار أولاد الخلفاء ، أبو بكر الصولي ، عني بنشره ج . هيورث . د . ن ، ط٢ ، ١٩٧٩ ، دار المسيرة ، بيروت ، ص ٢٩٣ . وانظر أيضا رسالة سعيد بن حميد الى بعض اخوانه يهنئه بعمل تولاه ، رسائل سعيد ابن حميد ، ص ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الصبر ، وتقدم التخفيف والعزاء ، بالتذكير بحال الدنيا وسرعة زوالها ، ونفاد لذاتها ، وان من صحبها لم يخل من تصرف أحوالها. والتهوين من شأن المصيبة التي وان عظمت ، صغيرة في ثواب الله عليها ، ضئيلة بين نعم الله (١) .

ومن رسائل الرثاء الطريفة رسالة ابراهيم بن العباس (٢) الى الواثق يعزيه بأبيه المعتصم ، ويهنئه بالخلافة ، وهي على غرار ما كان يفعله الشعراء . جاء في تلك الرسالة:

"وقد كانَ من وفاةِ أميرِ المؤمنين المعتصم بالله ، ومن مشيئةِ الله في ولايةِ أميرِ المؤمنين الواثقِ بالله ، ما عفا على أوله آخرُه ، وتلافتْ بدأتُه عاقبته ، فحقّ اللهِ في الأولى الصبر ، وفرضُه في الأخرى الشكر . فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يستنجزَ ثوابَ الله بصبرِه ، ويستدعي زيادته بشكره ، فعل إنْ شاءَ الله تعالى وحده" (٣) .

وتكثر في هذه الرسائل الجمل الدعائية ، وهو أمر يقتضيه هذا اللون من التعبير ، فيدعى للميت بالرحمة والجزاء الحسن ، وللمخاطب بحسن المثوبة والأجر ، والتوفيق للشكر عند النعم وللصبر عند المحن (٤) .

وكانت ثمة مقاصد وأغراض أخرى أملتها طبيعة الظروف الخاصة التي شهدها القرن الثالث ، وعالجتها الرسائل الاخوانية ، لم نطرقها توخيا للايجاز ، ولأن أغلبها كان يدور حول مواضيع فرعية تدخل ضمن الأغراض العامة التي ذكرت سابقا .

---

(١) انظر في ذلك مثلا رسالة الحسن بن وهب الى محمد بن عبد الله بن طاهر في التعزية، التعازي والمراثي ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد الديباجي ، ١٩٧٦م، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، ص ١٨٠ — ١٨١ . أيضا انظر رسالة ابن المعتز الى عبيد الله بن طاهر ، الديارات ، ص ١١٣ — ١١٤ . أيضا البصائر والذخائر ، ج٣ ، القسم ٢ ، ص ٥٥٦ — ٥٥٧ . أيضا أعتاب الكتاب ، ص ١٤٦ — ١٥٢ . ومعجم الأدباء ، ج١، ص ١٦٤ — ١٩٨. وشذرات الذهب ، ج٢ ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٢) ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول أحد الشعراء المجيدين ، وله نثر بديع ، اتصل بالفضل بن سهل ، ثم تنقل في أعمال السلطان ودواوينه الى أن توفي سنة (٢٤٣هـ) . وفيات الاعيان ، ج١ ، ص ٤٤ — ٤٧ . وايضا تاريخ الطبري ، ج٥، ص٣٢٦. وشذرات الذهب، ج٢، ص١٠٢ — ١٠٣ .

(٣) معجم الأدباء ، ج١ ، ص ١٨٩ — ١٩٠ .

(٤) انظر عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، ط١ ، ١٩٢٨م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ج٣، ص ٥٥ — ٥٦ . أيضا رسائل سعيد بن حميد ، ص ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسائل الديوانيّة : ـ

لم تقتصر الرسائل الديوانية في هذا القرن على ما كان يصدر عن ديوان الرسائل من مكاتبات ومراسلات رسمية ، بل كانت تشمل أيضا ما كان يصدر عن الأفراد من رسائل تعالج شؤون الدولة والرعية والحياة العامة .

وقد تعدّدت أشكال هذه الرسائل ، واتسعت ميادينها باتساع الدولة العباسية، وتنوع مرافقها ومتطلباتها ، وواجباتها . ومن أهم ألوانها : الرسائل الادارية التي تضم كتب العهود والبيعات وأخبار الفتوح ووصف المعارك ، وغير ذلك مما يتصل بأعمال الدولة وعلاقاتها مع مواطنيها ومع الدول الأخرى .

وقد كانت بعض تلك المكاتبات تعنى برسم السياسة العامة التي يجب على الوالي أو الحاكم أن يسلكها في معاملته للرعية وادارة شؤونها ، وتنظيم أمورها الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، بما يتوافق وروح الاسلام ، وجوهر تعاليمه . وقد يبدو ذلك واضحا في رسالة طاهر بن الحسين[1] لولده عبد الله حين ولاه المأمون ديار[2] ربيعة . وهي رسالة طويلة تداولها الناس بينهم، واستحسنها المأمون ، حتى أمر أن يكتب بها نسخ الى سائر العمال في الأقاليم[3] .

وتتحول بعض تلك الرسائل الرسمية الى مواعظ خالصة ، وحكم سائرة ، وتوجيهات ونصائح بليغة تدل على قائلها ، المجرب الحكيم الذي عركته الحياة فتعرف على دخائل النفس الانسانية واتجاهاتها .

---

(١) أبو الطيب طاهر بن الحسين الملقب ذا اليمينين ، كان من أكبر أعوان المأمون ، ولاه خراسان سنة (٢٠٦هـ) ، توفي بمدينة مرو سنة (٢٠٧هـ) . وفيات الاعيان ، جـ٢، ص ٥١٧ ـ ٥٢٣ . أيضا سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ . أيضا النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغرى بردى ، ط١، ١٩٣٠م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ص ١٨٤ .

(٢) ديار ربيعة بين الموصل الى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسر والخابور جميعه وما بين ذلك من المدن والقرى ، معجم البلدان ، ياقوت الحموى ، دار صادر ، بيروت ، مجلد ٢ ، ص ٤٩٤ .

(٣) تاريخ الطبرى ، جـ٥ ، ص ١٥٦ ـ ١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم بعد أن رفع اليه بعضهم كتابا يتظلّم فيه من اسحق : —

"من مؤدبٍ مُشفقٍ الى حَصيفٍ مُتأدب ، يا بنيّ ، من عزّ تواضع ، ومن قدرَ عفا ، ومن راعى أنصفَ ، ومن راقبَ حَذِر ، وعاقبةُ الدالةِ غير محمودة ، والمؤمنُ كيس فطن ، والسلام"(١).

وقد جاءت بعض هذه الرسائل الديوانية صدى للصراعات السياسية والفكرية والاضطرابات والفتن التي ألمت بالمجتمع العباسي في هذا القرن . فكثرت المكاتبات والمراسلات التي كانت تجري بين الخلفاء العباسيين والحكام الثائرين على الدولة في بعض المدن والأقاليم ، تدعوهم الى الدخول فيما دخل فيه الناس من البيعة والطاعة . وتذكرهم بما للخليفة عليهم من العهد وعقد الخلافة ، بأسلوب يعتمد الزجر والتخويف والتهديد حينا ، والمصانعة والملاطفة والترغيب حينا آخر(٢) .

فعندما اشتعلت الفتنة بين أهل حمص ضد الحكم العباسي ، كتب اليهم ابراهيم بن العباس عن المتوكل كتابا جاء فيه : "أما بعد ، فانَ أميرَ المؤمنين يرى من حقّ الله عليه بما قوّم به من أود ، وعدّلَ به من زيغ ، ولمّ به من منتشره استعمالَ ثلاثٍ يقدّمُ بعضهن أمامَ بعض ، أولاهن ما يتقدّمُ به من تنبيهٍ وتوفيق ، ثم ما يستظهر به من تحذيرٍ وتخويف ، ثم التي لا يقعُ حسمُ الداء بغيرها : —

أناةٌ فانْ لم تُغنِ عقّب بعدَها وعيداً فان لم يُغنِ أغنتْ عزائمُه"(٣)

وهذا الأسلوب جمع بين النصيحة والانذار ، وعمل في القوم عمل الجيش ، بحسن بلاغته ودقة مغزاه .

---

(١) الديارات ، ص ٣٧ .
(٢) انظر زهر الآداب ، جـ٤ ، ص ١٠٦١ .
(٣) معجم الأدباء ، جـ١ ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أصبحت الرسائل في هذا القرن وثائق تاريخية سياسية لها أهميتها في تصوير تلك الأحداث ، والكشف عن أدق الأمور التي ألمّت بالمجتمع العباسي ، ورسم ملامحه المختلفة.[1]

ومن الرسائل الديوانية ما هو أشبه برسائل الحوار والجدل الديني ، الذي يأتي توضيحا وردا على ما كان يدور في المجتمع من صراعات فكرية وعقائدية مختلفة .

كتب ابن أبي[2] دؤاد الى عبد الله بن موسى بن جعفر يسأله عن القول في القرآن ويدعوه اليه ، فأجابه عبد الله : "نحنُ نرى الكلامَ في القرآنِ بدعة يشتركُ فيها السائلُ والمجيبُ، فتعاطى السائلُ ما ليسَ له ، وتكلفَ المجيبُ ما ليس عليه ، ولا يعلمُ خالقٌ الا الله ، وما سواه مخلوق ، والقرآنُ كلامَ الله ، فانتهِ بنفسك ومخافتك الى اسمه الذي سماه الله به ، وذرّ الذين يلحدون في أسمائِه سَيُجزونَ ما كانوا يعملون ، ولا تسمّ القرآنَ باسمٍ من عندك فتكونَ من الضالّين ."[3] .

وقد تميّزت أغلب هذه الرسائل ، ولا سيّما تلك التي كانت تصدر باسم الخليفة ، بالدقة في عرض الفكرة وتنظيمها ، واستيفاء المعاني ، وتقصي الشواهد المختلفة نظرا لما تقوم عليه من الجدل ونقض الآراء[4] .

---

(١) انظر الرسائل المتبادلة بين ذي الشامة وقادته ، تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ٦٤٨ــ٦٥٠ . أيضا رسالة عنبسة بن اسحق الى المأمون يصف خروج الأعراب بناحية سنجار ، زهر الاداب ، جـ٤ ، ص ١١٤٧ ــ ١١٤٨ .

(٢) أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ، كان معروفا بالمروءة والعصبية ، تولى منصب قاضي القضاة زمن المعتصم ، أصابه الفالج في أول خلافة المتوكل ، فقلد المتوكل ولده محمد القضاء مكانه . الى أن سخط المتوكل عليه وعلى والده سنة (٢٣٧هـ) . توفي ابن أبي دؤاد سنة (٢٤٠هـ) . الوفيات ، جـ١ ، ص٨١ ــ ٩١ . أيضا شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ٩٣ . وتاريخ بغداد ، جـ٤ ، ص ١٤١ ــ ١٥٦ .

(٣) تاريخ بغداد ، جـ٤ ، ص ١٥١ . نسبت في جـ ١٢ من كتاب تاريخ بغداد ص٧٥ ــ ٧٦ الى منصور بن عمار ، جوابا لبشر بن غياث المريسي .

(٤) انظر مثلا رسالة المأمون في خلق القرآن ، تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ١٨٦ــ١٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما كتب الفتوح ووصف المعارك ، فهي كتب طويلة أشبه بالخطب ، حيث تبرز فيها النزعة الدينية وتكثر فيها التحميدات وتطول ، لتغدو مجالا للدعوة لبني العباس، وتأكيد حقهم في الخلافة لمنزلتهم من الرسول — صلى الله عليه وسلم — فهم أمناء الله على خلقه فيما دعاهم اليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج الحق ، لئلا يتشعب بهم الطرق ، فيجب على الرعية الاخلاص لهم ، والثقة بهم ، والاقبال عليهم (١) . فهي صورة مصغرة عن رسائل الخميس التي كانت تتلمس الحجج القرآنية لكسب المؤيدين والمناصرين للخلافة العباسية (٢) .

وقد يتخذ التحميد أحيانا سبيلا للدفاع عن وجود الله واثبات وحدانيته ، بالأدلة العقلية والأساليب المنطقية ، فتغدو مظاهر الكون آيات بيّنات ، وحججا واضحة تشهد له بعز القدرة ، ونفاذ الحول والقوة (٣) .

أما كتب الأمانات والعهود فكانت تكتب بصيغة دقيقة متينة محكمة ، تحفظ الحقوق لأصحابها ، ويستشهد فيها بالله والخلق (٤) .

وقد أصبحت للرسائل الديوانية الصادرة عن ديوان الرسائل قواعد وتقاليد مقررة ، منها أنها كانت تبتدئ غالبا بالبسملة ، وكانت عناوين المكاتبات الصادرة عن الخليفة تحتل الجانب الأيمن من الرسالة . فيذكر اسم الخليفة واسم أبيه وكنيته ، وفي يسار الرسالة يذكر المرسل اليه .

---

(١) انظر رسائل سعيد بن حميد ، ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(٢) رسائل الخميس: هي الرسائل التي كان يوجهها خلفاء العصر العباسي الأول بمجرد توليهم الخلافة الى أهل خراسان وغيرهم ، ويبسطون فيها حقهم في الخلافة ، واستحقاق الخليفة القائم بها لما امتاز به من مناقب حميدة ، وما ينبغي على أهل خراسان من الولاء له . وكان يكتبها أفضل الكتاب عامة ، ومن هؤلاء الكتاب عمارة بن حمزة كتب للمنصور ، وأحمد بن يوسف للمأمون ، وابراهيم بن العباس للمتوكل . انظر العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ص ٥٤٤ .

(٣) انظر تحميد لسعيد بن حميد في فتح عن وصيف ، رسائل سعيد بن حميد ، ص ٩٥ .

(٤) انظر عهد المتوكل الى أبنائه ، وكتاب بيعة المنتصر ، تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٣٠٧ — ٣٠٩ ، ٣٤٢ — ٣٤٣ ، وأمان الخليفة المأمون الى نصر بن شبث ، الطبري ، جـ ٥ ، ص ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخذ بعض الكتّاب في هذا العصر يجيزون الابتداء في المكاتبة باسم المكتوب اليه ، محتجين بأن الصحابة — رضوان الله عليهم — كانوا يكتبون الى النبي — صلى الله عليه وسلم — بهذا الأسلوب . وهم بذلك يردّون على من رأى في ذلك عادة فارسية أخذها العرب من العجم الذين كانوا يبدأون بملوكهم اذا كتبوا اليهم (١) .

وكان المرسل يعنون رسالته بلفظة العبد ، وقد كره بعضهم هذه العادة ، ومنهم طاهر ابن الحسين فقد رأى رقعة كتبها ابنه عبد الله الى المأمون عليها لفظة "عبده" فنهاه عن ذلك قائلا : "يا بنيّ ، سميتك عبدَ الله وكذلك أنت ، فلا تشركنّ في الملكِ أحداً ، فانه جعلك بانعامه حرّاً لا مولى لكَ سواه" (٢) . ولعل هذه الكراهية عند طاهر بن الحسين كان لها دوافعها السياسية والنفسية ، قبل أن يكون دافعها دينيا كما يقول .

أما الصلاة على الرسول الكريم وتوابعها ، فانها تكون بعد التحميد ، ثم يدعى للمكاتب بعد "أما بعد" باطالة البقاء ودوام العزّ والتأييد ، واتمام النعمة وزيادة الاحسان . وكان الفضل بن سهل أول من استعمل الدعاء على العنوانات (٣) .

ويشرح بعد ذلك الأمر الذي يراد ذكره ، وتتوالى الفصول بالدعاء ، بعبارة واضحة ، ولفظ متين . وكان الرسم جاريا أن يقتصر في الكتاب الواحد على معنى واحد ، وتكون المعاني اذا كثرت في عدّة كتب .

وتأريخ الرسالة مهم لما في ذلك من دلالة على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها . وقد جعلوا للتأريخ قاعدة يسيرون عليها ، فكانوا ينظرون الى ما مضى من الشهر وما بقي منه ، فان

---

(١) انظر صبح الاعشى ، جـ٦ ، ص٣١٦ — ٣١٧ . روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام: "اذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه الا الى والد أو امام" . رسوم دار الخلافة ، أبو الحسين هلال بن المحسن الصابيء ، تحقيق ميخائيل عواد ، ١٩٦٤م ، مطبعة المعاني ، ص١٠٥ .

(٢) أدب الكتاب ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، صححه ونظر فيه محمد بهجة الأثري ، ومحمود شاكر الالوسي ، ١٣٤١هـ ، المكتبة العربية ، جـ٢ ، ص١٤٧ .

(٣) انظر رسوم دار الخلافة ، ص ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان الماضي أقلّ من نصف الشهر ، قالوا لكذا ليلة مضت من شهر كذا ، وان كان الباقي أقـــلّ من النصف قالوا لكذا ليلة بقيت من الشهـــــر (١) .

أما كاتب الرسالة فاذا كان مكنيا ذكر بكنيته ، واذا كان مكنيا ملقبا ، ذكر لقبه ثـــم كنيتـه (٢) . والسلام يكون ابتداء وانتهاء. فقد ذكر أن أحمد بن (٣) يوسف قال لكاتبـه :

"اكتب في أول كتابك : "سلام عليـك "واجعلهُ تحيةً . وفي آخره "والسلام عليـــك " واجعله وداعا. لأن سلامَ التحيةِ يكونُ ابتداءً فيكون نكرة ، وسلامُ الوداعِ يكونُ انتهاءً فيكـــون معرفة لرجوعه الـــى الأول (٤) .

وقد لاحظت الباحثة اشتراك الرسائل الاخوانية والديوانية بمجموعة من السمات علـــى الرغم من الاختلاف في شكلها العام ، وفي مضمونها .ومن هذه السمـــات : —

١ — تشعب مواضيع الرسائل الاخوانية والديوانية وتعدّد أغراضها ، وتنوع موضوعاتهـــا .

٢ — تنويع مطالع الرسائل وخواتمها وفق ما يقتضيه المقـــام.

لم يلتزم كتّاب هذا القرن طريقة واحدة في أساليب البدء والختام ، فأخذوا يراعـــون الظروف ومقتضيات الحال ، ويضعون كل معنى في موضعه . فنوعوا البدء والختام باختـــلاف أغراض كل كتاب ، فصارت رسائلهم الاخوانية على اختلاف أغراضها وموضوعاتها تخلو في الغالـب من الاستفتاح المعروف في البدء بحمد الله والصلاة على نبيّه ، واستخدام أما بعد ، وتبـــدأ

---

(١) الرسالة العذراء ، ضمن جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر العباسي الاول ، احمد زكي صفوت ، ط١ ، ١٩٣٧م، جـ٤ ، ص٢١٨ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصـــر .

(٢) رسوم دار الخلافـــة ، ص ١١٢ .

(٣) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب من أهل الكوفة ، كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون ، توفي سنة (٢١٣هـ) وقيل سنة (٢١٤) هـ، الوافي بالوفيات، الصفدي ، باعتنـاء محمد يوسف نجم، ١٩٧١م، دار صادر، بيروت ، جـ٨، ص٢٧٩ــ٢٨٢ . وايضا اعتاب الكتاب، ص ١١٣ــ١١٦.

(٤) صبح الأعشـــى ، جـ٦ ، ص ٢٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ببيت من الشعر ، أو بالدعاء للمرسل اليه ، أو بالدخول في الموضوع مباشرة من غير مقدمة ، أو بتمهيد يتناسب مع الموضوع ويكون دليلا واضحا على مرادهم ، وبرهانا شاهدا على مقصدهم (١) .

ولا يعني الأمر خلو الرسائل تماما من مقدمات الاستفتاح المعروفة ، خاصة الرسائل الرسمية . وكان الكتّاب في هذا القرن يجيبون على الرسائل مبتدئين — أحيانا — بما يفيد وصولها ، وقد يعقبون بالثناء على مرسلها ، ثم يسوق المنشيء فحوى الرسالة التي تختتم بما يقتضيه المقام . ففي موضع ذكر الشكوى تختتم بمثل "والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل "، وفي موضع ذكر البلوى "نسأل الله دفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء" وفي موضع ذكر النعم بمثل "والحمد لله خالصا ، والشكر لله واجبا "(٢) .

وقد تختتم الرسائل بالسلام أو الشعر ، أو بآية من القرآن الكريم ، أو الدعاء بالتوفيق . على أن الختام بالمشيئة كان اللازمة الواضحة في معظم رسائل هذا القرن الاخوانية والديوانية على حدّ سواء ، وهي نزعة دينية في تفويض الأمر لله . والتفويض يجعل الرجاء غالبا في نفوسهم .

٣ــ تضمين الشعر في رسائل القرن الثالث الهجري .

مع أن الشعر كما يقول صاحب "مواد البيان" فيما يرويه القلقشندي صناعة مغايرة لصناعة الترسل ، وادخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحب أحيانا (٣) ، الا أن كتّاب هذا القرن — الذين كانوا في الغالب شعراء يجمعون بين بلاغة الشعر وبلاغة القلم — أحسنوا التوليف بين الصناعتين . فكانوا يسلكون فيما يكتبون بعض أبيات الشعر من نظمهم أو من تأليف سواهم من الشعراء . وكانت هذه الأشعار تكتب في مفتتح الرسائل أو وسطها أو خواتيمها ، لبيان المعنى ، وايضاح الفكرة . لذلك نرى كتب الأدب في هذا القرن تعنى عناية كبيرة

(١) صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ٢٦٥ .
(٢) الرسالة العذراء ، ص ٢٠٩ . أيضا صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ٢٨٢ــ٢٨٣ .
(٣) صبح الاعشى ، جـ ٦ ، ص ٢٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بجمع الأشعار الجيدة ، والحث على حفظها ، واستخدامها في المخاطبات والمراسلات. يقول المبرد : " هذه أشعارٌ اخترناها من أشعار المولدين ، حكيمةٌ مستحسنة يحتاجُ اليها للتمثل لأنها أشكل بالدهر ، ويستعارُ من ألفاظِها في المخاطباتِ والخطبِ والكتبِ "(١) .

وإذ يورد الجاحظ كراهية التمثل بالشعر في رسائل الخلفاء والملوك (٢) ، فان هذه الكراهية أخذت تتلاشى تدريجيا ، فيكثر الشعر في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء والوزراء الى من دونهم وبالعكس ، وان اشترط في الشعر الذي يضمن الرسائل الموجهة الى الخلفاء والأمراء أن يكون من نظم الكاتب كما يقول ابراهيم بن المدبر (٣) .

٤ — الجمل الدعائية : —

أكثر كتّاب هذا القرن من استخدام الجمل الدعائية في رسائلهم ، كثرة دعت الشاعر محمود الوراق الى القول : —

كلّ من حلّ سرّ من رى من النا س ومَنْ قدْ يُداخلُ الأملاكا
لو رأى الكلبَ ماثلاً بطريقٍ قال للكلبِ يا جُعلتُ فداكا (٤)

وقد رتّب الدعاء على مراتب ، فجعلوا أعلاها الدعاء باطالة البقاء والعمر . والمدّ في العمر يكون دون الدعاء باطالة العمر ، لأن المدّ قابل للمدّة الطويلة والمدة القصيرة كما يقول القلقشندي (٥) .

وكما مايزوا بين الجمل الدعائية وجعلوها على مراتب ، فقد مايزوا بين المناصب بالدعاء وجعلوا لكل فئة شكلا للدعاء يختلف عن غيره . قال الحسن بن وهب : —

---

(١) الكامل ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد أحمد الدّالي ، ط١ ، ١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج٢ ، ص ٥١٢ .
(٢) انظر البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ج١ ، ص ١١٨ .
(٣) الرسالة العذراء ، ص ٢٠١ — ٢٠٢ .
(٤) ديوان محمود الوراق ، جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي ، ١٩٦٩م ، مطبعة دار البصري ، بغداد ، ص ٩٨ .
(٥) صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"كاتبْ رئيسَك بما يستحقُّه ، ومن دونك بما يستوجبه ، وكاتبْ صديقَك كما تكاتب حبيبَك ، فانّ طرقَ الصداقةِ أفلحُ من طرقِ العلاقة ." (١) .

وكانوا لا يجيزون الدعاء بالتأييد الا للسلطان وأوليائه الذين يحتاجون الى التأييد ، ولا يكون للنساء ولا لأهل الذمة (٢) . ولا يكتب بمثل "أبقاك الله وأمتع بك" الا الى الحرمة والأهل والتابع ، أما في كتب الأصدقاء والاخوان ، فذلك غير جائز ، بل هو مذموم . ولا نعرف وجها لذلك فما الامتاع يعني بقاء المخاطب حتى يتمتّع به أحباؤه . فما المانع أن يدعو الكاتب لصديقه بالبقاء ليتمتّع باخائه وقربه ومودّته ؟!

كتب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات :ـ

أحُلْتَ عمّا عهدتُ من أدبك ... أم نُلتَ مُلكاً فتهتَ في كُتُبِكْ
أمْ هَلْ ترى أنّ في التواضعِ للـ ... اخوانِ نقصاً عليكَ في حَسَبِكْ
أتعبتَ كفيكَ في مُكاتبتي ... حَسْبُكَ مما يزيدُ في تَعَبِكْ
ان جفاءَ كتابُ ذي أدبٍ ... يكتبُ في صدره "وأمتعَ بكْ" .(٣)

وقد استقر هذا الترتيب بين الناس ، وجعلوا اسقاطه جحدا للحقوق ، ويقال انّ أول ما قاد العداوة بين ابن الزيات وابراهيم بن العباس ، أن ابن الزيات لما ولي الوزارة نقص ابراهيم عما يستحقه من الدعاء ، فلم يحتمل ابراهيم ذلك لمكانته من الدولة والكتابة ، فعاتبه في ذلك فلم يعتبه ، فأدى ذلك الى خصام وهجاء بينهما (٤) .

والأدعية تستعمل فيما يتعلق بصلاح الدين ، وغبطة الآخرة ، وطيب الحياة ، وادامة النعمة ، وكل ما يمكن أن يدعى به ، مع مراعاة المناسبة بين الدعاء والمدعو له والمقام .

(١) البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب ، تحقيق د . احمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثي ، ط١ ، ١٩٦٧ م ، مطبعة العاني ، بغداد ، ص ٣٣٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .
(٣) الرسالة العذراء ، ص ٢٠٦ .
(٤) أدب الكتاب ، ج٢ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد برز المديح في مختلف أغراض الرسائل الاخوانية كالاستمناح ، والشفاعات ، والاستعطاف ، وفي بعض الرسائل الديوانية ، كرسائل الفتوح والعهـــــود .

٥ــ تنـــوّع الأسلـــوب :

ان العبارة الموجزة التي تعطي معاني أكثر من ألفاظها بلاغة كان لها في نفس القـــوم مقامها . قال ابن المعتز: "ما رأيتُ بليغاً الا رأيتُ له في المعاني اطالة ، وفي الألفـــاظ تقصيراً"(١) . الاّ أن الايجاز ليس بمحمود في كل موضع ، فقد يؤدي الى استغلاق وتعميـــة على القارئ ، حتى ليشكل عليه أحيانا فهم المعنى . ومن هذا النمط رسالة عريب الـــتي ردت بها على دعوة مجموعة من الأدباء ، حين دعوها الى زيارتهـــم(٢) .

وزيادة اللفظ لايضاح المعنى وتوكيده في النفس، دون حشو أو خطل لا يقل في بلاغتـــه عن الحالة الأولى ، فليس "باطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة ، ووقف عند منتهى البغيـــة"(٣) .

ان مسألة الايجاز والاطناب في رسائل هذا القرن كانت تجري في الغالب على مقتضـــى الحال ، فلكل واحد منهما حين يحسن فيه ، وموضع يليق بـــــه .

وكما تضمنت رسائلهم الايجاز والاطناب ، تضمنت في الآن نفسه شيئا من النثر المرســـل ، وشيئا قليلا من السجع الذي بدأت طلائعه تظهر عند كتاب القرن الثالث من حين الى آخـــر في كلامهم ورسائلهم . الاّ أنه سجع قصير غير متكلف ، كهذا الذى نجده في رسالة أبـــي العيناء التي ألفها في ذمّ أحمد بن الخصيب(٤) ، وذكر ما فيه من جهالة وتغفيـــل(٥) .

(١) نهايـــة الأرب ، جـ٧ ، ص ١١ .
(٢) الاغانـــي ، جـ ٢١ ، ص ٧٠ .
(٣) الحيـــوان ، جـ٦ ، ص٧ .
(٤) أبو العباس أحمد بن أبي نصر الخصيب بن عبد الحميد بن الضحاك الجرجاني الأصل ، وزر للمستنصر والمستعين ، وكان ينسب الى الطيش والتهور ، نفاه المستعين الـــى جزيرة اقريطش سنة (٢٤٨هـ) وتوفـي سنـــة (٢٦٥هـ) . انظر الوفيات ، جـ١ ، ص١٨٧ ــ ١٨٨ . أيضا مشاكلة الناس لزمانهم ، اليعقوبي ، تحقيق وليم ملورد ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ص ٣٣ ــ ٣٤ . وسير أعلام النبلاء ، جـ١٢ ، ص ٥٥٣ ، وشذرات الذهب ، جـ٢ ، ص١٤٩ .
(٥) جمع الجواهـــر في الملح والنـــوادر ، تحقيق محمد البجاوى ، ط٢ ، ١٩٨٧م ، دار الجيل ، بـــــيروت ، ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الازدواج ، فهو خاصية جمالية تدل على الاقتدار في البلاغة ، وتعطي اللـــــذة الموسيقية التي يعطيها السجع ، الا أنها تمتاز عن السجع بالتحرّر من القيود التي تـــؤدي الى التكلف والتصنّع في كثير من الأحيان ، وتفقد النثر كثيرا من مرونته وقدرته على التعبيـــر . يقول أبو هلال العسكري : "ولا يحسنُ منثورُ الكلامِ ولا يحلو حتى يكونَ مزدوجاً ، ولا تكـــاد تجدُ لبليغٍ كلاماً يخلو من الازدواجِ "(١) .

٦ــ دخـــول شيء من أساليب المتكلمين واستدلالاتهم ومصطلحاتهم الى بعـــض رسائلهـــم(٢) .

٧ــ النزعـة الدينيـــة :

برزت النزعة الدينية في رسائل هذا القرن ، ولا سيّما في رسائل الجهاد ، ووصـــف المعارك وذكر الفتوح والامانات والعهود ، ورسائل التعزية والوعظ . فكان القرآن الكريـــم مادة خصبة للكتّاب ، ينهلون من معانيه وألفاظه ، ويدرجون في ثنايا رسائلهم آيات قرآنيـــة امّا بنصها أو بتفسيرها واستلهام معانيها ، بكياسة وبلاغة وتصرف حصيف بحيث تتناسب وسيـــاق الرسالة وموضوعها ، وتقوم في بلوغ الغاية ما لا تقوم به الأدلة والبراهين المختلفة . كما تمثلـــت هذه النزعة الدينية بكثرة التحميدات وطولها ، وتردد الألفاظ الاسلامية والشرعية وتدفقها في رسائلهـــم(٣) .

٨ــ استعمال ضمير الغائب في كثير من رسائلهم ، ويعود ذلك الى سببين رئيسين هما : ــ

(١) تعظيم المخاطب ، حيث عدل بعض الكتاب عن خطاب المكتوب اليه بخطاب المواجهـــة (الكاف) و (التاء) الى معنى الغيبة اجلالا وتعظيمـــا .

(٢) لم يعد الخليفة أو الوزير أو الوالي يملي على كاتب الديوان المكاتبات الرسمية الصادرة عنه ، بل صار يوكل اليه غالبا انشاء تلك الرسائل وتحبيرها بأسلوبه الخـــاص .

---

(١) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق د . مفيد قميحة ، ١٩٨١م ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٢٨٥ .
(٢) عيون الاخبـــار ، جـ١ ، ص ٩٥ .
(٣) زهـــر الآداب ، جـ١ ، ص ١٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطابة في القرن الثالث الهجري :-

ان ما وصل الينا من هذا الفن النثري في هذه الفترة نزر يسير ، لا نستطيع أن نجعله مقياسا للخطابة وسماتها في القرن الثالث الهجري . غير أن ذلك لا يعني عدم وجود خطابة في هذا القرن ، فقد حفظت كتب التاريخ والأدب أسماء خطباء بليغين لا يقلّون عن من سبقهم بلاغة وقدرة ، كأبي العيناء الذي وصفه صاحب الديارات بأنه "كان حسن الكتابة ، بليغ الخطابة" (١) . وأحمد بن محمد بن شراعة الذي "كان فصيحا يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره" (٢) . وابراهيم بن المهدي الذي كان "أديبا شاعرا ، راوية للشعر وأيام العرب ، خطيبا فصيحا حسن العارضة" (٣) . وأبي محمد جعفر بن مبشر الثقفي الذي "كان فقيها متكلما صاحب حديث وله خطابة وبلاغة ورئاسة في أصحابه" (٤) . وعندما سئل أعرابيّ عن بلاغة ابراهيم بن العباس قال : "يثجثج اللؤلؤ المنثور منطقه في الخطب ، وينظم الدرّ بالأقلام في الكتب" (٥) .

كما أن ثمّة اشارات تؤكد قيام الخطابة بدورها في بعض المواقف السياسية والاجتماعية ، فعندما تمّ القضاء على بابك الخرمي ، قام الخطباء في مجلس المعتصم فتكلّموا (٦) . ويذكر اليعقوبي في تاريخه أن المتوكل أحضر وجوه الناس من كلّ بلد الى سامراء عندما بايع بولاية العهد لأبنائه المنتصر والمعتز والمؤيد ، فأعطاهم الجوائز ، ووزّع على الجند رزق عشرة أشهر ، ووجّه الخطباء ليخطبوا بذلك (٧) . وعندما تزوج المأمون ببوران ، وحمل خراج فارس وكور الأهواز الى والدها الحسن بن سهل "قالت في ذلك الشعراء فأكثرت ، وأطنبت الخطباء في ذلك وتكلمت" (٨) .

---

(١) الديارات ، ص ٩١ .
(٢) الاغاني ، جـ٣ ، ص٢٢ .
(٣) المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ٩٦ .
(٤) الفهرست ، ص ٣٤٣ .
(٥) ثلاث رسائل للتوحيدي ، رسالة في علم الكتابة ، تحقيق د ابراهيم الكيلاني ، ١٩٥١م ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ص ٤٣ .
(٦) مروج الذهب ، جـ٣ ، ص ٤٧١ .
(٧) تاريخ اليعقوبي ، اليعقوبي ، ص ٢٢٠ .
(٨) انظر مروج الذهب ، جـ٣ ، ص ٤٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تؤكد الاشارات السابقة أن الخطابة استمرت في هذا القرن ، وان تراجعت وضعفت أمام الفنون النثرية الاخرى نتيجة لعوامل عدّة منها : —

١ — بروز الكتابة والمناظرة : —

ان مجتمعا نضجت فيه العلوم المختلفة وازدهرت فيه الحضارة والثقافة ، وغلب عليه طابع الفكر والعقل كالمجتمع العراقي في هذا القرن ، لا يرضيه من فنون النثر الا ما يشبع رغبته ، ويفسح له المجال في البيان والتعليل ، وعرض حججه وآرائه ، والتأمل في أفكاره بشيء من الشرح والتفصيل . ويؤكد ايليا حاوي ذلك بقوله :

" ان الخطابة تزدهر وتشيع في عصور البداوة ، حيث يطرب الانسان للانفعال العنيف وينقاد اليه بيسر وسهولة ... وبقدر ما يرتقي الشعب ، ويمعن في تأمل الوجود تأملا فكريا هادئا ، بقدر ذلك تتضاءل قيمة الخطابة فيه "(١) .

فحلت الكتابة محل الخطابة في كثير من مجالاتها (٢) ، وتحوّلت الخطب الى كتب تكتب وتتلى من فوق المنابر ، ففي سنة (٢٨٦هـ) وردّ كتاب من المعتضد بفتح آمد ، وقرئ على المنبر بالمسجد الجامع ببغداد (٣) . ولعل هذا الأمر أدى الى الخلط بين الكتب والخطب عند بعض المؤرخين (٤) .

والمناظرة كانت منافسا آخر للخطابة لم يعطه المؤلفون الأهمية ذاتها التي أعطيت للكتابة في اضعاف شأن الخطابة في هذا القرن . فقد أصبحت المناظرة وسيلة من الوسائل المهمة لقمع الأهواء ، واخماد الفتن ، وكسب المؤيدين ، والردّ على الخصوم والمناوئين من أرباب النحل وزعماء الملل المختلفة ، ودحض آرائهم . وهذا يعلّل لنا مثلا قلّة خطب المعتزلة التي يعزوها د . بلبع في كتابه "أدب المعتزلة" الى عدوان أهل السنة عليها بالاتلاف

(١) فن الخطابة وتطوره عند العرب ، ايليا حاوي ، دار الثقافة ، بيروت ، ص٩ .
(٢) ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان ، محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٢ ، ١٩٥٨ ، دار العهد الجديد للطباعة ، ص ٣٢ .
(٣) تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ٦٢٩ ، ص ٦٤٥ .
(٤) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، آدم متز ، نقله الى العربية محمد عبد الهادي ابو ريده ، ط٤ ، ١٩٦٧م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ١ ، ص ٤٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتدمير [١] . وفي هذا التفسير جانب من الصحة ، الا أنه ليس السبب الوحيد فيما نظن - في قلّتها ، فكتب الجاحظ وهو من زعماء المعتزلة ، ما زالت بين أيدينا الى يومنا هذا ، وهذه الكتب تكاد تخلو من خطب لهذه الفرقة التي فرضت مبادئها أول هذا القرن حتى بداية عهد المتوكل .

ويبدو ان السبب الحقيقي في قلّة خطب المعتزلة وغيرها من الفرق الاسلامية ، أن باب الجدال فتح أمام الجميع ليتناظروا ويتحاوروا معتمدين على العقل والمنطق والبرهان والدليل وترع الحجة بالحجة ، اضافة الى اتخاذ المعتزلة الكتابة وسيلة من وسائلهم في هذا المجال .

٢ — أعجميّة رجال الدولة ، وضعف الأحزاب السياسية في هذا القرن .

شكل الأعاجم نسبة مرتفعة من عناصر السكان في هذا القرن ، بل ان جيش الخلافة العباسية كان يقوم في غالبيته على عناصر غير عربية في قيادته وأفراده ، وهذه العناصر ليس لها معرفة بالفصاحة والبلاغة العربية ، فهم وان ثقفوا اللغة العربية ، وتعلّموها بعد انتقالهم من بلادهم الى العراق على مدار السنين ، الا أنهم لم يصلوا الى المرحلة التي يفقهون بها مرامي الكلام والعبارات البليغة ، التي تمسّ القلب وتثير الوجدان ، فهم لا يحسنون الاستماع ، عوضا عن أنهم لا يحسنون القول ، فآثار العجمة في ألسنتهم حالت دون انطلاقهم فيه ، فأدّى ذلك الى اضعاف الخطابة بصورة عامة ، والخطابة العسكرية بصورة خاصة [٢] .

واذا كانت الخطابة احدى الدعامات التي تقوم عليها الثورات الاجتماعية ، فان هذه الدعامة تفقد دورها ، بل وتختفي في ثورة الزنج ، التي تعدّ من أعنف الثورات التي هدّدت الدولة العباسية في الصميم ، والعلّة في ذلك أن الجموع الكبرى في هذه الثورة كانت من زنج السواحل الشرقية لافريقيا ، كما كان هناك الفراتية ، والقرماطيون ، والنوبة وغيرهم [٣] ،

(١) أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري ، د . عبد الحكيم بلبع ، ١٩٥٩م ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٢) انظر عصر المأمون ، أحمد رفاعي ، ١٩٢٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٤٠٣ — ٤٠٤ ، أيضا ابن المعتز وتراثه في الأدب ، ص ٣٢ . أيضا ملامح النثر العباسي ، د . عمر الدقاق ، ١٩٧٤م ، دار القلم العربي ، حلب ، ص ١٦ .

(٣) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٦ — ٤٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا يستطيع الخطيب مهما أوتي من فصاحة العبارة ، وبلاغة الكلم أن يؤثر في تلك الجموع التي لا تفقه من العربية الا الشيء القليل من التعابير والكلمات العامية .

وضعفت الخطابة السياسية ، ولعل ذلك راجع الى استغناء الخلفاء والولاة عن تبيان سياستهم للناس، فقاعدة الحكم العباسي المستمدة من الشريعة الاسلامية ، والقائمة على أن بني العباس أولى الناس بالخلافة ، لقرابتهم من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ولأنهم صفوة قريش المختارة ، كانت واضحة في أذهان جمهور المسلمين ، الذي قلّ اهتمامه بالمسائل السياسية ، لايمانه بحقّ العباسيين في الرئاسة ، واذ قد عاد الحقّ الى أصحابه ، فليس عليهم بعد هذا أن يشغلوا أنفسهم بالسياسة ومتطلباتها .

٣ـ براعة الخطيب في عدّة فنون :ـ

وربّما كان من أثر ذلك ، طغيان أقوى هذه الفنون على الخطيب وشهرته به . وهذه قاعدة تكاد تكون مطردة في حياة كثير من الأدباء والعلماء ، الذين يجمعون في أشخاصهم عدّة معارف ويحذقونها بدرجات متشابهة أو متفاوتة ، ولو أن أحد هذه المعارف لا بدّ أن يطغى على غيره ، ويشتهر به الأديب أو العالم عند الناس. فاذا ذكر اسحاق الموصلي مثلا ، تداعى الى ذهن القارئ أو السامع صورة أشهر أهل الغناء والموسيقى في القرن الثالث الهجري ، وهو الذي قال فيه الواثق :ـ

"ما غناني اسحاق قط الا ظننت أنه قد زيد لي في ملكي ."(١) . مع أن ثمة صورة أخرى لاسحاق ، لا يعرفها كثيرون منّا ، تختفي في طيّات قول المأمون لجلسائه يوما ، وقد غاب اسحاق عن مجلسه : "لولا ما سبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء ، لوليته القضاء ، فما أعرف مثله ثقة وصدقا وعفّة وفقها ." (٢) .

---

(١) الاغاني ، جـ٥ ، ص ٢٨٥ .
(٢) المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، الوفيات ، جـ٥ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكم منّا يعرف أن محمد بن عبد الملك الزيات كان مقدما في علم النحو ، وأن المازني[1] العالم المشهور في هذا المجال كان يأمر تلاميذه وأتباعه اذا اختلفوا فيما وقع فيه الشك ، أن يرجعوا الى محمد بن عبد الملك ليعرفوا جواب ما اختلفوا فيه[2] .

وهكذا الحال بالنسبة الى الخطباء الذين حفظت المصادر أسماءهم ، فقد تراجعت العناية بما صدر عنهم من خطب أمام ما شاع وعرف عنهم من ألوان المعرفة والأدب الأخرى .

وبسبب من جميع هذه العوامل والظروف ، ضعف شأن الخطابة في القرن الثالث الهجري حتى كادت تقصر على الخطب الدينية ، وبعض الخطب السياسية ، وخطب الشفاعات والاستمناحات.

١ . الخطابة الدينية :—

ظلّ للخطابة الدينية وما اتصل بها من وعظ وارشاد مكانها في هذا القرن ، خاصة أيام الجمع والعيدين وفي مواسم الحج ، وفي كثير من المناسبات الدينية ، وان تراجعت في فترات الاضطرابات والفتن أحيانا ،[3] وكان الخلفاء والولاة يشاركون فيها . ذكر الطبري في تاريخه أن داود بن محمد الطوسي قال للمتوكل مادحا المعتز وبلاغته :—

"واللهِ يا أميرَ المؤمنين لقد رأيتُ الأمينَ والمأمونَ والمعتصمَ صلواتُ الله عليهم ، ورأيتُ الواثقَ بالله ، فواللهِ ما رأيتَ رجلاً على مِنبر أحسن قواماً ، ولا أحسن بديهاً ، ولا أجهر صوتاً ، ولا أعذب لساناً ، ولا أخطب من المعتزِ باللهِ"[4] .

---

(١) أبو عثمان بكر بن محمد المازني ، أستاذ المبرد ، له مجموعة من المصنفات منها : كتاب في القرآن ، وكتاب تفاسير كتاب سيبويه ، كتاب ما يلحن فيه العامة ، كتاب القوافي ، كتاب العروض . توفي سنة (٢٤٨هـ) ، وقيل (٢٤٩هـ) . معجم الأدباء ، جـ٧ ، ص١٠٧ — ١٢٩ . وتاريخ بغداد ، جـ٧ ، ص ٩٣ — ٩٤ .

(٢) الوفيات ، جـ٥ ، ص ٩٤ .

(٣) انظر البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢٦٠ — ٢٦١ .
والكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، جـ٦ ص ١٨٤ .

(٤) تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٣٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالطوسي يمدح المعتز ، ويذكر بعض الصفات التي يجب توافرها في الخطيب ، كحسن القامة ، وسرعة البديهة ، وجهارة الصوت ، ووضوح العبارة ، والقدرة على الافهام . ويمدح العمراني حسن البديهة والبلاغة عند الواثق ، حيث كان "يصعد المنبر ويرتجل الخطب على البديهة من غير أن يروّي فيها ."(١) ويدل ذلك على أن الخطب لم تعد تلقى ارتجالا كالسابق ، حيث أخذت تدوّن ثم تلقى على المنابر ، كما اعتمد بعض الخطباء على الكتّاب في تحبير خطبهم وتدبيجها. ولعلّ الرشيد كان من أوائل من ابتدع هذا الأمر ، حيث طلب من العتابي (٢) عمل خطب للأمين والمأمون لاستخدامها على عتبات المنابر (٣) . ومع هذا كلّه نجد بعض الخطباء يحصرون فلا تسمع لهم خطبة (٤) .

ومن الخطب الدينية خطبة للمأمون يوم الأضحى قال فيها بعد ذكر الجنة والنار:

"عَظُمَ قدرُ الدارين ، وارتفعَ جزاءُ العملين ، وطالتْ مدةُ الفريقين ، اللهَ اللهَ ، فواللهِ انه الجدُّ لا اللعب ، وانه الحقُّ لا الكذب ، وما هو الا الموتُ والبعثُ ، والميزانُ والحسابُ ، والقصاصُ والصراطُ ، ثم العقابُ والثوابُ ، فمن نجا يومئذٍ فقدْ فازَ ، ومن هوى يومئذٍ فقدْ خابَ ، الخيرُ كلّه في الجنةِ ، والشرُّ كلّه في النارِ ."(٥) .

---

(١) الانباء في تاريخ الخلفاء ، ابن العمراني ، تحقيق د . قاسم السامرائي ، ١٩٧٣ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ص ١١١ .

(٢) أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب الثعلبي العتابي ، شاعر كاتب ، صحب البرامكة ، واختص بهم . من مصنفاته كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، توفي في حدود (٢٢٠هـ) . الفهرست ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ . أيضا اعتاب الكتاب ، ص ٩٢ ـ ٩٨ . وفوات الوفيات ، جـ ٣ ، ص ٢١٩ .

(٣) الوزراء والكتاب ، الجهشياري ، تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، ط ١ ، ١٩٣٨م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ص ٢٢٣ .

(٤) المروج ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ .
أنظر أيضا تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٦٠٥ .

(٥) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، العصر العباسي الأول ، أحمد زكي صفوت ، ط ٢ ، ١٩٦٢م ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، جـ ٣ ، ص ١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي خطب المأمون عامة تتردد معاني التقوى ، ويكثر ذكر الموت والجنة والنار والاعتبار بمن مضى ، والترهيب من المعاصي واتباع الشيطان . يقول في احدى خطبه:

"اتقوا الله عبادَ الله ، وأنتم في مهلٍ ، بادروا للأجلِ ولا يغرّنكم الأملُ ، فكأني بالموتِ قد نزلَ ، فشغلتْ المرءَ شواغلُه ، وتولتْ عنه بواطلُه ، وهُيِّئَتْ أكفانُه ، وبكاهُ جيرانُه ، وصارَ الى المنزلِ الخالي ، بجسدهِ البالي ، قد فارقَ الرفاهيةَ ، وعاينَ الكراهية ، فوجهه في التراب عفير ، وهوَ الى ما قَدَّمَ فقير "(١) .

والخطبة كما هو واضح ، موعظة دينية تحث على الزهد في الدنيا ، وتدعو الى العمل الصالح ، والحرص على النجاة ، وطلب الآخرة .

٢ . الخطابة السياسية :-

ذكرنا أن الخطابة السياسية ضعفت في هذا القرن ، الا ما نجده في فترة الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة ، وفي أثناء خروج بعض الفئات والجماعات على سياسة الدولة . وفي هذا المقام نجد خطباء كل فرقة يحضون جماعتهم على القتال ، والاستعانة بالله والثقة به ، والاطمئنان الى تأييده ونصرته لهم ، فهم انما يجاهدون - حسب ادّعائهم - الكفار والمراق .خطب عبد الله بن طاهر جنده وقد سار لقتال الخوارج قائلا :-

". . . . .فاستنجزوا موعودَ اللهِ ونصره ، بمجاهدةِ عدوّه ، وأهلِ معصيتِهِ ، الذين أشروْا وتمرّدُوا ، وشقّوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا من الدينِ ، وسَعَوا في الأرضِ فسادا "(٢).

ولا بدّ للخطيب في هذا المجال من ذكر شجاعة أنصاره ، وحسن بلائهم ، وتقليل شأن أعدائهم ، واظهار الاستخفاف بهم . فهذا طاهر بن الحسين يقابل بين اتباعه وأعدائهم ، ويذكر صفاتهما ، لأن الأشياء تتميّز بأضدادها ، وبذلك يبين الحسن منهما ، يقول :

---

(١) ربيع الأبرار ، جـ٤ ، ص ٢٦٩ .
(٢) جمهرة خطب العرب ، جـ٣ ، ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"يا أولياءَ اللهِ وأهلَ الوفاءِ والشكرِ ، انكم لستُمْ كهؤلاءِ الذين ترون من أهلِ النكثِ والغدرِ ، ان هؤلاءِ ضيّعوا ما حَفِظْتُمْ ، وصغّروا ما عَظّمْتُم ، ونكثوا الايمانَ التي رعيتم ، وانما يطلبونَ الباطل ، ويقاتلونَ على الغدرِ والجهلِ ." (١) .

ولا ينسى الخطيب أن يستعين ببعض الآيات القرآنية لشدّ العزائم ، واذكاء الحماسة والترغيب بالقتال ، والدعوة الى التمسك بالجماعة ، والسمع والطاعة لأولي الأمر ، والتخويف من سوء عاقبة الغدر (٢) .

وقد يتعرض الخطيب الى حياة خصمه الخاصة ، فلا يدع من قول القبيح شيئا الا ذكره به ، ليؤلب الناس عليه ، ويحثّهم على النهوض اليه ، وان من كانت هذه حاله فلا يصلح للخلافة أو الرئاسة (٣) .

وهذه خطبة للمأمون ألقاها وهو بخراسان ، عندما أقبل الناس لمبايعته بالخلافة بعد مقتل الأمين : " أيُّها الناس: انّي جعلتُ للهِ على نفسي أنْ استرعاني أمورَكم أنْ أطيعَهُ فيكم ، ولا أسفكَ دماً عَمْداً لا تَحلّه حدُودُه ، وتسفِكُه فرائضُه . . . ولا أحكمُ بهوايَ في غضبي ولا رضايَ ، الا ما كانَ في اللهِ ولهُ جعلتُ كلّه لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدّداً ، . . . فانْ غيّرتُ أو بدلتُ كنتُ للغير مستأهِلا ، وللنكالِ مُعرّضا ، وأعوذُ باللهِ من سخطه ، وأرغبُ اليهِ في المعونةِ على طاعتهِ ، وأن يحولَ بيني وبينَ معصيتِهِ ." (٤) .

فالمأمون يبيّن للمسلمين خطته ويوضّح لهم سياسته التي سيسير عليها في حكمهم ، سياسة تصبغ الحكم بالصبغة الدينية ، وهي ذات السياسة التي انطلق منها أجداده في بداية قيام الدولة العباسية .

---

(١) تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص٥٥٣ ، جمهرة خطب العرب ، جـ٣ ، ص١٠٨ .
(٢) انظر حول ذلك تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص٥٠٢ ، وجمهرة خطب العرب ، جـ٣ ، ص١١٩ .
(٣) تاريخ بغداد ، ابن طيفور ، صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، ١٩٤٩م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص١٢ . والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، المرزباني ، ط٢ ، ١٣٨٥هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، ص ٢٦١ . أيضا زهر الاداب ، جـ٢ ، ص ٤٦٤ .
(٤) انظر تاريخ اليعقوبي ، ص ١٧٤ . وجمهرة خطب العرب ، جـ٣ ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. الخطب الحفليّة ، وخطب الاستمناح والشّفاعات : —

لا نعدم في هذا المجال مجموعة من الخطب القليلة ، وهي وان تفاوتت في مقاصدها الاّ أنها تحمل في ألفاظها ألوانا من التعبير مشحونة بالمعاني والخلجات النفسية المختلفة ، وتجري على أساليب العرب في الكلام .

قدم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي [1] في وفد من أهل البصرة على المعتضد ، يشكون اليه ما نزل بهم من محن الزمان ، وجور العمال . فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب ، وتكلم أبو خليفة من حيث يسمع خطابه قائلا :

"غُمِرَ العامرُ ، ودُثِرَ الظاهرُ ، واختلفتْ العَوّاءُ ، وخُسِفتْ الجوزاءُ ، وأناختْ علينا المصائبُ ، واعتورتنا المحنُ ، وقامَ كلُ رجلٍ منا في ظلمة ، واصطُلِمتْ الضياعُ ، وانخفضتْ القلاعُ فانظرْ الينا بعينِ الامام ، تستقيمُ لك الأيامُ وتنقادُ لك الأنامُ ." [2] .

وفي خطب الاستمناح — كما في رسائل هذا اللون — لا بدّ للخطيب من مدح المخاطب والدعاء له ، ليستميل قلبه ، ويستدر عطفه ، فيقضي حاجته . ذكر المسعودي أن وفدا من أهل الكوفة قدم على المأمون في حاجة ، فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم :

"يا أميرَ المؤمنين ، يَدُكَ أحقُّ يدٍ بتقبيل ، لعلوّها في المكارم ، وبعدِها عن المآثم ، وأنتَ يوسفيُّ العفوِ في قلّةِ التثريب ، من أرادك بسوءٍ جعلَهُ اللهُ حصيدَ سيفِكَ ، وطريدَ خوفِكَ ، وذليلَ دولتك ." [3] . فأعجب المأمون ببلاغته وأمر بقضاء حاجتهم .

أما محمد بن عبد الملك بن صالح فقد حرص عندما دخل على المأمون ، وقد حيزت ضياعه وقبضت ، على اثارة بواعث الرحمة في نفس المأمون ، بتذكيره بما بينهم من حرمة القرابة ، وسابق

---

(١) الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب الجمحي ، من أهل البصرة ، ولي قضاء البصرة مدة من الزمن . توفي سنة (٣٠٥هـ) . انباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط (١) ، ١٩٥٠م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، جـ٣ ، ص ٥ — ٦ . وايضا معجم الأدباء ، جـ١٦ ، ص ٢٠٤ — ٢١٤ . وسير أعلام النبلاء ، جـ١٤ ، ص ٧ — ١١ .

(٢) مروج الذهب ، المسعودي ، جـ٤ ، ص ١٥٠ .

(٣) المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٤٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خدمات آبائه واخلاصهم للخلافة ، وتصوير محنته وما حلّ به من البأساء والاملاق في صورة تعتمد التوضيح والتفصيل تارة ، والتكرار تارة ، ليثير المشاعر قبل أن ينزع الى الطلب والاستعطاء الذي ارتفع به عن واقعه الفردي ليطلق الكلام في أمر العطاء والكرم بقوله: "انّ كلّ امامٍ مسؤولٌ عن رعيّته ، وان النعمَ لا تنقطعُ بالمزيدِ فيها حتى ينقطعَ الشكرُ عليها ، يا أميرَ المؤمنين انه لا عفو أفضل من عفوِ امامٍ قادرٍ على مذنبٍ عاثر ، وقد قالَ اللهُ عزّ وجل وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبّونَ أن يغفرَ اللهُ لكم"(١).

السّمات الفنّية للخطابة في القرن الثالث الهجري :—

ان ما لدينا من نصوص لا يكفي كما ذكرنا في بداية حديثنا عن الخطابة ، لأن نتخذه عمادنا في تحديد السمات الفنية لخطابة هذا القرن ، الا أننا نستطيع أن نقول انها تميزت بما يلي :—

١— البدء بالتحميدات المتناسبة مع طبيعة مضمون الخطبة ، بحيث يشير التحميد الى موضوعها ، فيفرّق السامع والقارئ بين تحميد خطبة النكاح ، وتحميد خطبة الصلح ، وخطبة العيد .....(٢) ، فعندما دخل طاهر بن الحسين بغداد بعد قتل الأمين ، خطب خطبة بليغة جاء في صدرها : "الحمدُ للهِ مالك الملك يؤتي الملكَ منْ يشاء ، وينزعُ الملكَ ممنْ يشاء ، ويعزّ من يشاء ، ويذلُ منْ يشاء ، بيده الخيرُ وهو على كلّ شيءٍ قدير ، لا يصلحُ عمل المفسدين ، ولا يهدي كيدَ الخائنين"(٣).

فهذا التحميد يدل على مضمون الخطبة عامة ، ويختلف دون شك عن تحميد للمأمون في خطبة نكاح ، حيث قال : "الحمدُ لله ، المحمودُ الله ، والصلاةُ على المصطفى رسولِ

(١) عيون الاخبار ، جـ١ ، ص ١٠٥. الجليس الصالح ، أبو الفرج النهرواني ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط١ ، ١٩٨٣م ، عالم الكتب ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ١١٠ .
(٢) البيان والتبيين ، جـ١ ، ص ١١٦ .
(٣) انظر مروج الذهب ، جـ٣ ، ص ٣٩٩. و جمهرة خطب العرب ، جـ٣ ، ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله ، وخيرٌ ما عمل به كتاب الله ، قال الله تعالى : (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، ان يكونوا فقراءَ يغنهم اللهُ من فَضْله ، واللهُ واسعٌ عليم) (١) .

٢ــ الاستعانة ببعض الآيات القرآنية التي تناسب الحال ، وتشاكل المعنى ، وتوافق المخاطبة وهي في أحوالها كلّها تأكيد من الخطيب لخطبته . وربما عمد الخطيب الى شيء من الشعر يحلي به خطبته ، ولم يكن ذلك ملتزما في جميع الخطب . ويرى الجاحظ الا يتمثّل في الخطب الطوال بشيء من الشعر (٢) .

٣ــ التنويع في الأسلوب ، فيأتي كلامهم في صورة استفهام حينا ، وأخرى في صورة تقرير ، وثالثة في صورة طلب ، وتقصر الجمل تارة ، وتطول تارة أخرى ، فتعبير الخطيب يتبع المقام وما يدعو اليه ، كما أن الاستمرار طويلا على وتيرة واحدة ، يورث الملل في نفوس السامعين ، ويصرف أذهانهم عن متابعة الخطيب ، فلا تؤتي الخطبة الأثر المرجو منها . الاّ أن تنوّع الأسلوب لم يتبعه تنوع في الموضوعات ، فجاءت غير شاملة لأغراض الحياة المتنوعة .

---

(١) مروج الذهب ، جـ٣ ، ص ٤٢٠ .
(٢) انظر البيان والتبيين ، جـ١ ، ص ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوقيعـــــات :ـ

التوقيع في اللغة الاصابة والتأثير القليل الخفيف ، ومنه قولهم : دف هذه الناقـــة موقع ، اذا أثرت فيه حبال الأحمال تأثيرا خفيفا [١] . وهو في الاصطلاح التعليق على الرسائل التي ترفع الى أصحاب السلطان بما يناسبها من القول ، ليسترشد به في فصل الأمور وتنفيـــذ الأحكام . والعلاقة ظاهرة واضحة بين المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، فكلاهما يحمل معنى التأثير ، يؤثر الرحل في الناقة ، ويؤثر القول في مجريات الأمور ، من حيث الاطـــلاق والمنع ، والوصل والقطع ، والولاية والعزل ، الى غير ذلك من الأمور المهمـــة .

واذا كان المعنى اللغوي يحمل صفة التأثير الخفيف ، فان الكلام الموجز القليل يوصف بهذه الصفة أحيانا . ذكر المبرد [٢] أنه كان يوما عند أبي العباس أحمد بن ثوابة [٣] ، فدخل عليه غلامه ، وفي يده رقعة من البحتري ، فقرأها أبو العباس ووقع عليها "توقيعا خفيفـــا" وأمر باصلاحها واعادتها الى البحـــــتري [٤] .

وقد اختلف في أصل التوقيعات ، فذهب بعض الكتاب المحدثين الى أنها أثر مـــن آثار الفرس على الحضارة العربية الاسلاميـــة [٥] . ويرى آخرون في طابعها الموجز ، وسرعـــة

---

(١) "لسان العـــرب" ، جـ٨ ، مادة وقـع . وأدب الكتاب ، جـ٢ ، ص ١٣٤ .

(٢) أبو العباس محمد بن يزيد ، كان اماما في النحو واللغة ، أخذ الأدب عن المازني وأبـــي حاتم السجستاني . توفي سنـــة (٢٨٥هـ) .
ومن تصانيفه كتاب الكامل ، والروضة ، والمقتضب وغير ذلـــــــك .
وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، ص ٣١٣ ــ ٣٢١ . ومعجم الأدباء ، جـ ١٩ ، ص ١١١ ــ ١٢٢ .
وتاريخ بغـــداد ، جـ٣ ، ص ٣٨٠ ــ ٣٨٧ .

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة ، كان كاتبا بليغا ، وله من التصانيف ، "كتـــاب رسائلـه" ، وكتاب رسالته في الكتابة والخط" ، توفي سنة (٢٧٧هـ) ، وقيل سنة (٢٧٣هـ) انظر معجم الأدباء ، جـ٤ ، ص ١٤٤ ــ ١٧٤. واعتاب الكتاب ، ص ١٦٧ ــ ١٦٨ .

(٤) انظر معجم الأدباء ، جـ٤ ، ص ١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٥) انظر تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول . د . عيســـى العاكوب ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ص ٢٥٩ ــ ٢٦١ . أيضا ضحى الاسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، ١٩٦٤م ، جـ١ ، ص ١٨٧ ــ ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاطر صاحبها ، وحضور بديهته ومقدرته على البيان ، أكبر دليل على عروبتها ، فلم يكن العرب في حاجة الى أن يحاكوا غيرهم فيما يلائم طبائعهم (١) .

ونقول برأي الأستاذ أحمد ضيف في هذا المجال ، وهو أن التوقيع ضرب من ضروب التفكير الانساني العام ، يشترك فيه العرب والفرس وغيرهم من الأمم السامية ، وأن التوقيعات العربية تأثرت بما طرأ على الحياة العباسية في جوانبها المختلفة من تطور ، وبخاصة الجانب العقلي والثقافي (٢) .

وقد احتفظت بعض المصادر بعدد من توقيعات بلغاء القرن الثالث الهجري ، وان كانت لا تتناسب في حجمها مع ما كان متوقعا لها من الاتساع ، نظرا لاتساع رقعة الدولة في هذا العصر وما استجد في المجتمع من أحداث كانت تحتاج من أصحاب السلطان وأتباعهم وكتابهم الى النظر اليها ، واصدار رأيهم فيها . والغالب على ظننا أن كثيرا من هذه التوقيعات ، التي هي عبارة عن آية قرآنية أو حكمة سائرة ، أو قول محكم موجز ، تعرضت للاختلاط بغيرها من الحكم والاقوال البليغة التي تميز بها عدد كبير من كتاب هذا القرن ، أو للضياع والفقدان (٣) . وأن ما بقي بين أيدينا من توقيعاتهم لا يشكل الا جزءا يسيرا من هذه التوقيعات التي تدل على فطنة كتاب هذا القرن وبلاغتهم ، وحسن تقديرهم للمواقف ، وقدرتهم على اصابة الغرض باللفظ القصير المناسب .

لقد نشأت تلك التوقيعات بين طبقة الخاصة الذين يهتمون بكلامهم ، فيجودونه وينمقونه ويضفون عليه من فنهم وصناعتهم الشيء الكثير . لذلك نجدهم يعنون عناية ظاهرة بالتنسيق

---

(١) انظر تيارات ثقافية بين العرب والفرس . د . أحمد محمد الحوفي ، ١٩٦٨م ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٢٦٥ . ومظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، محمد نبيه حجاب ، ط١ ، ١٩٦١م ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ص ٣٩٣ . أيضا بلاغة الكتاب ، د . محمد نبيه حجاب ، ط١ ، ١٩٦٥ ، المطبعة الفنية الحديثة ، ص ٩٧ .

(٢) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني . ابراهيم أبو الخشب ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٣) انظر المصون في الأدب العسكري ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٦٠م ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ص ٢٢٨ . أيضا التمثيل والمحاضرة ، الثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ١٩٦١ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللفظي والمعنوي لهذه التوقيعات ، واقامة الوزن فيها . وقع ابن الزيات الى عامل لـــه :

"توهمتُكَ شهماً كافياً ، فوجدتك رسماً عافياً ، لا مُحامياً ولا وافيا " (١) .

والأصل في التوقيع أن يجري مجرى الأمر والنهي في أسلوبه كما يقول ابن درستويه (٢) ، الا أن معظم توقيعات هذا القرن مالت نحو الأخبار ، ومن تلك التوقيعات ما يشير الـــى أن الموقع أخذ يصوغ رأيه في الأمر الذي يعرض عليه في معنى كلي ، أو مبدأ انساني ، أو قاعـــدة عامة ، تبيّن عن تجربته الشخصية ، ورغبته في العظة والنصح . وقّع ابراهيم بن العباس في رقعـة من كتب اليه بذم رجل ومدح آخـــر:

"اذا كانَ للمحسنِ من الجزاءِ ما يقنعه ، وللمسيءِ من النكالِ ما يقمعه ، بذلَ المحسنُ الواجبَ عليه رغبةً ، وانقادَ المسيءُ للحقِ رهبـــةً " (٣) .

واحتلت الجمل الشرطية مكانا بارزا في توقيعاتهم . وقع المأمون الى صاحب أرمينيـــا وقد علم أن الجند استطالوا عليه ، وكسروا أقفال بيت المال وانتهبـــوه :

"اعتزلْ عملَنا ، فلو عدلت لم يَشغَبُوا ، ولو قويت لم يَنْهَبُـــوا " (٤) .

ووقع أبو صالح محمد بن يزداد ، وكان معروفا بحسن توقيعاته ، الى عامل أدلّ بكفايـة:

"أدللتَ فأملت ، فاستصغرْ ما فعلت ، تنلْ ما أملـــت " (٥) .

وقد ابتكر الكتّاب وأجادوا في توقيعاتهم التي تلونت بحسب المقام ، من مؤاخـــاة وألفة وحسن معاشرة ، الى تهديد ووعيد . وقع عبيد الله بن سليمان في شأن عامل خـــرج

(١) البصائر والذخائـر ، ج٢ ، القسم ٢ ، ص ٣٢١ .
(٢) كتاب الكتاب ، ابن درستويه ، تحقيق د . ابراهيم السامرائي ، د . عبد الحسيـــن الفتلي ، ط١ ، ١٩٧٧م ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويـــت ، ص ١٥٩ .
(٣) زهر الآداب ، ج٤ ، ص ١٠٩٠ . انظر أيضا بعض توقيعات عبد الله بن المعتز في كتـاب خاص الخاص ، ، الثعالبـــي ، ص ٩٠ .
(٤) تحفة الوزراء ، الثعالبي ، تحقيق حبيب علي الراوي والدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، ١٩٧٧م ، مطبعة العاني ، بغـــداد ، ص ١٤٧ .
(٥) البرهـــان في وجوه البيـــان ، ص ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن الطاعة : "أنا قادر على اخراج النخرة من رأسه ، والوغرة من صدره ، والنخوة من نفسه" (١) .

أما البلاغة في استخدام الدليل ، والاعتماد على المنطق فنلحظها في توقيع المأمون الى من كتب اليه في السعاية : "انا نرى قبول السعاية شراً من السعاية ، لأن السعاية دلالة والقبول اجازة ، وليس من دلّ على شيء كمن قبله وأجازه" (٢) .

كما نلمح في بعض توقيعاتهم شيئا من روح الدعابة والفكاهة التي تميّز بها نثر هذا القرن . ومن ملح توقيعاتهم ما وقّع به عبد الله بن طاهر الى رجل رفع اليه قصة قد أكثر ترابها : "ان ضمن لنا من الصابون ما نغسل به ثيابنا من تراب قصته ، قضينا حاجته" (٣) .

وقبل الفراغ من الكلام على التوقيعات ، لا بدّ أن نسجل بعض الملاحظات المتعلقة بسماتها الفنية ، ومن أبرز هذه السمات :

١ — أن معظم توقيعات القرن الثالث الهجري تميل الى الايجاز ، الذى يحمل ألوانا من الصور الفنية التي تدل على مقدار ما وصل اليه كتاب هذا القرن من الدقة والمهارة في بناء الجملة وتركيب الألفاظ . الاّ أننا نلحظ شيئا من الاطناب والتعقيد الذى ظهر في نثر هذا القرن ، وأخذ يمتد الى بعض التوقيعات . قال علي بن الجهم في وصف توقيعات ابن الزيات :—

لعائن الله متابعات ... مصبّحات ومُمَسّيات
على ابن عبد الملك الزيات ... عرّض شمل الملك للشتات
وأنفذ الأحكام جائرات ... على كتاب الله زاريات

---

(١) خاص الخاص ، ص ٩٢ .
أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وزير من أكابر الكتاب ، استوزره المعتمد والمعتضد ، توفي سنة (٢٨٨ هـ) . اعتاب الكتاب ، ص ١٧٥ — ١٧٨ .
(٢) المحاسن والاضداد ، ص ٥٤ .
(٣) رسائل التوحيدى ، رسالة في علم الكتابة ، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعن عقولِ الناسِ خارجـــــات يرمي الدواوينَ بتوقيعـــــات
معقداتٍ كرقى الحيّـــاتِ سبحانَ من جلّ عن الصفـــات (١)

٢ــ التوازن وبروز السجع في كثير التوقيعات . وقع المأمون الى من كتب اليه بأن رجـــلا مات ، وخلف مالا ، ولم يترك وارثا الاّ طفلا رضيعـــا :

الطفلُ حبرةُ اللهِ وأنشاه ، والمالُ ثمرةُ اللهِ وأنماه ، والميتُ رحمَهُ اللهُ ، ورضيَ عنـــه وأرضاه ، وأما الساعي لي في أخذِه فلعنه اللهُ وأخـــزاه . (٢)

واذا كان السجع يحدث نغمة موسيقية ، فان المتكلف منه يخرج صاحبه الى غـــير ما يريـــد (٣) .

٣ــ تضمين الشعر في بعض التوقيعات ، وختمها أحيانا بالسلام أو ان شاء الله كما في الرسائل. (٤)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ، ط٢ ، لجنة التراث العربي ، بـــيروت ، ص ١١٨ ــ ١١٩ . ورد في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ، ص٤٢٦ ـ ٤٢٧ مايلي : ــ

على ابن عبد الملك الزيـــات لعائن الليـــه موفـــرات
يرمي الدواوين بتوقيعـــات مطولات ومقصـــرات
أشبه شيء برقـــى الحيـــات

(٢) النجوم الزاهـــرة ، ج٢ ، ص ٢٢٧ .

(٣) انظر حول ذلك الهفوات النادرة ، أبو الحسن محمد بن هلال الصابي ، تحقيق د . صالح الأشتر ، ط١ ، ١٩٦٧م ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ج١ ، ص ٢١٠ .
أيضا الوزراء ، أبو الحسن الهلال بن الحسن الصابي ، تحقيق عبد الستار أحمد فـراج ، ١٩٥٨م ، دار احياء الكتب العربية ، القاهـــرة ، ص ٣٠١ .

(٤) انظر التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون ، تحقيق د . احسان عباس ، ١٩٨٣م ، معهـــد الانماء العربي ، بـــيروت ، ج١ ، ص ٤٢٧ ــ ٤٢٨ .
خاص الخاص ، ص ٨٩ . معجم الأدبـــاء ، ج٤ ، ص ١٥٣ .

تعتبر التوقيعات جواباً سريعاً لرسالة وصلت إلى الديوان ، فهو رد على شكوى رفعت ، أو اعتداء وقع ، لذا أكثر ما تكون وقت الحاكم يرد الجواب محرراً بأسفل المكتوب بقلم أرفعهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤلفات الأدبية :ـ

نجد فيما وصل الينا من الأدب العباسي بعض نصوص استعملت فيها كلمة "أدب" بمعنى الثقافة العامة المتنوعة والشاملة ، التي تشمل التثقيف والتأديب والتهذيب . يفهم هذا الشمول من كلام المبرد في مقدمة كتابه الكامل :

"هذا كتابٌ ألفناه يَجْمَعُ ضروباً من الآداب ما بينَ كلامٍ منثورٍ ، وشعرٍ مرصوفٍ ، ومَثَلٍ سائرٍ ، وموعظةٍ بالغةٍ ، واختيارٍ من خُطبةٍ شريفةٍ ، ورسالةٍ بليغةٍ ....." (١) .

ومن هذا القبيل أيضا قول ابن قتيبة : "اذا أردتَ أن تكونَ عالِماً فاقصدْ لفنٍّ من العلمِ ، واذا أردتَ أن تكونَ أديباً فخذْ من كلِّ شيءٍ أحسنَه" (٢) .

فالمؤلف الأدبي في القرن الثالث الهجري ، كان يعني الكتاب الذي يجمع بين دفتيه ضروبا من الكلام المنثور ، والشعر المرصوف ، كما يجمع آراء كثيرة في أصول النقد الأدبي وقوانين البلاغة العربية ، اضافة الى الأحاديث المأثورة ، والأخبار المتواترة المثيرة ، والحكم الوعظية التي جاءت على ألسنة الأنبياء أو على ألسنة الحكماء من عرب وغيرهم .

وعلى هذا عرفنا مجموعة من المؤلفات الأدبية في نثر هذا القرن ، منها كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والكامل للمبرّد ، والموفقيات للزبير بن بكار .

وقد سار كتّاب القرن الثالث الهجري في مؤلفاتهم هذه على منهجية تأليفية ، حدّدوا غاياتها وسماتها . وقد تتمثل هذه المعالم والسمات في العناصر التالية :ـ

١ـ ان هذه المؤلفات وضعت غالبا لغرض التعليم والافادة ، والحثّ على طلب الأدب والترغيب فيه ، واستمالة القلوب الى المعرفة والفهم (٣) . لذلك نجد الكاتب يهتم بمادة كتابه وألفاظه

(١) الكامل ، المبرد ، جا ، ص ١ ـ ٢ .
(٢) عيون الأخبار ، إبن قتيبة ، جا ، ص ١٢٩ .
(٣) انظر الفاضل ، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ١٩٥٦م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأسلوبه ، فيتخيّر أفضل الألفاظ ، وأحسن التعبيرات ، لكيلا يكون فيها أيّ نشاز أو اضطراب. يقول الجاحظ : " وبناحَفِظَكَ اللّه ـ أعظَمُ الحاجةِ إلى أنْ يَسْلَمَ كتابنا هذا من النبزِ القبيح ، والشوهِ المشين ، واللقبِ السمجِ المعيب ، بل قدْ يجبُ أن نزيدَ في بهائِه ، ونستميلَ القلوبَ الى احتبائِه ، اذ كانَ الأمْلُ فيه بعيداً ، وكان معناهُ شريفاً ثميناً " (١) .

٢ـ الاستطراد وغياب التبويب في كثير من المؤلفات : ـ

وعلّة ذلك حاسة الكتّاب المرهفة ، وعنايتهم بالقارئ ، ورغبتهم الصادقة في شيوع الثقافة بين جميع أبناء الشعب على اختلاف مداركهم العلمية ، ومراتبهم الاجتماعية ، ليصبح الكتاب سلوتيا ملوكيا في آن معا ، يحتاج اليه المتوسط العامّي ، كما يحتاج اليه العالم الخاصي ، ويحتاج اليه الريض ، كما يحتاج اليه الحاذق ، ويشتهيه الفتيان ، كما تشتهيه الشيوخ ، . . . " (٢) . وقد دفعهم ذلك الى تجميل كتبهم والتخفيف من جفاف مادتها بالتنقل والاستطراد ، ليخرج قارئ الكتاب من شيء الى شيء ، ومن باب الى باب ، ومن شكل الى شكل . فيخرج من الخبر الى الشعر ، ومن الشعر الى النوادر ، ومن النوادر الى الحكم العقلية والحجج الصائبة ، فيكون في ذلك استراحة للقارئ ، وانتقال ينفي الملل ، ويدفع السآمة فان النفس كما يقولون قد جبلت على محبة التحوّل ، وطبعت على ايثار التنقل ، والاسماع قد تمل الأصواتَ المطربة ، والاغاني الحسنةَ ، والاوْتارَ الفصيحةَ ، اذا طالَ ذلك عليها " (٣) .

وهذه الاستطرادات تحمل أيضا نماذج متنوعة من معارف كتاب القرن الثالث الهجري ، وميادين ثقافتهم ذات المشارب المختلفة ، وعلى هذا الوجه ينبغي أن نفهم الاستطراد في مؤلفات القرن الثالث الهجري ، وان أدى الاستطراد في غالب الأحيان الى الاضطراب والفوضى في مؤلفاتهم هذه . وكثيرا ما كان الكاتب يدرك هذه الحقيقة ، فيعتذر للقارئ عمّا وقع فيه من تقصير أو خلل أو اضطراب ، ذاكرا العوائق التي حالت بينه وبين ما أراد من التبويب والتنظيم ، يقول الجاحظ : "وأنا مبتدئٌ على اسمِ الله تعالى في القولِ في الضبّ ، على أني أذمّ هذا الكتابَ في الجملةِ ، لأنّ الشواهدَ على كلّ شيءٍ بعينهِ وقعتْ متفرقةً غيرَ مجتمعة ، ولو قدرتُ على جمعها لكانَ ذلك أبلغ في تزكيةِ الشاهد ، وأنور للبرهان ، وأملأ للنفس ، وأمتع لها " (٤) .

(١) الحيوان ، جـ ٣ ، ص ٧٠ . أيضا انظر المقدمة ذاتها في البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٦ ـ ٨ .
(٢) الحيوان ، جـ ١ ، ص ١٠ ـ ١١ .
(٣) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٧ . والبيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ١٨٦ . والكامل ، المبرد ، جـ ٢ ، ص ٧٤٩ ، ٨٨٨ .
(٤) الحيوان ، جـ ٦ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ انظر أيضا البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا يـدلّ علـى مـا كـان يبذلـه المؤلـف مـن جهـد وعنـاء فـي تصنيـف الكتـاب الواحـد .

٣ـ الموسوعيـة : ـ

فالاتجاه الغالب عند كتّاب القرن الثالث الهجري في نثرهم التأليفي هو الموسوعيـة . فمؤلفاتهم تمتاز من حيث موضوعاتها بالاحاطة والشمول والوفرة التي تدل على كثرة النتاج الفكـري في هذا العصر ، مع ميل شديد الى استقصاء المعنى ، وايراد عدد وافر من الشواهد نظمـا ونثرا ، دون أن يعني هذا أنهم كانوا جمّاعين فقط ، اذ أنهم أضافوا الى شواهدهم وما نقلـوه عن غيرهم شروحا ، وتفسيرات وتعليقات كانت لها قيمتهـا .

٤ـ الاهتمـام بالروايـة والاسنـاد : ـ

وهذا الاتجاه يكشف بوضوح روح الأمانة ، والتواضع ، والصدق ، والحرص على توثيـق النصّ عند كتّاب القرن الثالث الهجري . فالاسناد يدفع المؤلف الى التصريح بمصدر أفكـاره حيثما أفاد أو اقتبس ، كيلا يتّهم بادّعاء ما لغيره لنفسـه .

وهم اذ يهتمون بالأسانيد ، لا يقبلون الأمور دائما كما هي ، بل يعملون تفكيرهـم فيها ، فيثبتون ما اقتنعوا بصحته ، ويضربون صفحا عما رأوا فيها ما يثير الشك . فالخبر عندهـم يعرض على معايير من الثقافة الخاصة أو العامة أو العقل ، فما وافقها قبل وأدرج في كتبهم ، ومـا لم يوافقها يعرض عنه ، أو يناقش ويبيّن موضع الصواب والخطأ فيـه [1] . الاّ أنهم قد يستملحـون رواية ما شكهم فيهـا [2] .

وهم يفرّقون بين ما رواه الراوية نتيجة مشاهدته اياه ، وما رواه الراوية مما سمعه . وقـد يسقطون الأسانيد أحيانا ، كما أنهم قد يسقطون الأحاديث والأخبار التي يرويها من لا يرونـه

(١) انظر الحيـوان ، جـ٣ ، ص ٥٣٤ . أيضا الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار ، تحقيق د . سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد ، ص ٤١١ .
(٢) انظر البيان ، جـ٤ ، ص ١٤ ، ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعلا للاسناد والصدق . يقول الجاحظ : "ودخلتُ مرةً أنا وحمدان بن الصباح على عبيد بن التونيزى ، فاذا عنده برنيةُ زجاج ، فيها عشرون عقرباً . . . وحدثنا عنها عبيد بأعاجيب . ولو كانَ عبيداً اسناداً لخبرتُ عنه ، ولكن موضعَ البياضِ من هذا الكتابِ خيرٌ من جميعِ ما كان لعبيد " (١) .

٥ — وجود أثر الثقافات الأخرى في مؤلفاتهم : —

كثيراً ما نجد مؤلفي هذه الكتب ينقلون عن الهند أو مما جاء في كتب الهند من حكم وأقاصيص من مثل "شرّ المالِ ما لا ينفقُ منه ، وشرّ الاخوانِ الخاذلُ ، وشر السلطانِ من خافه البريء ، وشر البلادِ ما ليسَ فيه خصب ولا أمن " (٢) . وبالمثل ، تلقانا قصص وأخبار وحكم منقولة عن الفرس واليونان من مثل ما حكاه الجاحظ عند حديثه عن البلاغة في كتابه البيان والتبيين : —

"قيل للفارسي : ما البلاغةُ ؟ قال : معرفةُ الفصلِ من الوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغةُ ؟ قال : تصحيحُ الأقسامِ ، واختيارُ الكلام .

وقيل للرومي : ما البلاغةُ ؟ قال : حسنُ الاقتضابِ عندَ البداهةِ ، والغزارةُ يوم الاطالةِ .

وقيل للهندى : ما البلاغةُ ؟ قال : وضوحُ الدلالةِ ، وانتهازُ الفرصةِ ، وحسنُ الاشارةِ " (٣) .

---

(١) الحيوان ، جـ٥ ، ص ٢٤٨ .
(٢) عيون الأخبار ، جـ١ ، ص ٣٠ .
(٣) البيان والتبيين ، جـ١ ، ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناظـــــرات :

حدّدت المعاجم اللغوية معنى المناظرة بأنها المجادلة بين اثنين أو أكثر في موضوع ما ،بهدف اثبات وجهة نظر. فقد جاء في لسان العرب : "والمناظـــرة أن تناظر أخاك في أمر ، اذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه ، والتناظر التراوض في الأمر ، وناظره من المناظـــرة " (١) .

وعرف المعجم الوسيط المناظرة بقوله : " ناظر فلانا باحثه ، وباراه فـــــي الحاجة ، وتناظر القوم في الأمر تجادلوا ، والمناظر المجادل المحـاج ". (٢)

وقد احتدمت المناظرات في القرن الثالث الهجري ،وتعددت الموضوعات التي خاض فيها المتناظرون تعدّد الثقافات والأحداث التي كانت في العراق في هذا القرن . ومن بين تلك المناظرات التي كانت تجري آنذاك ، مناظرات المعتزلة مع خصومهم سواء أكانوا من المجوس والثنوية وأهل البدع والأهواء ، أم من أهل الفقه والحديث. فقد ناظر أبو هذيل (٣) العلاف مجوسيا فقال له : ما تقول في النار؟ قال المجوسي : بيت الله ،فقال أبو هذيل : فالبقر؟ قال : ملائكة الله ، قصّ أجنحتها وحطّها الى الأرض يحرث عليها . فقال أبو هذيل : فالماء؟ قال : نورالله . قال : فما الجـــوع والعطش؟ قال المجوسي : فقر الشيطان وفاقته . قال أبوهذيل : فمن يحمل الأرض؟ قال : بهمن الملك . قال أبو هذيل : فما في الدنيا شرّ من المجوس ، أخذوا ملائكـــة الله فذبحوها ،ثم غسلوها بنور الله ،ثم شووها ببيت الله ،ثم دفعوها الى فقر الشيطان

---

(١) لسان العرب ، مادة نظر .
(٢) المعجم الوسيط ،مجموعة من الاساتذة ،ط٢ ،١٩٧٣م ،مطابع دار المعارف ، مصر ،ج٢ ،مادة نظر .
(٣) محمد بن الهذيل العبدلي ،مولى لعبدالقيس ، وكان جدلا حاذقا من رؤساء المعتزلة ،لقّب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافيين . توفي سنة (٢٢٧هـ) وقيل سنة (٢٣٥هـ) . المنية والأمل ،عبدالجبار الهمذاني ،تحقيق د . عصام الدين محمد علي ١٩٨٥م ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ، ص٤٣ - ٤٧ . وأيضا وفيات الاعيان ،ج٤ ،ص٢٦٥ - ٢٦٧ . وتاريخ بغداد ج٣ ،٣٦٦ - ٣٧٠ . وشذرات الذهب ،ج٢ ،ص٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفاقته ،ثم سلحوها على رأس بهمن الملك أعزّ ملائكة الله . فانقطع المجوسي .(١)

فهذه المناظرة تبرز لنا شخصية أبي هذيل وقدرته العقلية ،وأسلوبه في التبسيط والاقناع ، فهو واسع المعرفة ،ملمّ بالمذاهب المختلفة في عصره ، ماهر في معرفة المسالك في الردّ عليها ، يجعل خصمه يقرّ بما بنى عليه أمره ،ويلزمه الحجة بعد ذلك من قوله . وهذه أمور لا تتأتى للمناظر الاّ نتيجة الدربة والمران والاطلاع .

وكانت المساجد والاسواق ودكاكين الوراقين ،وأماكن اللهو والسمر والطرقات كلّها أمكنة يجتمع فيها المتناظرون ليتحدثوا ويتناظروا في مواضيع مختلفة ،فقد جاء في كتاب من تاريخ الالحاد أن ابن الراوندى (٢) اجتمع هو وأبو علي الجبائي (٣) يوما على جسر بغداد ،وتناظروا في اعجاز القرآن . (٤)

وكان المتناظرون يتهيأون لمثل هذه المواقف ،ويستعدون بالاطلاع على العلوم المختلفة اطلاعا يؤهلهم للخوض فيها أمام جمهور كبير من المستمعين . روى عبدالعزيز

---

(١) أنظر أمالي المرتضى ،الشريف المرتضى علي بن الحسين ، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ،ط١ ،١٩٥٤م ،دار احياء الكتب العربية ،ج١ ،ص ١٨١ .

(٢) أبوالحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى ،كان من متكلمي المعتزلة ، ثم فارقهم وصار ملحدا زنديقا ، وقد حكى عنه جماعة أنه تاب عند موته . ومن كتبه " الدافع في الرد على القرآن " و" الفريد في الرد على الانبياء " ، و"الامامة " . توفي سنة (٢٤٥هـ) .المنية والامل ،ص ٦١٨ . وأيضا وفيات الاعيان ،ج١ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) أبوعلي محمد بن عبدالوهاب الجبائي ،كان اماما في علم الكلام ،أخذه عن أبي يوسف يعقوب بن عبدالله الشحام ،رئيس معتزلة البصرة في عصره . توفي سنة (٣٠٣هـ) . المنية والامل ،ص ٦٧ - ٧١ . وأيضا وفيات الاعيان ،ج٤ ص ٢٦٧ - ٢٦٩ ، وشذرات الذهب ،ج٢ ،ص ٢٤١ .

(٤) من تاريخ الالحاد في الاسلام ،د . عبدالرحمن بدوى ،ط٢ ، ١٩٨٠م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ص ١٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكي (١) أنه اجتمع وبشر المريسي (٢) عند المأمون ،فتكلموا في الكفر والايمان ،وكيف يعرف صحيح القياس من متناقضه . فسأل المكي المريسي هل يعرف شيئا آخر غير ما ذكر؟ فقال بشر: ليس عندي شيء أكثر من هذا . فقال المكي : " ولكن عندي يا أمير المؤمنين وهي أحد المخبآت التي أعددت لهذا المجلس منذ نحو ثلاثين سنة ." (٣)

وقد تدخل الخلفاء والحكام والوزراء وغيرهم من رجال الدولة في تلك المناظرات، وأوجدوا مجالس لها في حضرتهم ، وقربوا اليهم كثيرا من الجدليين والمناظرين المبرزين ، وأجروا عليهم الارزاق . فقد أجرى الخليفة الواثق على المازني راتبا شهريا حين أجاد في أحد مجالس المناظرات. (٤) وكان أبو هذيل العلاف يأخذ من السلطان في كل سنة ستين ألف درهم . (٥)

وتتحدث كتب التاريخ والادب عن مناظرات للمأمون تفصح عن ذكائه وصحة تمييزه وحسن بديهته ، وعمق ثقافته . ومن ذلك مناظرته لزنديق يزعم أن الخير والشر متضادان ،وأن الخير من النور ،والشر من الظلمة . قال المأمون : " أخبرني هل ندمَ مسيءٌ قط على اساءتِه ،أو نكون نحنُ لم نندمْ على شيءٍ كانَ منّا قط ؟ قال : بل ندمَ كثيرٌ من المسيئينَ على اساءتهم . قال : فأخبرني عن الندم على الاساءةِ ، اساءةٌ أو احسان ؟ قال : احسان . قال : فالذي ندمَ هو الذي أساءَ أو غيره؟ قال : الذي ندمَ هو الذي أساءَ . قال : فأرى صاحبَ الخيرِ هو صاحب الشرِ ". (٦)

---

(١) عبدالعزيز بن يحيى الكناني ،من أصحاب الشافعي ،سمع من سفيان بن عيينة ، ومن مصنفاته كتاب " الحيدة " فيما جرى بينه وبين بشر المريسي . توفي سنة (٢٤٠هـ) .شذرات الذهب ،جـ٢ ،ص ٩٥. والفهرست ،ص٢٣٦ .

(٢) بشر المريسي ،فقيه متكلم وكان داعية للقول بخلق القرآن ، واليه تنسب الطائفة المريسية المرجئة ،توفي سنة ٢١٨هـ . شذرات الذهب ،جـ٢ ،ص٤٤ . أيضا وفيات الأعيان ،جـ١ ،ص٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٣) تاريخ بغداد ، ابن طيفور ، ص ٤٧ .

(٤) انظر معجم الادباء ،جـ٧ ،ص١١٦ .

(٥) انظر المنية والامل ،ص ٤٧ .

(٦) الحيوان ،جـ٤ ،ص٤٤٢ - ٤٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فألزمه بذلك أن الانسان الواحد قد يسيء في حال ، ويحسن في حال أخرى ليلزمه على قوله أن الفاعل الواحد يكون منه شيئان مختلفان : خير وشرّ ، واحسان واساءة . وفي هذا هدم القول بقدم اثنين أحدهما خير والآخر شرير .

وقد أباح المأمون الجدل والمناظرة في أدق المسائل وأعمقها ، وكانت مسألة خلق القرآن التي حمل لواءها المعتزلة ، هي المسألة التي تركز فيها الجدل والمناظرة في عهده وعهد المعتصم والواثق من بعده ، وهي مسألة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمبدأ نفي كل مشابهة بين ماهية الله ، وماهية العالم المخلوق . وينفيهم صفة الكلام في ضمن ما نفوا ، أنكروا أن يكون الله متكلما ، وعلى هذا بنوا قولهم أن الكلام مخلوق والقرآن مخلوق . وقد شتّتت هذه القضية أفكار الناس وأدخلتهم في منازعات جدلية شديدة .

والى جانب هذه المناظرات العقائدية كانت هناك مناظرات بين العلماء في النحو والصرف واللغة ، وفي مجالس العلماء للزجاجي ، والأشباه والنظائر للسيوطي الكثير منها . من ذلك ما وقع بين المازني وابن السكيت(١) في مجلس المتوكل ، حيث طلب اليهما التناظر في مسألة نحوية . فسأل المازني ابن السكيت: ما وزن نكتل من الفعل في قوله تعالى فأرسل معنا أخانا نكتل . فقال : نفعل . فقال المازني : أخطأت . فقال ابن السكيت نفتعل . فقال المازني : كيف تقدر الرباعي بالخماسي ؟ فسكت ابن السكيت ولم يجب . فطلب المتوكل من المازني ايضاح ذلك ، فقال المازني : وزنها في الاصل نفتعل لأنها نكتيل ، فلما تحرك حرف العلة وهو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصارت نكتال ، ولما دخل الجازم صارت نكتل . فقال المتوكل : هذا هو الحق .

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت ، امام في اللغة والأدب ، تعلم ببغداد واتصل بالخليفة المتوكل ، الذي عهد اليه بتأديب أولاده ، وجعله في عداد ندمائه ، ثم غضب عليه وقتله سنة (٢٤٤هـ) . من مصنفاته كتاب " اصلاح المنطق " و " الالفاظ " و " شرح ديوان عروة بن الورد " . شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص١٠٦ . وأيضا الفهرست ص ٧٩ ، والاعلام ، جـ٨ ، ص ١٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل ذلك مناظرة ثعلب وجماعة من النحاة في اعراب "الدما" في قول الحصين ابن الحمام :

فَلَسْنَا على الأعقابِ تَدْمَى كُلُومُنَا
ولكنْ على أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِمَـــا .

فقال النحاة ان "دما" فاعل ،فضحك ثعلب من اعرابهم ،وذهب الى أن "الدما" مفعولا به ،حيث تقدير الكلام ولكن على أقدامنا تقطر الجراحات الدماء .(١)

وكانت المناظرات الأدبية والنقدية عندهم استكمالا لنشاطهم الفكري والثقافي فتناظروا في الحداثة والقدم ، وتفضيل بعض الشعراء ، والسرقات الأدبية ، الى غير ذلك من القضايا الأدبية التي شغلت نقاد القرن الثالث الهجري . من ذلك ما جرى بين مخارق (٢) المغني والحسين بن الضحّاك (٣) الشاعر في مجلس الخليفة الواثق . فقد تنازعا في أبي نواس وأبي العتاهية أيهما أشعر ، واتفقا على أن يختار كل منهما شيئا من شعر صاحبه يكون حجة في تأييد مذهبه ، على أن يفصل بينهما حكم يختاره الواثق . فاختار كل منهما شيئا من شعر صاحبه ، وتحاكما الى من اختاره الواثق للفصل بينهما ، فحكم لصاحب الحسين بن الضحاك نظرا لجودة اختياره ، وحسن انتخابه ، فتلكأ مخارق واعترف أنه لم يحسن الاختيار للشعر كما فعل صاحبه ، واقترح أن تكون المفاضلة بين الشاعرين بحجة أن الجدال وقع فيهما . فتحاكما في ذلك فحكم لأبي نواس بالشاعرية والاحسان في جميع فنون شعره .(٤)

---

(١) انظر الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي ،١٩٧٥م ،شركة الطباعة الفنية المتحدة ،مصر ،ج٣ ،ص٨٢ ،ص٨٦ .

(٢) مخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار مولى الرشيد ،اشتراه ابراهيم الموصلي ثم وهبه الى الفضل بن يحيى ثم صار الى الرشيد فأعتقه . وكان يستوقف الناس بحسن صوته ،توفي سنة (٢٣١هـ) . الاغاني ،ج١٨ ،ص٣٣٦-٣٧٣ .

(٣) الحسين بن الضحاك من شعراء الدولة العباسية ،وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم . وعمّر عمرا طويلا حتى قارب المائة سنة ،توفي سنة (٢٥٠هـ) . أنظر أخباره في الاغاني ،ج٧ ،ص١٤٦-١٦٨ . وتاريخ بغداد ،ج٨ ،ص٥٥ . أيضا وفيات الاعيان ،ج٢ ،ص١٦٢-١٦٨ . ومعجم الادباء ،ج١٠ ،ص٥-٢٣ .

(٤) الاغاني ،ج٧ ،ص١٧٦-١٧٧ . انظر ايضا مناظرة احمد بن ابي طاهر وابي علي البصير في شعر ابي نواس ،الموشح ،ص٢٥٥ - ٢٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون هدف المناظر -أحيانا -عرض قدراته اللغوية والأدبية والنقدية أمام الآخرين عن طريق هذه المجادلات والتساؤلات. روي أن يعقوب بن السكيت كان "مقداما جسورا على العلماء، يتورّدهم بالأشياء، للفضل الذي كان يحسّ به من نفسه" (١).

ولا تقف محاور المناظرات عندما ذكرت فقط، بل تطالعنا مناظرات فنية كانت تعقد بين المختصين بالغناء والموسيقى. في الكلام على الغناء وتاريخه، والمغني الحاذق، وأنواع الطرب، ومنزلة الايقاع والقابه، وأخبار الأعلام من مشهوري المغنين المتقدمين والمحدثين وهيئة المجالس، وما الى ذلك مما يتعلق بهذا الفن وتشعباته (٢).

والى جانب هذه المناظرات الجدية كانت هناك مناظرات أخرى لا تخلو من الدعابة والفكاهة. ناظر سعيد بن حميد بعض آل أبي لهب، فقال سعيد: من فضلنا نحن الفرس أن لنا بيوت النيران، فقال اللهبيّ: وجهنّم قطيعة لجدي (٣).

وكان للمناظرة آداب وتقاليد مرعية. اجتمع متكلمان فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ فقال: "على شرائط، أن لا تغضبَ، ولا تعجبَ، ولا تشغبَ، ولا تحكم ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا تجوز لِنَفْسِك تأويلَ آيةٍ على مَذْهَبك الا جوزتَ لي تأويل مثلها على مذهبي، ... وعلى أن كلامنا يعني مناظرته على أن الحقَ ضالّته والرشدَ غايتُه" (٤).

فالاحترام المتبادل، واعتزال الهوى فيما يراد اصابة الحق فيه، ركنان في المناظرة. قال أحد الشعراء في ذم أحمد بن الخصيب، وكان اذا ناظر شغب وربما رفس من ناظره اذا أفحم عن الجواب، وخفي عنه الصواب:-

---

(١) مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، تحقيق عبدالسلام هارون، ١٩٦٩م، الكويت، ص ٤٤.
(٢) انظر في ذلك مروج الذهب، جـ٤، ص ١٣١ - ١٣٨. وأيضا أشعار أولاد الخلفاء، ص ٢٥. والأغاني، جـ ١٠، ص ٩٦ - ٩٧.
(٣) جمع الجواهر، ص ٣٠٧.
(٤) محاضرات الأدباء، جـ١، ص ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قُلْ للخليفةِ يا ابنَ عمِّ محمـــــد
أُشكلْ وزيـــرَكَ انّـه ركـــــالُ
اشكلْهُ عن رَكْلِ الرجالِ فان تُـــرِدْ
مـالاً فعنـدَ وزيـــرِكَ الأمـــوالُ (١)

ويتّصف المتناظر الجيد بالبراعة وطلاقة اللسان ، وقوة الحجة ، وسرعة البديهة ، فيعرف كيف يخرج مما يدخله فيه خصمه . وهو لا يقبل قولا الا بحجة ، ولا يـــــرد ، الا لعلة . ناظر المأمون يوما محمد بن القاسم النوشجاني ، فجعل محمد يصدقه ويفضي له . فقال له المأمون : " يا محمد أراك تنقادُ إلى ما أقولُه قبلَ وجوبِ الحُجة لي عليكَ ، وقد ساءني منكَ ذلك ، ولوشئتُ أنْ أفسرَ الأمورَ بعزِّ الخلافةِ ، وهيبةِ الرياسةِ لصدّقت وان كنتُ كاذباً ، وعدّلتُ وان كنتُ جائراً ، وصوّبتُ وان كنتُ مخطئاً ، ولكني لا أقنعُ الاّ باقامةِ الحُجّةِ ، وازالةِ الشبهـــــةِ " (٢) .

ويرفد ذلك كله ثقافة واسعة تعتمد على العلوم المختلفة السائدة في ذلك القرن ، ومنها علم المنطق والفلسفة . قال الجاحظ : " ولا يكونُ المتكلمُ جامعاً لأقطارِ الكلامِ مُتمكناً في الصناعةِ ، يصلُحُ للرياسةِ حتى يكونَ الذي يحسنُ من كلامِ الدينِ في وزنِ الذي يحسنُ من كلامِ الفلسفةِ ، والعالمُ عندنا هو الذي يجمعهمـــــا " (٣) .

والأصل في المناظرة أن تكون مشافهة ، غير أنها تنوعت فيما بعد بين المشافهة والمكاتبة ، فجاء بعضها على صورة رسائل ، يدور فيها الحوار بين شيئين أو أكثر ، أو بين شخصين حول موضوع معين يقصد الاشادة به ، وبيان فضائله ومناقبه . والجاحظ خيـــر من يمثل هذا الاتجاه في القرن الثالث الهجري ، فقد ألف كثيرا من الكتب والرسائـــل

---

(١) مروج الذهـــب ، جـ٤ ، ص ٤٨ .
(٢) شرح نهجة البلاغة ، لابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٦١ ، دار احياء الكتب العربية ، ط ١ ، ص ١٠٤ .
(٣) الحيـــوان ، جـ٢ ، ص ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تعطينا ملخصا للمناقشات التي كانت تجري في مناظراتهم ،والموضوعات والمسائل الفلسفية التي تشغل العقول يومئذ . كرسالته في فخر السودان على البيضان ،وافتخار الشتاء والصيف ،ومفاخرة الغلمان والجواري ،والحاسد والمحسود . كما عقد الجاحظ في كتابه " الحيوان " مناظرات عديدة بين الحيوان والطير ،وأبرز هذه المناظرات مناظرة الكلب والديك . ويرى الدكتور شوقي ضيف أن المناظرة بين الكلب والديك ،وأمثال هذه المناظرة في كتاب الحيوان ، انما هي أثر من آثار الشعوبية التي عابت الكلب وغيره من حيوان الصحراء (١) .

ومن المناظرات المخترعة أيضا مناظرات البلدان ،حيث تفصح كل بلد عن فضائلها ،وتتباهى بمناقبها ، وتتحاور فيما بينها ، من ذلك المناظرة التي عقدها الجاحظ في كتابه " البلدان " بين البصرة والكوفة وبغداد . وطريقة الجاحظ في هذه المناظرة هي ايراد الفضائل في صورة صفات ايجابية للبلد ،ثم يعقبها بنفي صورتها السلبية ، المخالفة أو المناقضة لها .يقول الجاحظ على لسان البصريين :-

" وهم يعيبون ماءَ البصرة ،وماءُ البصرةِ رقيقٌ ،قد ذهبَ عنه الطينُ والرملُ المشوبُ بماءِ بغدادَ والكوفةِ ،لطولِ مقامِهِ بالبطيحة ،وقد لانَ وصفا . . . .ويدلُ على صلاحِ مائِهم كثرةُ دورهم ،وطولُ أعمارِهم ، وحسنُ عقولهم ،ورفقُ أكفهم ،وحذقُهم لجميع الصناعات ، وتقدمهم في ذلك لجميعِ الناسِ " (٢) .

ويتناول الفخر عادة جميع الجوانب العلمية والتاريخية ، والجغرافية ،والاجتماعية ، والاقتصادية للبلد .

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ،شوقي ضيف ، ص٥٩٨ .

(٢) البلدان ، الجاحظ ، تحقيق د . صالح أحمد العلي ، ١٩٧٠م ، مطبعة الحكومة ،ص ٤٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذ تختلف الأنظار وتتباين المسالك ، يتجه كل اتجاها يخالف الآخر ، وحيث يسعى الجميع للاقناع والبرهنة والدفاع عن رأيه وعقيدته ، وابراز المعاني على حقيقتها ، فقد قلّت العناية بالزخرف اللفظي ، فجاء مرسلا لا تكلّف فيه ، وجاءت الالفاظ في مجملها سهلة واضحة محددة الدلالة ، تضم بعض الالفاظ الاصطلاحية الخاصة بكل علم . وقد تأثر المتناظرون بالقرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال والشعر ، يستخدمون موادها براهين وأدلة في مناظراتهم ، فقد روي أن أبا هذيل استشهد في مناظرة له في حضرة المأمون بسبعمائة بيت من الشعر (١) .

---

(١) انظر المنية والأمل ، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الكتّاب وتنظيماتهم في القرن الثالث الهجري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحوال الكتّاب في القرن الثالث الهجري ، ومكانتهم ودورهم في المجتمع: —

قال المأمون : "السوقيونَ سفل ، والصنّاعُ أنذال ، والتجارُ بخلاء ، والكتّابُ ملوكُ على الناس" (١) . والكتّاب يصنّفون ضمن جماعة أصحاب السلطان ، فهم نظام الأمور، وكمال الملك ، وبهاء الدولة ، وهم ألسنة الملوك الناطقة عنهم ، وخزّان أموالهم ، وأمناؤهم على الرعية (٢) ، لذلك كانت الملوك تقدمهم ، وتعرف فضل صناعة الكتابة . فقد قيل : كل صناعة تحتاج الى ذكاء الا الكتابة فانها تحتاج الى ذكائين : جمع المعاني بالقلب والحروف بالقلم (٣) . وكانت العرب تسمي كلّ صانع قينا الا الكاتب (٤) .

وفي القرن الثالث الهجري ، قام الكتّاب بدور مهم في الحياة السياسية ، والادارية والأدبية والاجتماعية ، ونظرا لأهمية دورهم هذا ، فقد حرص الخلفاء على اختيار كتابهم ممن عرفوا بحسن الكتابة والبلاغة ، وغزارة العلم وسعة الاطلاع، كابن الزيات ، وعبد الله بن محمد بن يزداد ، وسليمان بن وهب ، وأحمد بن اسرائيل ... (٥) .

ولم يكن اتخاذ الكتّاب مقصورا على الخلفاء وحدهم ، فقد اتخذ الأمراء وعمال الأقاليم المختلفة كتابا يعاونونهم في أعمالهم وادارة شؤونهم . فنجد كتّاب الرسائل ، وكتّاب المحاسبات ، وكتّاب السجلات ، والعقود ، الى غير ذلك من الوظائف الكتابية .

---

(١) محاضرات الأدباء ، ص ٤٥٩ . انظر أيضا المحاسن والمساوئ ، البيهقي ، ١٩٦٠م ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، ص ١٠٣ .

(٢) انظر رسالة عبد الحميد الى الكتاب ، الوزراء والكتاب ، الجهشياري ، ص ٧٣ — ٧٨ .

(٣) محاضرات الأدباء ، ص ٩٧ .

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ، ط٢ ، ١٩٨٢م ، بيروت ، المجلد الاول ، القسم الاول ، ص ٣٥٧ .

(٥) أحمد بن اسرائيل بن الحسين الانباري ، أحد الكتاب الحذاق الأذكياء ، كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا وخرجا على ذهنه ، وقد أحدث رسوما وقواعد في الكتابة . تعرض هو وعدد من الكتاب الى المصادرة ، فضرب واستصفيت أمواله . توفي سنة (٢٥٥هـ) تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ٤٢٩ — ٤٥٠ . وسير أعلام النبلاء ، جـ١٢ ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تمتّع كثير من هؤلاء الكتّاب بمركز عال في الخلافة ، فوصلوا الى أعلى المراتب ، كالمعلى ابن أيوب الذي رفعه المعتصم الى مرتبة أهل بيته[١] .

وكان خلفاء هذا القرن يفضلون اختيار الوزير من طبقة الكتّاب ، فقد استوزر المأمون عددا من الكتّاب لعلمه بأن "ليس في عصرهم من يوازيهم ولا يدانيهم"[٢] .

وذكر الصابيء أن الخليفة المقتدر غضب من عليّ بن عيسى[٣] عندما أشار عليه بالقاضي أبي عمر محمد بن يوسف للوزارة ، وقال : "انني لو فعلت ذلك لافتضحت عند ملوك الاسلام والكفر ، لأنني كنت بين أمرين : امّا أن تتصوّر مملكتي بأنها خلية من كاتب يصلح للوزارة ، فيصغر الأمر في نفوسهم ، أو أنني عدلت عن الوزراء الى أصحاب الطيالس"[٤] فأنسب الى سوء الاختيار"[٥] .

فكان الابداع في الكتابة من المؤهلات الأساسية للوزارة في تلك الفترة . فالوزير ان كان عالما بصناعة الكتابة وأراد أن يكتب سرّا ، كتب وأسحى[٦] وختم وخرط ، ولم يحتج الى معين ، يطلع على سره ، وقد يفشيه .

---

(١) انظر زهر الآداب ، جـ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٢) التنبيه والاشراف ، ص ٣٥١ .

(٣) أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، وزر مرات للمقتدر ثم للقاهر ، وكان محدثا عالما بليغا ، توفي سنة (٣٣٤هـ) وعمره تسعون سنة . سير أعلام النبلاء ، جـ١٥ ، ص ٢٩٨ — ٣٠١ . أيضا شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص٣٣٦ . ومعجم الأدباء ، جـ١٤ ، ص٦٨ — ٧٣ . واعتاب الكتاب ، ص١٨٦ — ١٨٩ . وتاريخ بغداد ، جـ١١ ، ص١٤ — ١٦ .

(٤) الطيلسان : أصله فارسي معرب ، وهو ثوب يحيط بالبدن ، خال من التفصيل والخياطة ، شكله مربع ، يجعل على الرأس فوق العمامة ، أو القلنسوة ، ويغطى به أكثر الوجه ، ثم يدار طرفان منه من تحت الحنك الى أن يحيط بالرقبة جميعا ، ثم يلتقيان على الكتفين ، أما طرفاه الآخران فانهما يتدليان على الظهر . الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الثاني ، د . صلاح العبيدي ، ١٩٨٠م ، دار الرشيد للنشر ، ص ٢٦٩ .

(٥) الوزراء ، الصابيء ، ص ٣٤٨ .

(٦) سحا القرطاس سحوا وسحاه ، أخذ منه سحاءة أو شذه بها وسحا الكتاب وسحّاه وأسحاه شذه بسحاءة . لسان العرب ، جـ١٤ ، مادة سحا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالكفاة من الوزراء هم الذين يجمعون بين البلاغة والسياسة ، فيحكمون بعدل وينطقون بفضل . وليس أدل على ما نقول من كلام المعتضد لأحمد بن الطيب السرخسي وقد سعى اليه بوزيره القاسم بن عبيد الله (١) : —

" يا سرخسي ، لا تلعب بوزيري وظهيري ، ومن قلمه ناسجُ وشيَ مملكتي ، وناظمُ عقدَ دولتي " (٢) .

فالكاتب قد يصبح وزيرا ، أو واليا لاقليم ، أو يحمل مسؤولية السفارة ، وقد يولّى الصرف على البعوث والسرايا ، ومصادرة من كان يأتي الأمر بالقبض على ضياعهم وأموالهم . وربما صحب القادة الى البلاد المفتوحة ، ليتصفح أعمال البلد المفتوح ، ويقرّر معاملاته ، على ما تدل عليه رسوم الديوان القديم .

ونجد بعض الخلفاء يتخذون من الكتّاب قوادا يعتمدون عليهم في حروبهم ، كمحمد بن سليمان الكاتب ، الذي قضى على الحسين بن زكرويه القرمطيّ سنة (٢٩١هـ) ، وعلى الدولة الطولونية في مصر في السنة التالية (٣) .

وقد استطاع الكتّاب بفضل ذكائهم وحنكتهم السياسية والادارية أن يهيمنوا على شؤون الحكم والادارة في الدولة العباسية في هذا القرن ، فاصبحت لهم الكلمة المسموعة عند الخليفة وحاشيته ، يرافقونه في حلّه وترحاله ، ونزهاته وخلواته ، بل أخذوا يشاركون في اختيار الخليفة أو خلعه . ففي سنة (٢٩٥هـ) عندما مات المكتفي ، جمع الوزير العباس (٤) بن الحسن كتّابه وخواصه وخلابهم ، وشاورهم فيمن يقلده الخلافة (٥) .

(١) القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، استوزره المعتضد العباسي بعد أبيه عبيد الله سنة (٢٨٨هـ) ، ولما مات المعتضد سنة (٢٨٩هـ) قام القاسم بأعباء الخلافة وعقد البيعة للمكتفي ، ووزر له ، توفي سنة (٢٩١هـ) . اعتاب الكتاب ، ص١٨٢ — ١٨٦ . ومروج الذهب ، جـ٤ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ ، ص ١٩٢ .

(٢) تحفة الوزراء ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(٣) انظر تاريخ الطبري ، جـ١٠ ، ص٦٥ ، ٦٥٧ . أيضا الكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص٤٢١ — ٤٢٢ ، ص٤٢٤ — ٤٢٥ .

(٤) العباس بن الحسن بن أيوب بن سليمان الجرجائي ، وزر للمكتفي بعد وفاة الوزير القاسم بن عبيد الله ، وكان ذا دهاء ومكر وأدب وافر . توفي سنة (٢٩٦هـ) . سير اعلام النبلاء ، جـ١٤ ، ص٥١ — ٥٥ . ومروج الذهب ، جـ٤ ، ص ٢٠٢ .

(٥) انظر حول ذلك الوزراء ، ص ١٣٠ . وشذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعن خلافة عبد الله بن المعتز يقول صاحب الشذرات : "الى أن جرت له الكائنة في خلافة المقتدر ، واتفق معه جماعة من رؤساء الدُجناد ، ووجوه الكتّاب ، فخلعوا المقتدر يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، وبايعوا عبد الله المذكور" (١) .

ولموقعهم هذا ، وقدرتهم على اصلاح قلوب الحكام اذا فسدت ، وافسادها اذا صلحت اتخذهم الناس واسطة لهم عند أصحاب السلطان ، وأخذوا يقلّدونهم ويتشبّهون بهم ويضربون بهم المثل (٢) .

وأصبحت مجالسهم أندية راقية يقصدها الأدباء والعلماء والشعراء ، فتمد الحضارة بمعين متواصل من العلم والمعرفة ، ولا غرو في ذلك فان الكتّاب كانوا يشاركون في هذه المجالس مشاركة العالم القادر ، والأديب المتمكن ، اضافة الى أن عددا كبيرا منهم كان يتمتّع بموهبة النظم الى جانب موهبة الكتابة .

ولم يقتصر نشاط الكتّاب على ذلك ، فقد أولوا اللغة العربية عنايتهم ، فأخذوا يدقّقون في اختيار الألفاظ ، ويبتعدون عن الوحشي والسوقي والساقط منها . قال الجاحظ: "لم أرَ قطُّ مثل طريقةٍ في البلاغةِ من الكتّاب ، فانهم قد التمسوا من الألفاظِ ما لَمْ يكنْ متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً" (٣) .

كما حرص كثير منهم على نقد كتب اليونان الى اللغة العربية . ذكر أن محمد بن عبد الملك الزيات كان عطاؤه للنقلة والنساخ يقارب ألفي دينار في كل شهر (٤) .

---

(١) شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص٢٢٢ ، أيضا الطبري ، جـ٥ ، ص ٦٧١ .
(٢) انظر رسائل الجاحظ ، جـ٢ ، رسالة في ذم أخلاق الكتاب ، ص ١٩٧ ، أيضا اعتاب الكتاب ، ص ١١٣ .
(٣) البيان والتبيين ، جـ١ ، ص ١٣٧ . ومحاضرات الأدباء ، جـ١ ، ص ٩٧ .
(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ص ٢٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أدى تشجيعهم للأدب والأدباء ، وما كانوا يفيضون به على مسترفديهم من جزيل الهبات والعطايا الى اهداء كثير من المؤلفات اليهم ، قال الجاحظ : "أهديتُ كتابَ الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسةَ آلافِ دينار ، وأهديتُ كتابَ البيانِ والتبيينِ الى ابنِ أبي دؤاد فأعطاني خمسةَ آلافِ دينار ، وأهديتُ كتابَ الزرعِ والنخلِ الى ابراهيمَ بنِ العباس الصولي فأعطاني خمسةَ آلافِ دينار ."(١)

كما أخذ الشعراء يقصدونهم للمديح والثناء عليهم ووصف أعمالهم وقدراتهم . من ذلك أبيات قالها أبو تمام مادحا محمد بن عبد الملك الزيات :

وما برَحتْ صوراً اليك نوازعاً
أعنتُهَا مُذْ راسلتكَ الرسائلُ
لك القلمُ الاعلى الذي بِشَباتِهِ
تُصابُ من الأمرِ الكلّى والمفاصلُ
لعابُ الأفاعي القاتلات لُعابُهُ
وأريُّ الجنى أشتارَتْهُ أيدٍ عواسلُ
له ريقةٌ طَلَّ ولكنَّ وقْعَهَا
بآثارِها في الشرقِ والغربِ وابلُ(٢)

ويرى كاتب حديث أن الكاتب في تلك الأيام "يمثل طاقة كبرى ووجها كريما من وجوه هذه الحضارة ، فاذا ما كان الأمر على العكس كان الكاتب صورة كريهة مؤذية لنضارة الحضارة وخصبها ، ومن ثم كان خليقا بالاشفاق والسخرية ."(٣) . وفي شعر دعبل وابن الرومي وغيرهما نماذج من هذا الشعر الذي هجي به الكتّاب الفاشلون .

---

(١) معجم الأدباء ، جـ ١٦ ، ص ١٠٦ .
(٢) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط٢ ، ١٩٧٠م ، دار المعارف بمصر ، جـ٣ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .
(٣) معالم الحضارة الاسلامية ، مصطفى الشكعة ، ط٣ ، ١٩٧٨م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص ٢٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان الكتّاب من عوامل ازدهار الأدب في القرن الثالث الهجري ، بما أبدعوه هم أو أبدعه الآخرون فيهم . قال المسعودي :

"ورأيتُ من صنّف كُتباً في أخبارِ الوزراءِ والكتّابِ ، كأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، ومحمدِ بن يحيى الصولي الجليس ، ومحمد بن عبدوس الجهشياري "(١) .

وقد أدّت كثرة الدواوين في هذا القرن وتنوعها ، وكذلك تطور الكتابة ، وتعدد الثقافات والعلوم الى تميّز كل صنف من الكتّاب بمعرفة خاصة ، وان كانت هناك ثقافة عامة متنوعة وشاملة تجمعهم . قال الجاحظ :

"طلبتُ علمَ الشعرِ عندَ الأصمعي فوجدته لا يحسنُ الا غريبه ، فرجعتُ الى الأخفش فوجدته لا يتقنُ الا اعرابه ، فعطفتُ على أبي عبيدة فوجدتُه لا ينقلُ الا ما اتصلَ بالأخبارِ وتعلقَ بالأيامِ والأنسابِ ، فلم أظفرْ بما أردتُ الا عند أدباءِ الكتّاب ، كالحسنِ بنِ وهبٍ ومحمد بن عبد الملك الزيات "(٢) .

فالأدب عندهم هو الأخذ من كل فن بطرف . فهم بحكم مناصبهم وما يتولونه من مسؤوليات خطيرة في الدولة ، عليهم أن يعرفوا من اللغة والأدب والفلسفة ، وعلوم الدين ، والتاريخ ، والحساب ، وأحوال الناس الاجتماعية ما يشحذ القريحة ويذكي الفطنة ، ليكون ذلك عدّة لهم عند الحاجة اليه . يقول ابراهيم بن المدبر :—

"فان أردتَ خوضَ بحارِ البلاغةِ ، وطلبتَ أدواتِ الفصاحة ، فتصفحْ من رسائلِ المتقدمين ما تعتمدُ عليه ، ومن رسائلِ المتأخرين ما ترجعُ اليه ، في تلقيحِ ذهنك واستنجاحِ بلاغتك ، ومن نوادرِ كلامِ الناس ما تستعينُ به ، ومن الأشعارِ والأخبارِ والسيرِ والأسمارِ ما يتّسعُ به منطقك ويعذبُ به لسانك ، ويطولُ به قلمك . وانظرْ في كتبِ المقاماتِ والخطبِ ، ومحاوراتِ العربِ ، ومعاني العجم ، وحدودِ المنطق ، وأمثالِ الفرسِ ورسائلهم وعهودهم ، وتوقيعاتهم

---

(١) التنبيه والاشراف ، ص ٢٥٢ .
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٣ ، ١٩٦٤ م ، مطبعة السعادة ، مصر ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسيرهم ومكايدهم في حروبهم ، بعد أن تتوسطَ في علمِ النحوِ والتصريفِ واللغةِ والوثائقِ والشروطِ ، ككتبِ السجلاتِ والأماناتِ فانه أولُ ما يحتاجُ اليه الكاتب .(١)

وقد ألمّ الكتّاب بشتى ميادين الثقافة في عصرهم ، الا أن الصفة الغالبة على تكوينهم الثقافي كانت عربية فارسية ، وهذا عائد الى اهتمام الخلفاء وأصحاب الدولة بالثقافة الفارسية ، اضافة الى اختلاط الفرس بالعرب وتبادلهم معهم ثقافتهم وعاداتهم . يقول الجاحظ: "وقد يجبُ أن نذكرَ بعضَ ما انتهى الينا من كلامِ خلفائنا من ولدِ العباس ولو أن دولتَهم عجميةٌ خراسانية ، ودولةُ بني مروانَ عربية أعرابية ، وفي أجنادٍ شامية ."(٢)

وقد شكا الجاحظ من ناشئة الكتّاب وتعصبهم لكل ما هو فارسيّ دون تمييز أو علم ، وانصرافهم عن كل ما هو عربيّ واستخفافهم به ، وتنكّرهم له :

"فيكون أولُ بدوه الطعن على القرآنِ في تأليفه ، والقضاءُ عليه بتناقضه ، ثم يظهرُ ظرفَهُ بتكذيبِ الأخبار ، وتهجينِ من نقلَ الآثار ، فان استرجحَ أحدٌ عندَه أصحابَ الرسولِ — صلى الله عليه وسلّم — فقلَ عندَ ذكرهم شدقَه ، ولوى عند محاسنِهم كشحَه ، وان ذُكِرَ عنده شُرِّحَ جرحه ، وان نعتَ له الحَسَنُ استثقله ، وان وُصِفَ له الشعبيّ استحمقه ."(٣)

وتتردّد الشكوى ثانية على لسان ابن قتيبة وغيره من أدباء القرن وشعرائه (٤) . شكوى عامة من الثقافة السطحية لبعض الكتّاب ، وجهلهم بأصول مهنتهم وعدم تعمقهم في العلوم اللازمة لها. فمالوا الى الدعة ، وحبّ الراحة ، وأعفوا أنفسهم من كدّ النظر ، وقلوبهم من تعب التفكر . يقول ابن قتيبة :—

---

(١) الرسالة العذراء ، ص ٢٠١ .
(٢) البيان والتبيين ، ج٣ ، ص ٣٦٦ .
(٣) رسائل الجاحظ ، رسالة في ذم أخلاق الكتّاب ، ص ١٩٢ — ١٩٣ .
(٤) من ذلك هجاء أبي العيناء لكتّاب عصره ، ورميهم بالجهل بأصول الكتابة ، وأنهم لا يفقهون ما يقرأون : —

تعس الزمان لقد أتى بعجاب ومحا رسوم الظرف والآداب
وافى بكتاب لو انبسطت يدى فيهم رددتهم الى الكتاب
جيل من الأنعام الا أنهم من بينها خلقوا بلا أذناب
لا يعرفون اذا الجويدة جردت ما بين عياب الى عتاب

غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة ، أبو اسحاق برهان الدين الكتبي ، دار صعب ، بيروت ، ص ٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فاني رأيتُ كثيراً من كتّابِ زماننا كسائرِ أهلِه قد استطابوا الدّعة ، واستوطأوا مركبَ العجزِ ، وأعفوا أنفسَهُم من كدّ النظر ، وقلوبهم من تعبِ التفكرِ حينَ نالوا الدّركَ بغيرِ سبب ، وبلغوا البغيةَ بغيرِ آلة "(١) .

ويبرز ابن قتيبة في كلماته قضية مهمة في ذلك القرن ، وهي وصول بعض الكتّاب ممن لا تتوافر لديهم معرفة بأصول صناعة الكتابة ، ولا يملكون الكفاءة المطلوبة الى مناصب ادارية عالية ، وذلك راجع الى انصراف بعض الخلفاء والأمراء عن العلم وأهله ، والاقبال على الغناء والبناء والشهوات ، فصار "العلمُ عاراً على صاحبه ، والفضلُ نقصاً ، وأحوالُ الملوكِ وقفاً على شهواتِ النفوس "(٢) .

وهذا اضافة الى تفشي الرشوة لمنح المناصب لمن لا يستحقها ، وتولية الأهل والأصدقاء والأصحاب ، فأصبح التقليد للعناية لا للكفاية (٣) . روى أن أبا هفان (٤) الشاعر كان يمشي في بعض طرق بغداد ، اذ أبصر رجلا من العامة على فرس فقال : من هذا ؟ فقيل : كاتب فلان . ثم مرّ به آخر فقال : من هذا ؟! فقيل : كاتب فلان . فأنشد قائلا : ـ

أيا ربَّ قدْ ركبَ الأرذلو
نَ ورجلي من رِحْلَتي دامية
فان كنتَ حامِلَنا مِثْلَهُم
والا فأرجلُ بني الزانية (٥)

---

(١) أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، تحقيق محمد الدالي ، ١٩٨٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص ٩ ـ ١٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٦ .
(٣) انظر تجارب الأمم ، أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه ، ١٩١٤ ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر ، جـ١ ، ص ٢٣ .
(٤) عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي ، أبو هفان . شاعر وراوية للشعر والأدب ، من أهل البصرة ، سكن بغداد ، وأخذ عن الأصمعي وغيره ، وله عدة مؤلفات ، توفي سنة (٢٥٧هـ) ، تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .
(٥) تاريخ بغداد ، جـ٩ ، ص ٣٧٠ ، كما وردت في معجم الأدباء ، جـ١٤ ، ص ١٥١ ، منسوبة الى ابن بسام مع اختلاف في اللفظ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تركت هذه الأمور آثارها السيئة على الدواوين ، فأهملت وقلّ الاشراف والعناية بادارتها وشؤونها . ذكر أن أبا عليّ الخاقاني [١] كان فيه اهمال للأمور واطّراح للأعمال ، وكانت الكتب ترد عليه وتصدر جواباتها عنه من غير أن يقف عليها ، أو يأمر بشيء فيها [٢] .

لذلك بدأت تظهر في هذا القرن مؤلفات قصد منها تربية الكتّاب ، وتمكينهم من آلة البلاغة ، ووسيلة الكتابة ، بما تحويه من وصايا وآداب توجه الكاتب الأديب ، والبليغ الخطيب الى التوفر على ما يحسن ، والانصراف عما يسيء ، واختيار الوقت المناسب للكتابة ، حيث تجود الأذهان بمخزونها ، والنفس بمكنونها [٣] .

كما يجب العناية باختيار الأنابيب (الأقلام) ، ودقّة بريها وقطّها ، وأن تكتب الحروف بقسطاس ، على أن لا يكون حسن الخط وتقويم الحروف أبعد غايات الكاتب . قال ابراهيم بن العباس لغلام بين يديه : —

« ليكنْ قلمك صلباً بينَ الدقةِ والغلظِ ، ولا تبره عندَ عقدةٍ فانَ فيه تعقيدَ الأمورِ ، ولا تكتبْ بقلمٍ ملتو ، ولا ذي شقٍ غيرِ مستو ، فان أعوزَك الفارسي والبحري واضطررتَ الى الأقلامِ النبطيّة ، فاخترْ منها ما يضربُ الى السمرةِ ، واجعلْ سكينَك أحدّ من الموسِ ولا تبرِ به غير القلم ، وتعهده بالاصلاح ، وليكنْ مقطّك أصلبَ الخشب لتخرجَ القطّةُ مستويةً ، وابر قلمَكَ الى الاستواءِ لاشباعِ الحروف » [٤] .

---

(١) أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، استوزره الخليفة المقتدر سنة (٢٩٩هـ) ، وخلع عليه ، ولم يخلع على أحد غيره.
مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢١٣ . وسير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ١٠ .

(٢) انظر الوزراء ، ص ٢٨٥ .

(٣) ذكر صاحب الفهرست مجموعة من هذه المؤلفات ، لم نعثر عليها فيما نعرف من مخطوطات أو مصادر ، منها :
١ — تحفة الوافق ، وهي رسالة في الخط والكتابة لأبي الحسين اسحق بن ابراهيم بن عبد الله التميمي .
٢ — كتاب مختصر ما يستعمله الكاتب : محمد بن همبرة الأسدي .
٣ — كتاب الكتاب : أبو زيد عمر بن شبة .
٤ — آلة الكاتب : أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم .
انظر الفهرست ، ص ٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) رسالة في علم الكتابة ، التوحيدي ، ص ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانوا يحذّرون الكتّاب من المواقف المخزية لصاحبها ، ويذكرون نماذج منهـــا : —

"وأبي موقف أخزى لصاحبه من موقف رجلٍ من الكتّاب اصطفاه بعضُ الخلفاء لنفســـه ، وارتضاه لسرّه ، فقرأ عليه يوماً كتاباً وفي الكتاب : ومطرنا مطراً كثُرَ عنه الكلأُ . فقالَ له الخليفـــةُ ممتحنا له : وما الكلأ ؟ فتردّدَ في الجواب وتعثّرَ لسانه ثم قال : لا أدري "[1] .

وفي مقام آخر في مثل حاله قرأ أحمد بن الخصيب على المنتصر بالله كتابا ذكر فيـــه التبيـــع[2] ، فسأل المنتصر: وما التبيـــع ؟ فقال ابن الخصيب : البقرة وزوجها! فســـأل المنتصر غيره : أكذاك هو ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ووصف له التبيـــع[3] .

لذلك أخذ الخليفة الواثق يعقد امتحانا تجريبيا لمن يقع عليه الاختيار لرئاسة الدواويـــن، ليقيس قدرته البلاغية في موضوع يختار له[4] . وكان الخليفة المهتدي يجلس يومي الاثنـــين والخميس من كل أسبوع، لمراجعة أعمال الدواوين ومحاسبة الكتّـــاب[5] .

ويطلق على صاحب الديوان ورئيسه لقب "أستاذ" . ذكر صاحب النشوار أن أبا الحســـن عليّ بن عيسى ، وأبا عبد الله محمد بن داود[6] بن الجراح كانا يجلسان بحضرة أبي الحســـن عليّ بن محمد[7] بن الفرات يأمرهما وينهاهما "ويسميانه أستاذنا على رسم أصحاب الدواويـــن اذ ذاك"[8] .

---

(١) أدب الكاتـــب ، ص ١٠ .

(٢) التبيع ، البقرة في أول سنة والجمع أتبعة ، وأتابع ، وأتابيع ، لسان العرب ، جـ٨، مادة تبع.

(٣) الهفوات النـــادرة ، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

(٤) انظر اعتاب الكتـــاب ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦ .

(٥) انظر تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ص ٣٥٠ .أيضا فوات الوفيـــات ، جـ٤ ، ص ٥١ .

(٦) محمد بن داود بن الجراح ، كان كاتبا عارفا بأيام الناس وأخبارهم ، ودول الملـــوك ، وله في ذلك مصنفات ، ومن تصانيفه كتاب الورقة ، وله الشعر والشعراء ، وكتاب الوزراء ، توفي سنة (٢٩٦هـ). فوات الوفيات ، جـ٣ ، ص ٣٥٣ ــ ٣٥٤ .

(٧) أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وزير من الدهاة الفصحاء الأدباء ، وكان سمحـــا مفضالا ، توفي سنة (٣١٢هـ) . سير أعلام النبلاء ، جـ ١٤ ، ص ٤٧٤ ــ ٤٧٩ . واعتاب الكتـــاب ، ص ١٨٠ ــ ١٨٢ .

(٨) نشـــوار المحاضـــرة ، التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي ، ١٩٧١م ، دار صـــادر، بيروت ، جـ ٤ ، ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الأستاذ يستخلف أحد كتّابه في الديوان ، أو في مقامه بين يدي الخليفة أو الوزير، وذلك عائد لكثرة أعمالهم وتوليهم رئاسة غير ديوان في وقت واحد . ففي عهد المتوكل ضم توقيع ديوان العامة الى عبيد الله بن يحيى (١) بن خاقان ، وكذلك ديوان الخراج ، فاستخلف على الأول ابن عمه يحيى بن عبد الرحمن ، وعلى الثاني أحمد بن اسرائيل كاتب المعتز (٢) .

ومن آداب الكتّاب أن يعرف الكاتب حقوق استاذه وغيره من مشايخ الصناعة ، وذلك عن طريق الاحترام والتقدير الذي يخص به هؤلاء . فقد روى أن المأمون أمر الحسن بن عيسى كاتب الوزير عمرو بن مسعدة (٣) أن يكتب كتابا ، فالتفت الحسن الى الوزير ينتظر الاذن منه، ففهمها عنه المأمون فأمر أن يعطى مائة ألف لانتظاره اذن استاذه (٤) .

وكان من اجلال الكتاب لصنعتهم ولأنفسهم أنهم لا يقومون في الديوان لأحد ممن يدخل عليهم (٥) . وكان ثمة قسم أو يمين خاص يؤديه الكاتب عند تولي عمله ، وقد كانت صيغة هذا القسم تختلف في حالة كون الكاتب نصرانيا أو يهوديا (٦) . مما يشير الى أن الاسلام لم يكن شرطا رئيسيا في تولي الأعمال الكتابية في الدواوين . فقد كان منهم نصارى وبعضهم يهودا .

وقد تولى بعضهم ديوان الجيش في زمن المعتمد والمعتضد ، على الرغم من صلة هذا الديوان بالدولة والاسلام (٧) . الا أن بعض الفقهاء والمسلمين كرهوا استكتاب

---

(١) أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ولد سنة (٢٠٩هـ) ، وزر للمتوكل وللمعتمد وكان دمث الأخلاق ، محبوبا لدى الناس، توفي سنة (٢٦٣هـ). سير أعلام النبلاء ، جـ١٣ ، ص٩ — ١٠ . وفوات الوفيات ، جـ٢ ، ص ٤٣٤ .

(٢) تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ٣٣١ .

(٣) أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول الكاتب ، أحد وزراء المأمون ، وكان كاتبا بليغا ، جزل العبارة . توفي سنة (٢٧٧ هـ) . تاريخ بغداد ، جـ١٢ ، ص ٢٠٢ . أيضا وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ٤٧٥ — ٤٧٨ .ومعجم الأدباء ، جـ١٦ ، ص١٢٧

(٤) التذكرة الحمدونية ، جـ١ ، ص ٤٣١ .

(٥) المستجاد من فعلات الأجواد ، التنوخي ، تحقيق محمد كرد علي ، ١٩٧٠ ، ص٣٥ .

(٦) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، آدم متز ، جـ١ ، ص ٨٨ .

(٧) راجع الوزراء ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهل الذمة ، لأن الكاتب يستشار فيستشار هؤلاء في أمور المسلمين . قال سهل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب :

بأبي وأمي ضاعتْ الأحلامُ
أم ضاعتْ الأذهانُ والأفهامُ
من صدَّ عن دينِ النبيّ محمدٍ
ألهُ بأمرِ المسلمينَ قيامُ؟
الاّ تكنْ أسيافهم مشهورةً
فينا فتلك سيوفهم أقلامُ[1]

ويروي القرطبي أن بعض الفقهاء استأذن على المأمون ، فلما دخل عليه رأى عنده كاتبا يهوديا له منزلة وقربة ، فأنشد الفقيه قائلا : —

ان الذي شرفتَ منْ أجلِهِ
يزعمُ هذا أنّهُ كاذبُ

وأشار الى اليهودي ، فخجل المأمون ، ثم أمر حاجبه باخراج اليهودي ، وأمر باطّراحه وابعاده ، والا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله[2] .

---

(١) الرسالة العذراء ، ص ٢٣٧ .

(٢) بهجة المجالس ، القرطبي ، مجلد ١ ، قسم ١ ، ص ٣٥٩ .
ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه أحكام أهل الذمة أن السبب في اتخاذ المأمون هذا القرار كثرة خيانة أهل الذمة ، ومجاهرتهم بالبغي والفساد على المسلمين . ذكر أن عليا ابن حمزة الكسائي ، معلم المأمون ، قال له يوما — وقد قرأ المأمون عليه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم) : يا أمير المؤمنين ، أتقرأ كتاب الله ولا تعمل به ؟! فكاد أن خرج توقيع المأمون بصرفهم عن العمل وسجن بعضهم .
أحكام أهل الذمة ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق د . صبحي الصالح ، ط٢ ، ١٩٨١م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، جـ١ ، ص ٢١٧ — ٢١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تكرّر هذا الأمر في عهد المتوكل ، الذي أصدر سنة (٢٣٥هـ) أمرا الى عماله على الكور والأمصار ، وولاة الثغور والأجناد ، بأن لا يستعان بأهل الذمة في الدواوين وأعمال السلطان التي تجري أحكامهم فيها على المسلمين [١] . وقد قيل انه حجّ في هذه السنة فرأى رجلا يطوف بالبيت ويدعو على المتوكل ، فأمر الحرس بأخذه ومعاقبته فقال الرجل : "يا أميرَ المؤمنين ، قد اكتنفتْ دولتك كتّاب من أهلِ الذمةِ أحسنوا الاختيارَ لأنفسهم وأساؤوا الاختيارَ للمسلمين ، وابتاعوا دنياهم بآخرةِ أميرِ المؤمنين ، فخفتهم ولم تخف اللهَ ، فلا تصلحْ دُنياهم بفسادِ آخرتك" [٢] .

وكان من نتيجة هذا القرار أن أسلم جماعة من الكتّاب الذميين منهم ، أبو نوح عيسى بن ابراهيم ، وقدامة بن زياد ، والهيثم بن خالد [٣] . غير أن قوة هذه القرارات موقوتة بأصحابها فعاد شأن كتّاب أهل الذمة يعلو مرة ثانية ، مما دفع المقتدر الى اصدار قرار آخر بهذا الشأن سنة (٢٩٦هـ) [٤] .

وكان يفضل أن يكون الكاتب من ذات البلد التي يكتب في ديوانها ، لما في ذلك من فائدة لهم ولهم . فابن طولون [٥] يحتمل جعفر بن عبد الغفار الكاتب لأنه مصريّ . وأصلح الأشياء لمن ملكَ بلدًا أن يكونَ كاتبُه منه . وأن يكونَ شملُ الكاتبِ فيه ، فانه يجتمعُ له في ذلك البلد أمورٌ صالحةٌ منها أن تكونَ بطانةُ الكاتبِ وحاشيته في ذلك البلد ، فيعود مرفقه على

---

(١) انظر تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ٣٠٤ . والبداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣٢٧ . أيضا الكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص ١٠٦ .

(٢) أحكام أهل الذمة ، جـ١ ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٣) الأوائل ، العسكري ، ط١ ، ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٨٧ .

(٤) انظر البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص ١١٥ .

(٥) أبو العباس أحمد بن طولون ، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ، كان أبوه مملوكا أهداه نوح بن أسد السامانى عامل بخارى الى المأمون في جملة رقيق حمله اليه في سنة "٢٠٠ هـ" . وكان أبو العباس عاقلا حازما ، كثير المعروف والصدقة متدينا ، يحب العلماء وأهل الدين . توفي سنة (٢٧٠هـ) . وفيات الاعيان ، جـ١ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ . والكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فريق من أهله ، ومنها رغبته في اعتقادِ المستغلات به ، فيكون صفاقاً (ضمانا لجناياته ..... ،[١] .

ومن تنظيمات الكتّاب في ذلك الزمن ، أن يوم الخميس من كل أسبوع كان يوم عطلة لهم يستريحون فيه ، ويعنون بأمورهم . وقد استن هذا القانون الخليفة المهدي ، عندما بلغه أن أبا الوزير عمر بن مطرّف صاحب ديوان الخراج ، قد احتجم في ديوانه يوم الخميس. وقد بقي هذا الرسم جاريا الى أن كتب الفضل بن[٢] مروان للمعتصم ، فأزال ذلك الرسم ، وأخذ الكتّاب يحضرون الى الدواوين يوم الخميس[٣] .

ويبدو أن هناك محاولة جرت في أيام وزارة أبي الحسن بن الفرات الثانية ، لجعل يوم الثلاثاء من كل أسبوع يوم عطلة للكتّاب ، الا أنها لم تكن عطلة رسمية . فقد حدث أبو علي زكريا بن يحيى الكاتب قال :—

"كنت في ديوان السواد في وزارة ابي الحسن بن الفرات الثانية في يوم الثلاثاء ، وكان أكثر الكتّاب يخلون بالحضور فيه ،[٤] .

وكان على الكاتب اذا صرف عن منصبه أن يلقي القلم عن أذنه ويقوم ، وتلك سنة استنها عبد الله بن عبدة عندما صرفه سليمان بن عمران عن ديوان الخراج . وعندما سئل عن سبب ما فعله قال : "أحببت أن يكون هذا سنة في ولاة الدواوين اذا صرفوا ، لم يكن عليهم الا وضع القلم فقط ،[٥] .

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . د . حسن ابراهيم ، ط١٠ ، ١٩٨٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، ج٣ ، ص ٣٠٢ .

(٢) أبو العباس الفضل بن مروان ، كاتب بليغ ، استوزره المعتصم نحو ثلاث سنوات ، توفي سنة (٢٥٠هـ) ، من مصنفاته ديوان رسائله ، وكتاب المشاهدات والأخبار التي شاهدها . وفيات الاعيان ، ج٤ ، ص ٤٥ . وسير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص ٨٣ — ٨٤ . وشذرات الذهب ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

(٣) الوزراء والكتاب ، ص ١٦٦ .

(٤) الوزراء ، الصابي ، ص ٧٦ .

(٥) الوزراء والكتاب ، ص ٢٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فللكتاب تنظيمات وآداب وأخلاقيات يجب أن يراعيها الكاتب ، وقد جمعها الحسن بن سهل في رسالته الى محمد بن سماعة القاضي :—

"أما بعد ، فاني احتجتُ لبعضِ أموري الى رجلٍ جامعٍ لخصالِ الخير ، ذي عفّةٍ ونزاهةٍ وطعمة ، قد هذبته الآدابُ ، وأحكمته التجاربُ ، ليس بظنين في رأيه ، ولا بمطعون في حسبه ، ان ائتمنَ على الأسرارِ قامَ بها ، وان قلد مهماً من الأمورِ أجزأ فيه ، له سن مع أدب ولسان ، تعقده الرزانة ، ويسكته الحلم ، قد فرّغ عن ذكاءٍ وفطنة ، وعضّ على قارحةٍ من الكمال ، تكفيه اللحظةُ وترشده السكتة ، قد أبصرَ خدمةَ الملوكِ وأحكمها ، وقامَ في أمورهم فحمد فيها ، مع أناةِ الوزراءِ ، وصولةِ الأمراءِ ، وتواضع العلماءِ ، وفهم الفقهاءِ ، ..... يكادُ يسترقُ قلوبَ الرجالِ بحلاوةِ لسانه ، وحسنِ بيانه ، دلائل الفضلِ عليه لائحة ، وامارات العلمِ له شاهدة ..... "(١) .

هذه هي الصورة المثالية التي يطلبها الحسن في كاتبه ، صورة مشرقة يزيد في جمالها وبهائها أن يكون صاحبها طويل القامة ، صغير الهامة ، خفيف اللهازم ، كثيف اللحية ، صادق الحسّ ، لطيف المذهب ، نظيف المجلس ، عطر الرائحة ، بهيّ الملبس . نظر أحمد ابن الخصيب يوما الى رجل من الكتّاب قدم المنظر ، مضطرب الخلق ، طويل العثنون . فقال لمن حوله : لأن يكون هذا فنطاس مركب ، أشبه من أن يكون كاتبا (٢) .

وكان للكتّاب مظهر وهيئة يتسمون بهما ، وزيّ خاصّ بهم فيما يرتدون ، روي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه قال :

"أرسل اليّ الفضل بن الربيع الى البصرة في الخروج اليه ، فقدمت عليه . وكنت أخبر عن تجبره ، فأذن لي فدخلت . . . ثم دخل رجل في زيّ الكتّاب له هيئة فأجلسه الى جانبي "(٣) .

---

(١) الانيس الصالح ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ .
(٢) العقد ، ابن عبد ربه ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .
(٣) تاريخ بغداد ، ج ١٣ ، ص ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لبس الكتّاب الدراعة ، والقميص والقلنسوة . وعرضوا جبابهم ، وأطالوا ذيولها ، وعقصوا شعورهم على خدودهم (١) . وقد يضطر الواحد منهم الى لبس القباء ، والسيف اذا تولى رئاسة ديوان من دواوين الدولة المختلفة . ذكر أن عيسى بن يزدا نيروذ أول من لبس شاشية (٢) من الكتّاب ، وكان سبب ذلك "أنه احتاج الى لبس القباء والسيف ، من أجل ما يتقلده من نفقات الخاصة ، فلبس شاشية" (٣) .

غير أن هذه الشمائل والثياب النظيفة ، والمظهر المتأنق ، والتظرف والوقار لم يكن في بعض الأحيان الا غطاء لمفاسد كثيرة ، وأخلاق سيئة عند الجاحظ . فالكتّاب كما صوّرهم الجاحظ في رسالته المشهورة في ذمهم ، أخفر خلق الله لأماناتهم ، وأشراهم بالثمن البخس لعهود هم ، يتّسمون بالتحاسد والتباغض وعدم التماسك ، وان المنافسة بينهم لم تكن منافسة شريفة ، فهم كالكلاب يأكل بعضهم بعضا . كما قرنهم أيضا بالتبعة والخدم ، فهم عنده في حكم الأرقّاء (٤) .

وقد يكون هذا الكلام مبالغا فيه ، ولا نقول ذلك كي ننفي وجود فئة من الكتّاب اتسمت بحدّة الطبع والعجلة والسفه الذى يدفع بعضهم أن يأخذ نعله ، ويعدو خلف كاتبه لأنه أنكر عليه حرفا كتبه (٥) . أو فئة تملكها الطمع والجشع ، فأخذت الرشوة واحتالت للأمور ، أو تملكها الكبر والصلف فنفرت القلوب منها .

---

(١) انظر رسالة الجاحظ في ذم أخلاق الكتّاب ، ص ١٩١ .
(٢) الشاشية : نوع من أنواع القلانس ، تشبه الى حد ما الطربوش المستعمل حاليا ، الا أنه أكثر مخروطية . الملابس العربية ، د . صلاح العبيدى ، ص ١٠٠ .
(٣) الوزراء والكتاب ، ص ٢٦١ .
قال الحمدوني عندما تولى سعيد بن حميد رئاسة ديوان الرسائل في عهد المستعين :
لبس السيف سعيد بعدما
عاش ذا طمرين لا نوبة له
انظر تاريخ الطبرى ، جـ ٥ ، ص ٣٥٩ .
(٤) رسالة في ذم أخلاق الكتاب ، ص ١٩٠ — ١٩١ ، ص ١٩٧ — ١٩٨ .
(٥) انظر المفوات النادرة ، ص ٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان هذا لا يتّخذ مؤشرا على سوء أخلاق الكتّاب عامة ، فميل بعضهم الى اللـــــواط لا يجعل اللواط سجية للكتاب كما قال ابن دنقش[١] . واتصاف بعضهم بالجبن أو تظاهرهـــم به خوفا من بطش السلطان وفتكـــه[٢] لا يجعل مقولة بعضهم لعبد الله بن أحمد صحيحـــة اذ يقـــــول :—

"وصفت أباك بالشجاعة والقتال ، وهو كاتب حبار"[٣] . لأنه لا يوجد شيء خالـــص من الشوائب ، أو بريء من العيوب ، ولكل فئة حاشية وسفلة . وكما نجد صورا قاتمة ، نجـــد بالمقابل صورا مشرقة في حياة كثير من الكتّاب سجلت لهم في باب المآثر والمفاخـــر .

أما فيما يتعلّق بأجور الكتّاب، فان الاشارات التاريخية والأدبية تؤكد أن الحكومـــة العباسية كانت تتعامل بنظام الرواتب الشهرية مع كتابها . من ذلك ما يرويه صاحب "الموفقيـات" عن أربعة من الكتّاب الشاميين ، طلب منهم رئيس ديوان الرسائل "سعدان بن يحـــيى" أن يستغني كل واحد منهم عن قدر من راتبه لغلام كان يتعلّم في الديوان "فوهب له كل واحد منهم من رزقه خمسين درهما ، فدفع اليه مائتي درهم ، فلما كان في الشهر الثاني دفع اليهم أرزاقهـــم ونقص كل واحد خمسين درهما ، فصارت رزقا للغـــــلام"[٤] .

ويذكر الصابي أن أبا العباس[٥] بن الفرات مرّ في طريق له على أرحاء عبد الملـــك وقد عطش فاستسقى غلام له من شيخ يعرف بالعربي ، فقام الشيخ مسرعا ، فجاء بثلجيّة نظيفة فيهـــا

---

(١) جاء ابن دنقش الحاجب الى محمد بن عبد الملك الزيات برسالة من المعتصم ليحضره، فدخل ليلبس ثيابه ، ورأى ابن دنقش الحاجب غلمانا لهم روقة ، فقال وهو يظن أنه لا يسمع:

وعلي اللواط فلا تلومـــن كاتبـــا ان اللواط سجية الكتـــــاب

انظـر الاغانـــي ، ج ٢٣ ، ص ٥٢ .

(٢) قال عبيد الله بن سليمان لمن عاتبه لفراره من سبع أفلت من يدي سبّاع في حضرة الخليفة المعتضد بالله: "اعتمدت أن يرى الخليفة قصور منّتي ، وقصر همتي فيأمنني ، ولا يخـــاف غائلتي ، ولو رأى بخلاف هذه الصورة ، لكانت في تلك المخافة المحـــذورة" .
وزير دار الخلافـــة ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(٣) أخبار الشعراء ، المسمى كتاب الاوراق ، الصولي ، عني بجمعه ج . هيوارث دن ، ص ٢٣٨ .

(٤) الموفقيات ، الزبير بن بكـــار ، ص ٣٤١ .

(٥) أبو العباس بن الفـــرات :
أحمد بن محمد بن الفرات ، أول من ساد من بني الفرات ، كان حسن الكتابة خبيرا بالحساب والاعمال ، توفي سنة (٢٩١هـ). سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ٤٧٨ .
والاعـلام ، الزركلـــي ، جـ١ ، ص ٢٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماء بارد ، فشرب أبو العباس وانصرف الى منزله ، وأنفذ من سأل عن خبر الشيخ ، فعرف اختلال حاله ، فأمر بحمل مائتي دينار اليه ، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير برسم الكتّاب [١] .

وذكر أن المعتصم قال يوما لأحمد بن عمار : أين الحسن بن وهب ؟ فقال : في منزله . فقال المعتصم : لم يأخذ في كل شهر ألفي درهم ولا يعمل بها ؟ ثم أمر باحضاره ، وتوليته كتب الكتب الصادرة عن الخليفة [٢] .

فجميع النصوص السابقة تؤكد أن الدفع للكتّاب كان يتم شهريا ، أما عن رواتب الكتّاب فيقول الجهشياري : "وكانت أرزاق الكتّاب والعمال في زمن أبي جعفر ، للرؤساء ثلاث مئة درهم للرجل ونحو ذلك ، وكذلك كانت في أيام بني أميّة . وعلى ذلك جرت الى أيام المأمون ، فان الفضل بن سهل وسّع الجاري" [٣] . وكانت الثلاثمائة رزق رؤساء الكتّاب زمن أبي جعفر المنصور ، وبقيت كذلك حتى خلافة المأمون ، حيث أمر وزيره الفضل بن سهل بزيادة أرزاقهم ، غير أنه لم تذكر لنا مقدار هذه الزيادة .

وقد كانت أرزاق الكتّاب مختلفة باختلاف الزمان والأحوال ، وأصناف الكتّاب ، فقد روي أن عبد الله [٤] بن عليّ لما استتر عند أخيه سليمان بالبصرة ، وأدرك بعدئذ أنه لا وزر له من أبي جعفر المنصور ، قصد ديوان المنصور ، وأجرى له في كل شهر عشرة دراهم برسم الكتّاب [٥] . وعلى حين أصبح رزق الكاتب في بداية حكم المأمون ثلاثين درهما ، فقد أصبح في زمن أبي العباس بن الفرات عشرة دنانير في كل شهر [٦] .

وكان كتّاب دواوين الأموال أكثر الكتّاب رزقا ، ذكر الجاحظ أن صاحب ديوان الرسائل يرزق العشر من رزق صاحب الخراج [٧] .

---

(١) انظر الوزراء ، ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ .
(٢) المفوات النادرة ، ص ٢٥٨ .
(٣) الوزراء والكتاب ، ص ١٢٦ .
(٤) عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، عم المنصور والسفاح . أحد دهاة الارض ، وكان من الشجعان الابطال ، تعقب الامويين في الشام ، وفتح دمشق للعباسيين . ت (١٤٧ هـ) ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ١٩٢ . وتاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص ٨ ــ ٩ .
(٥) الوزراء والكتاب ، ص ١٣١ ــ ١٣٢ .
(٦) انظر الوزراء ، ص ٢٣٦ .
(٧) رسالة في ذم أخلاق الكتاب ، ص ٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن دخل الكتّاب في هذه الفترة مقصورا على الرواتب المقررة لهم ، بل كان بعضهم يجمع أموالا طائلة عن طريق الرشاوي والاختلاسات ، نظرا لمكانتهم في الدولة ، وتوليهم رئاسة الدواوين الخاصة بالشؤون المالية . فقد رفع الى أبي الحسن بن الفرات أن كتّاب ديوان الجيش المتولين للعطاء ، احتسبوا على الجند بما لم يعطوهم اياه ، وأخذوه لنفوسهم (١) .

وعندما أقطع المعتضد بالله دريرة حظيته اقطاعا ، ومضى به كاتبها الى أبي القاسم ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان الزمام ، امتنع من امضاء الكتاب ، فعاد الكاتب الى سيدته مغضبا ، فدخلت دريرة على الخليفة وأعادت عليه ما ذكره الكاتب من امتناع صاحب ديوان الزمام فقال لها : الخطأ منك ومن كاتبك ، ولو كنت بعثت اليه بثياب وألطاف كما يفعل الناس لراج أمرك ، وتسلمت اقطاعك ، وكان ذلك أنفع لك .

فعدلت دريرة عما كانت عليه ، وبعثت الى أبي القاسم ثيابا فاخرة ، وطيبا كثيرا ، وسألته امضاء الكتاب باقطاعها فقبل (٢) .

وعندما توسط أحمد بن (٣) خالد الأحول الكاتب لدى المأمون لتولية طاهر بن الحسين خراسان ، اشترط على نجاحه في ذلك عشرة آلاف درهم (٤) .

هذا اضافة الى ما كانوا يحصلون عليه من الهدايا والعطايا التي كانت تقدم لهم في المناسبات المختلفة (٥) . كما كانت كتابة الأمانات للناس ، والعهود للعمال باب مكسب كبير لهم (٦) .

---

(١) الوزراء ، ص ٢٥٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤ .
(٣) أحمد بن أبي خالد الأحول ، أبو العباس ، وزر للمأمون بعد الفضل بن سهل . توفي سنة (٢١٢هـ) ، سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
واعتاب الكتاب ، ص ١٠٩ ـ ١١٣ . وتاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص ٤ .
(٤) انظر حول ذلك البصائر والذخائر ، مجلد ١ ، ص ٨٢ .
(٥) انظر تاريخ بغداد ، جـ ٩ ، ص ٤٨٤ .
(٦) نشوار المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأصبحت لديهم نتيجة لذلك أموال ضخمة ، تجلت من مصادراتهم . فعندما سخط المعتصم على الفضل بن مروان أمر بحبسه ، وأخذ منه ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار (١) . وتتكرر مثل هذه المصادرة في عهد المتوكل ، ففي سنة (٢٣٢هـ) سخط المتوكل على عمر بن الفرج الرخجي ، وكان من علية الكتّاب ، وأخذ منه نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار مالا وجوهرا (٢) .

وقد كثرت المصادرات في هذا القرن كثرة دعت الى انشاء ديوان لذلك مثل سائر دواوين الدولة يدعى ديوان المصادرين ، لتسجيل من صودرت أموالهم وأنواعها ومقاديرها (٣) . وقد تعود القوم هذا الأسلوب ، بل أصبح من المستهجن تركه والعدول الى غيره من العقوبات . قال أبو عمر محمد بن يوسف القاضي : "لما جرت واقعة ابن المعتز ، حبست أنا وأبو المثنى ومحمد ابن داود بن الجراح ، فكنا في دار في ثلاثة بيوت متلاصقات وبيتي في الوسط . . . فلما كان في بعض الليالي ، دخل أناس بشموع الى بيت محمد بن داود وأخرجوه وأضجعوه للذبح فقال : يا قوم ذبحا كالشاة ، أين المصادرات ؟ أين أنتم من الأموال ؟ أنا أفدي نفسي بكذا وكذا فلم يسمعوا منه وذبحوه وأخذوا رأسه وألقوه في البئر" (٤) .

أما أسباب هذه المصادرات فهي :—

١— مصادرة الأموال لبناء القصور والمدن ، أو لسدّ العجز الحاصل في خزينة الدولة . ويحسن أن نشير هنا الى ما رواه الطبري عندما عزم المتوكل على بناء الجعفري "فلما عزم المتوكل على بناء الجعفري ، قال له نجاح وكان نديما للمتوكل : يا أميرَ المؤمنين أسمي لك قوماً تدفعهم اليّ حتى أستخرجَ لك منهم أموالاً تبني بها مدينَتَك ، فانه يلزمك من الأموالِ في بنائِها ما يعظُمُ قدره ويجلُّ ذكره" (٥) .

---

(١) المحاسن والمساوئ ، البيهقي ، ص ٥٣٠ .
(٢) مروج الذهب ، جـ٤ ، ص ١٩ .
(٣) انظر الوزراء ، ص ٣٣٢ .
(٤) فوات الوفيات ، جـ٣ ، ص ٣٥٣ .
(٥) تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ٣٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما طلب ابن أبي دواد من الواثق أن يطلق سراح الكتّاب الذين حبسهم وزيره، رفض ابن الزيات ذلك قائلا : "اذا أطلقت هؤلاء من أين أنفق الأموال ، وأقيم الأنزال؟!"(١).

كما كانت هذه المصادرات تشكل دخلا اضافيا لسدّ العجز الحاصل في خزينة الدولة ، نتيجة الأزمات المالية(٢) التي مرّت بها الدولة العباسية في هذه الفترة . لذلك جعلوا من شروط من يتولى الوزارة والأعمال الديوانية أن يكون عالما بدرة المال كيف تحلب ، ووجوهه كيف تطلب . وقد روى ابن قتيبة أنه "حضر جماعة من وجوه الكتّاب العمّال العلماء بتحلب الفيء وقتل النفوس فيه ، واخراب البلاد ، والتوفير العائد على السلطان بالخسران المبين"(٣).

٢ — الخوف من سلطة الكتّاب على الخلافة اذا زاد نفوذهم . ولعلّ هذا السبب في مصادرة المعتصم للفضل بن مروان وقتله : "ولما استخلف المعتصم استولى على هواه ، واستتبع الدواوين واحتجر الأموال ، ثم صار يردّ أوامر المعتصم في العطايا ولا ينفذها، واختلفت فيه السعايات عند المعتصم ، ودسوا عليه عنده من ملأ مجلسه و مساخره من يعير المعتصم باستبداده عليه ، وردّ أوامره ، فحقد له ذلك ، ثم نكبه سنة عشرين وصادره وجميع أهل بيته"(٤).

وفي سنة (٢٢٩هـ) حبس الواثق الكتّاب وألزمهم أموالا عظيمة ، فقد أخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه ، ومن سليمان بن وهب كاتب ايتاخ أربعمائة ألف دينار ، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار ، ومن ابراهيم بن رياح وكتابه مائة ألف دينار ، ومن أحمد بن الخصيب وكتابه ألف ألف دينار ، ومن نجاح ستين ألف دينار ، ومن

(١) المستجاد من فعلات الأجواد ، ص١٤٢ . والمختار من نوادر الأخبار ، المقرى، تحقيق أنور أبو سويلم ، ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(٢) من هذه الأزمات مثلا ، الأزمة الاقتصادية التي مرت بها الدولة العباسية أثناء حربها مع الصفاريين ، ذكر صاحب الديارات أن الموفق شكا الى صاعد بن مخلد أمر عمرو بن الليث الصفار ، وقلة الأموال وطلب منه أن يأخذ من التجار قرضا ، وأن يلزم الكتاب والعمال أموالا يستعين بها على قتال أعدائهم . انظر الديارات ، ص ٢٧١ .

(٣) أدب الكاتب ، ص ١١ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ، المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر . لابن خلدون ، ١٩٧١م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبـي الوزيـر مائـة ألـف وأربعـين ألـف دينـــــار [١] .

ويعلّـل بعض المؤرخين هذه المصادرة بخوف الواثق من طغيان سلطة الكتّاب واستبدادهم بالحكم ، كما حدث مع البرامكة زمن الرشيـــــد :

"وكان للواثق سمر يجلسون عنده ، ويفيضون في الأخبار ، حتى أخبروه عن شأن البرامكة واستبدادهم على الرشيد واحتجابهم الأموال . فأغراه ذلك بمصادرة الكتّاب فحبسهم وألزمهـــم الأمـــــوال ." [٢] .

وهذه أبيات دفعها ابن الزيات الى الواثق ، نسبها الى بعض أهل العسكر وفيهـــا اغراء بسليمان بن وهب ، وأحمد بن الخصيـــــب : —

سُميتَ باسمِ الرشيدِ المُرتضى فبِـــــهِ
قِسْ الأمورَ التي تَنجي مِنَ الزَلـــلِ
عِثْ فيهم مِثْلَ ما عاثتْ يَداهُ معـــــاً
على البرامـــكِ بالتهديمِ للقلـــل [٣]

٣ــ استرداد أموال الدولة التي استولى عليها بعض الكتّاب بطرق غير مشروعـــــة . ففي سنة (٢٥٥هـ) طلب الأتراك أرزاقهم من الخليفة المعتز وشغبوا ، فقال صالح بن وصيـــف ــ وكان متغلبا على المعتز ــ: "هذه الأموال قد ذهب بها الكتّاب والوزراء وليس في بيت المـال شـــيء" . لذلك أمر صالح بالكتّاب الثلاثة ، أحمد بن اسرائيل ، والحسن بن مخلـــــد ، وأبي نوح عيسى بن ابراهيم ، فضربهم وأخذ خطوطهم بأموال جزيلة يحملونهـــــا [٤] .

---

(١) تاريخ الطـبري ، جـ٥ ، ص ٢٧٥ . والكامل في التاريـخ ، جـ٦ ، ص ٧٩ .
(٢) تاريخ ابن خلدون ، جـ٣ ، ص ٢٧٠ . أيضا تاريخ الطبري ، جـ٥ ، ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .
(٣) اعتاب الكتاب ، ص ١٣٩ . لم أعثر على هذه الابيات في ديوان ابن الزيات ، الـذي نشره د . جميل سعيد ، ١٩٤٩م ، مطبعة نهضة مصـر ، الفجالـــة .
(٤) انظر الكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص ٢١٢ ــ ٢١٣ .
أيضا تاريخ ابن خلـدون ، جـ٣ ، ص ٢٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ــ سعاية رجال الدولة بالكتّاب عند الخلفاء وأصحاب السلطـــان :

ولعل هذه السعايات بين الكتّاب لم تبلغ من الشدة والعنف ما بلغته في أيام الواثـــق . روى ابن الأبار في كتابه "اعتاب الكتّاب" ما يؤيد هذه النقطة ، حيث يقول :

"وكثرت في أيام الواثق نكبات الكتّاب ، كسليمان بن وهب ، وأحمد بن الخصيب وغيرهمـا ، بسعاية ابن الزيـــات" (١) : ــ

قـال ابـراهـيم بن العباس الصولي مخاطبا ابن الزيات في ذلـــك :

ايـه أبا جعفـر وللدهـر كـــرّ
اتٌ وعمـا يريـبُ مُتَسَـــعُ
أرسلتَ ليثاً علـى فرائسِـــه
وأنت فيها فانظر متى تقـــعُ
لَمَّظْتَـهُ توته وفيـك لـــه
اذا تقضّـتْ أقواتُـه شبـَعُ (٢)

وفي زمن المكتفي استطاع وزيره القاسم بن عبيدالله الايقاع بمحمد بن غالب الاصبهانـي وكان يتقلّد ديوان الرسائـــل (٣) .

وقد جرت محاولة من بعض أهل الذمة لاخلاء أركان الدولة العباسية من الكتّـــاب المسلمين زمن المتوكل ، وذلك بالسعاية بهم عند الخليفة ، واتهامهم بالتفريط والخيانـــة ، وعملوا عملا باسماء هؤلاء الكتّاب المسلمين ، وأوجبوا باسم كل واحد منهم مالا كثـــيرا (٤) .

٥ــ تعرض الوزراء وأصحاب السلطة لغضب الخليفة الأمر الذى ينتهي بعزلهم أو سجنهـــم أو قتلهم أحيانا مع مصادرة أموالهم . ولم تكن المصادرة تتوقف عند أموال المغضوب عليهم فحسب ، بل كانت تمتد الى أموال كتابهم وأعوانهم وخاصتهـــم .

(١) اعتاب الكتاب ، ص ١٣٦ .
(٢) المصدر السابـــق ، ص ١٣٧ .
(٣) مروج الذهـــب ، جـ٤ ، ص ١٨٧ .
(٤) انظر أحكام أهل الذمـــة ، جـ١ ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ـ أسبـــاب شخصيـــة : ـ

فقد أمر الخليفة المتوكل أن يغرم اسحق بن سعد كاتب نجاح مبلغ واحد وخمسين ألـف دينار ، وعندما سئل عن ذلك قال : "انه أخذ مني أيام الواثق حينما كان يخلف عمر بن فـرج خمسين دينارا حتى أطلق أرزاقي ، فخذوا لكل دينار ألفا وزيادة ألف فضلا ، كما أخذ فضلا"(١)

ولعل هناك أسبابا أخرى لا نعرفها ، لانها تمس الخليفة أو الوزير نفسه أو أهله . قـال المأمون : " لا يستطيع الناسُ أن ينصفوا الملوكَ من وزرائهم ، ولا يستطيعون أن ينظروا بالعـدلِ بين ملوكهم ، وحماتِهم وكفاتِهم ، وبينَ صنائعِهم وبطانتهم ، وذلك أنهم يرون ظاهرَ حرمـةٍ وخدمةٍ واجتهادٍ ونصيحة ، ويرونَ ايقاعَ الملوكِ بهم ظاهرا ، حتى لا يزال الرجل يقول : ما أوقـع به الا رغبة في ماله ، أو رغبة في بعضِ ما لا تجود النفس به ، ولعل الحسد والملالة وشهـوة الاستبدال اشتركت في ذلك منه ، وهناك جناياتٌ في صُلبِ الملكِ وفي بعضِ الحرم ، فلا يستطيعُ الملكُ أن يكشفَ للعامة موضعَ العورة في الملك ، ويحتجّ لتلك العقوبةِ بما يستحقُ ذلك الذنب . ولا يستطيعُ الملكُ تركَ عقابه لما في ذلك من الفسادِ على علمه بأن عذره غير مبسوطٍ للعامة ولا معـروف عندَ أكثرِ الخاصـة "(٢) .

ونختتم حديثنا عن الكتّاب في هذا القرن ، بدراسة تحليلية فنية لبعض آثارهـم ، دون الوقوف طويلا عند سيرتهم الذاتية . ونحن اذ نخص سهل بن هارون ، وأبا العيناء ، وابن المعـتز . في بحثنا بهذه الصفحات ، فذلك راجع لمكانتهم الكتابية في نثـر القرن الثالث الهجري ، والى أننا ربما استطعنا أن نكشف عن جوانب معينة في نثر هذا القـرن .

---

(١) محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية ، محمد الخضري بك ، المكتبـة التجارية الكبـرى ، مصـر ، ص ٢٥٧ .

(٢) التذكرة الحمدونية ، جـ١ ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ .
وردت في الموفقيات مع اختلاف في بعض الألفـاظ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتّاب من رجال

القرن الثّالث الهجري وبعض نصوصهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سهل بن هارون :ـ

فارسي الأصل من دستميسان ، كورة بين البصرة وواسط والأهواز[١] . وهو أحد النقلة من الفارسية الى العربية ، دخل البصرة واتصل بالمأمون فولاه "دار الحكمة" ولا يعرف بالضبط متى كان مولده ، أما وفاته فكانت في عام "٢١٥ هـ"[٢] .

كان سهل خطيبا شاعرا كاتبا ، يقول الجاحظ فيه : "ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة ، والسير الحسان المدونة ، والأخبار المولدة ، سهل بن هارون بن راهبوني الكاتب ."[٣] .

وكان الجاحظ في أول امره اذا ألف كتابا ينسبه الى من عرفوا بالبلاغة والتأليف ، مثل سهل بن هارون ، فيشيع كتابه بين الناس[٤] .

ويجمع من ترجموا لسهل على أنه كان شعوبي المذهب ، شديد البخل ، ويقال أنه وضع رسالة في مدح البخل وذم الكرم ، وأرسلها الى الحسن بن سهل ، فلم يعطه شيئا عليها ، وردها وقد كتب على ظهرها : "وصلت رسالتك ، ووقفنا على نصيحتك ، وقد جعلنا المكافأة عنها القبول منك ، والتصديق لك ، والسلام ."[٥] .

وعلى نحو ما اشتهر سهل بالشعوبية والبخل ، اشتهر بالحكمة ، حتى لقب بـ "بزر جمهر الاسلام"[٦] ومن أقواله التي تشهد له بالحكمة والبلاغة ، ما قاله في التعزية:

---

(١) انظر معجم البلدان ، ياقوت الحموى ، مجلد ٢ ، ص ٤٥٥ .
(٢) انظر معجم الأدباء ، جـ ١١ ، ص ٢٦٧ . وأعتاب الكتاب ، ص ٨٥ ـ ٩١ .
(٣) البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٥٢ .
(٤) التنبيه والاشراف ، ص ٧٦ .
(٥) شرح العيون ، ص ٢٤١ . وقد أثبت الجاحظ رسالة سهل في كتاب البخلاء ، الجاحظ ، تحقيق طه الحاجوى ، ١٩٦٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٩ ـ ١٦ .
(٦) شرح العيون ، ص ٢٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"التهنئة على آجل الثواب" أولى من التعزية على عاجل المصيبة" (١).

ومن محاسن تعريضات سهل "أنه خاطب بعض الأمراء" فقال له الأمير: كذبت. فقال سهل: أيها الأمير" ان وجه الكذاب لا يقابلك. يعني الأمير بذلك "لأن وجه الانسان لا يقابله" (٢).

وما من ريب في أن سهل بن هارون قد أعجب بابن المقفع وتأثر به" فقد وضع كتاب ثعلبة وعفراء في معارضة كتاب كليلة ودمنة" ومن تصانيفه أيضا كتاب الوامق والعذراء" وكتاب شجرة العقل" وكتاب الغزالين "وكتاب الى عيسى ابن أبان في القضاء" وكتاب تدبير الملك والسياسة" وكتاب النمر والثعلب" وهو الكتاب الذي سيكون موضوع دراستنا في الصفحات التالية.

النمر والثعلب لسهل بن هارون :—

تبدأ القصة في هذا الكتاب بالثعلب "مرزوق وكنيته أبو الصباح"" وكان يعيش مع زوجه" في واد لم يكن به غيره" فعبر عليه زمان فيه وهو حسن الحال" رخي البال. الى أن مر به ثعلب آخر" فأنكر موضع جحره من الوادي" ونصحه أن يتحول عنه مخافة أن يدهمه السيل" فاستشار الثعلب زوجه فاعترضت عليه" وأبت التحول. ولم يلبث أن جاء طوفان من السيل حمله وحده الى جزيرة لم يسمع بها حسيسا ولم ير أنيسا. وبينما هو يتلفت من حوله" اذا ذئب اسمه "مكابر وكنيته أبو الفراء" يمر به" فتعارفا وسرعان ما عرف الثعلب أن الجزيرة تمتلئ بالظباء وبقر الوحش" غير أنهم لا يستطيعون صيدها" لخضوع الجزيرة وسكانها لملك شرس ظالم هو النمر "المظفر بن منصور".

(١) البيان والتبيين" جـ٢" ص ٧٤.
(٢) شرح العيون" ص ٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينصرف الثعلب حزينا مغتمّا لما سمعه من حديث الذئب ، ويبيت ليلته مفكّرا . فلما أصبح الصبح قصد الى الذئب ، ونجح في اقناعه بالاتصال بالنمر ، وطلب ولاية تكسب الذئب حمدا ، وترد المنفعة على الملك . ثم ان الذئب انطلق حتى دخل على النمر ، وتحدّث الذئب الى النمر بأحسن ما عنده من حديث ، فلما سمع النمر كلامه أعجبه وطمع فيما وعده ، ورجا أن يكون عنده من صالح الاعوان ، وثقات الخدم . وكتب له عهدا على مناهل الظباء .

خرج الذئب الى عمله ، واستخلف الثعلب وأحلّه محل الوزير الكاتب ، وأقبلا يصيبان كل يوم حاجتهما ، حتى صلحت أحوالهما ، وأخلف الذئب وعده وخان عهده مع النمر ، فوجد منه النمر وجدا شديدا ، وأمر بالكتابة اليه بتوبيخه ولائمته ، والاغلاظ عليه في الخطاب . فردّ الذئب بكتاب يعلن فيه الخلاف والعصيان على النمر ، فشمّر الملك للحرب عن ساق ، وأنهض لحرب الذئب مجموعة من قواده ، انتهى أمرهم الى القتل على يد الذئب . ففزع النمر لذلك ، ونهض بنفسه الى الذئب في عدده وعتاده وأنصاره فقتله ومن معه . وناظر الثعلب ثم عفا عنه ، وأمره بالمقام في جواره لما رآه من حسن عقله ، وجودة منطقه وألفاظه .

هذه خلاصة لقصّة "النمر والثعلب" ، وهي حكاية رمزية افتتحها سهل بتحميد جرى فيه مجرى المعتزلة في تمجيد الله وتعظيمه ، من خلال مظاهر الكون . ومثل هذه الافتتاحية وقعت لكثير من المؤلفين ، حتى كادت تصير فيما بعد جزءا من المقدّمات .

وقد تناول سهل في قصته "النمر والثعلب" كثيرا من القضايا العقلية والنفسية والاجتماعية ، التي تدل على عمق فلسفته ، وعلى تمكنه من البحث في أسرار الموجودات ، مستندا في ذلك الى مصادر من ثقافته الواسعة ، وعقليته الناضجة ، وتفكيره العميق . والقارئ يلمس ذلك — خاصة — في تلك المناظرة التي عقدها سهل في نهاية قصته بين الثعلب والملك ووزرائه الثلاثة . وقد جاءت هذه المناظرة طويلة نسبيا احتلت نصف الكتاب تقريبا .

وكانت مناظرته تعرض للأمور الخفية التي تتّسم بالعمق وتحتاج الى طول التأمل . وعلى رأس هذه الأمور عمل العقل . فسهل كان يكبر وظيفة العقل ، وكأنه معتزلي المذهب ، اذ العقل عنده "قائمٌ لكلِ محمود ، وجنةٌ من كلِ مدفوع ، حياةُ النفسِ ، وراحةُ البدنِ ، مدته الى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السرور وأيامه الى السلامة، جامعُ شملِ المذاهب، وراجعُ فوت كلِ ذاهب ....لا يخبو نـــوره ولا يكبو زنـــده ،..... مفتاحُ الخيراتِ ومعدنُ الصالحات، عليه معول المحروم، وفيـــه عرض من المعـــــدوم ".(١) .

وحديث سهل عن العقل حديث متشعب طويل، يقوده الى الحديث عن العلم، وثبـات المعرفة، وفرق ما بين العالم والجاهل، وذى الحظ من العقل لا يخلو من نقص، والأحمـــق الداهي من أين أتاه الدهاء . وهو في كل ذلك يناقش ويحاكم كأحسن ما يناقش أهل العلـــم والجـــــدل (٢) .

وترى في مناظرته هذه مثالية العالم الفيلسوف، ممتزجة بشخصية المتدين الورع، والرجل الحكيم الخبير بالنفس، المتفهم لطبيعتها . يقول في كتابه "النمر والثعلـــب" :

"فأقبل عليه الملك فقال : أيها الثعلب، من صغرت الدنيا في عينـــه ؟

قال : من كرمت عليه نفســـه .

قال : أيّ الناس أعلـــم ؟

قال : أشدّهم لله خشيـــة .

قال : فمن أحقّ الناس بالرحمـــة؟

قال : عالم يجوز عليه حكم جاهـــل .

قال : فمن الموفق للخيـــر ؟

قال : الراضي باليسر مع سلامة الديـــن ".(٣) .

كل ذلك مقرون باستخدام الوسائل البيانية المساعدة، كالتمثيل، والاستشهاد، والتضمين، والاكثار من الصفات، وغير هذه . فهو يستهدف أن تتسم قصته بخصائص فنية، ومتعة أدبيـــة بجانب ما تتسم به من خصائص خلقية وذهنية . يقول سهل في مقدمة "النمر والثعلب" : "فانّـــي

(١) النمر والثعلب، حققه وقدم له وترجمه الى الفرنسية عبد القادر المهيري، ١٩٧٣، الشركة التونسية لفنون الرســـم، ص ٥١ .
(٢) انظر المصدر السابـــق، ص ٤٧ ـ ٧٩ .
(٣) المصدر السابـــق، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيت أن أصنعَ لك كتاباً في الأدبِ والبلاغةِ والترسلِ ، والحروبِ والحيلِ والأمثالِ والعالمِ والجاهلِ وأن أشربَ ذلك بشيءٍ من المواعظِ وضروبٍ من الحكم »(١) .

وما من ريب في أن أسلوب سهل يتضح لنا بجميع خصائصه في كثير من نصوص قصته . ونقف عند رسالة من الرسائل المتبادلة بين الذئب والنمر ، وهي رسالة أنشأها الثعلب على لسان الذئب ، يعلن فيها الخلاف على النمر ، وشق عصا طاعته :

« أما بعد ، فإنّ كتابَ الملكِ ـ أمتعَ اللهُ به ـ وَصَل اليّ بما حذّرَ فيه وأنذر ، وقدّمَ وأخر ، وفَهمتُهُ ، وقد كان المَلِكُ ـ حفظه اللهُ ـ أسندَ اليّ أمرَ هذا الثغرِ المخوف ، على حين انتشار من العدوِ به ، وانقطاع من سبلِه ، واختلاف من الكلمةِ بين أهله ، وتفرق من الأهواء فيه ، فرأيتُ صدعَ الآفةِ ، وجمعتُ شملَ الطاعةِ ... التمسُ بذلك جزيلَ الثواب ، وكريمَ المآب ، ورضا الملكِ والزلفة عنده ، فعادَ ما عملته هباءً ، ولم أجدْ منه شيئاً مشكورا ، وما يقعقع لمثلي بالشنان »(٢) .

تحمل هذه الرسالة بين سطورها شيئا من صنعة سهل ، التي تقوم على عدم الاحتفال بالاسجاع الا اذا جاءت عفو الخاطر ، والاكتفاء بالتواؤم الصوتي ، والترادف الموسيقي مع العناية باللفظ الموجز ، والعبارة المحكمة .

ونجد في القصة عناصر كثيرة من الثقافة العربية ، في مقدمتها الأمثال والحكم والأشعار التي عرف سهل كيف يوظفها في أثناء سرد قصته . ومن أمثلة الاعتبار بالشعر لجوء الثعلب ـ وقد استقر على الجزيرة بعد أن حمله السيل اليها ـ الى الشعر مستشهدا بقول الأعشى :

شَبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثروةٌ
فللّهِ هذا الدهرُ كيفَ تردّدا(٣)

---

(١) النمر والثعلب ، ص ٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢ .
انظر البيت في ديوان الأعشى ، شرح وتعليق د . محمد محمد حسين ، ط٧ ، ١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وان من يطالع القصة ، يتبيّن أن كثيرا من حكم سمل ، نجدها مستقرة في انتاج ابن المقفع وخصوصا في كتابه "كليلة ودمنة" يقول الثعلب ناصحا الذئب ، مثلا : "المالُ زيادةٌ في القوتِ والرأى ، وليس الأخوانُ والأهلُ والاعوانُ الاّ مع المالِ ، ولا يظهرُ المروءة الاّ المال ، لأنّ من لا مالَ له اذا أراد أن يتناولَ أمراً تعذّ به العدم ، تقصّر عنه"[1] ، وقد وردت العبارة في "كليلة ودمنة" ، يقول ابن المقفع "ما أرى التبعَ والاخوانَ والأهل الاّ مع المالِ ، ولا تظهرُ المروءةُ والرأيُ والمودةُ الا به ، فانّي وجدتُ من لا مالَ له اذا أراد أن يتناول أمرا ، تعذّ به العدمُ"[2] .

وسمل لا ينكر هذه الحقيقة ، بل يعترف بأن مادة الكتاب ليست جميعها من ابتداع عقله ، أو عطاء فكره الخالص ، وذلك اذ يقول :

"وقد وضعتُ من ذلك كتاباً مختصراً ، موعباً شافياً ، وجعلته أصلا للعالم الأديب ، والعاقلِ الأريب ، مما أمكنني حفظه ، وأطردَ لي تأليفه"[3] .

أما الأثر الاسلامي في "النمر والثعلب" ، فيتّضح في التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ، قال الثعلب لصديقه الذي نصحه بالتحول عن مسكنه :

"يا أبا المغلس ، وما الذي أنكرتَ عليّ منه وغضتَ عليّ فيه ؟ فأنت من لا أتهمُ في عقلهِ ونصيحتهِ لأهل مودته ، ... واني لعلى حبل ذراعك ، والمؤمن مرآة أخيه"[4] . وقول الثعلب "المؤمن مرآة أخيه" هو نص الحديث الشريف "المؤمن مرآة المؤمن"[5] .

ومن الاسلاميات الأخرى في القصة ، اعتماد النية أساسا لما يقوم عليه عمل الانسان في حياته . قال الذئب : "انه كان يقال : لا تغتبط بسلطانٍ مع غيرِ عدل ، ولا بغنى من غير حِلّ ، ولا ببلاغةٍ من غير صدق ، ولا بجودٍ من غيرِ اصابة ، ولا بحسنِ عملٍ من غير خشية"[6] .

---

(١) النمر والثعلب ، ص ١٦ .
(٢) كليلة ودمنة ، عبد الله بن المقفع ، ط١٥ ، ١٩٣١م ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ص ١٨٩ .
(٣) النمر والثعلب ، ص ٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٩ .
(٥) سنن أبي داوود ، أبي داوود سليمان بن الاشعث السجستاني ، ضبطه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج٤ ، باب في النصيحة ، ص ٢٨٠ .
(٦) النمر والثعلب ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما فكرة القدر ، فنجدها مبثوثة في عدد من المواضع في القصة [١] .

ونختتم وقفتنا مع سهل بن هارون وكتابه "النمر والثعلب" ببيان موقف الكاتب من السلطان وصحبته ؛ ففي القصة كثير من الشواهد التي تؤكد أن الكاتب كان يدرك حقيقة السلطان وطباعه، فالملك : "صبيّ الرضا ، كهلُ الغضب ، يأمرُ بالقتل وهو يضحكُ ، ويستأصلُ شأفةَ القوم وهو يمزحُ ، يخلطُ الهزلَ بالجد ، ويتجاوزُ في العقوبة قدر الذنب ، وربّما أحفظه الأمر اليسير ، وربّما أعرضَ صفحاً عن الخطبِ الكبير ، أسباب الموتِ والحياةِ معلّقة بطرف لسانه" [٢] .

وقد كان سهل يقدر هذا تقديرا دقيقا . ففي رواية للجاحظ قال : "قلت لسهل بن هارون : قال حبّاب : أحق الناس بصحبةِ السلطانِ من صرفهم عن عيوبهم ، واحتملَ ثقةَ نصائحهم في حظوظهم . فقال : لكني أقول غيرَ ذلك . قلت : ماهو ؟ قال : أحقّ الناس بصحبةِ السلطانِ من ساعدهم على أهوائهم ، وألهاهم عن ذكرِ عاقبتهم" [٣] .

لذلك نجد الكاتب ينصح صاحب السلطان بأن يتحمل الأذى ، ويلقي عن نفسه الأنفة، ويكظم الغيظ ، ويرفق بالناس، ليخلص الى حاجته ومكانته من السلطان [٤] .

وتذل سيرة سهل على أنه آمن بما كتب ، وسار في حياته على ما رسمه من قوانين في هذا المجال ، ولذلك استطاع أن يحافظ على منزلته عند الخليفة المأمون الى حين وفاته .

---

(١) النمر والثعلب ، ص ١٦ ، ص ٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤ .
(٣) الحكمة الخالدة ، أبو علي أحمد بن محمد مسكويه ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، ١٩٨٠م، ط٢ ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ١٦٧ .
(٤) النمر والثعلب ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو العينـــاء : ـ

أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، أصله من اليمامة، سكن البصرة، وانتقل عنها الى بغداد ، ثم الى سامرّاء حيث اتصل بالمتوكل ونادمه [١] . عرف بحدّة ذهنه ، وذكاء أجوبته ، وسرعة خاطره . وقد مدحه المسعودي بذلك فقال : ـ

"وكان لأبي العيناء من اللسان ، وسرعة الجواب والذكاء ، ما لم يكن عليه أحد من نظرائه" [٢] . ومن الأمثلة على حسن جوابه وسرعة بديهته ، أنه دخل يوما على المتوكل فقال له المتوكل : "ما أشدّ شيء مرّ عليك في ذهاب بصرك ؟ قال : فوات رؤيتك يا أمير المؤمنين مع اجماع الناس على جمالك" [٣] .

فمراعاة النظير ، واختيار الردّ المجانس للكلام الذي يسمعه ، أكسبا أجوبته قوة وبلاغة. وروى أن أبا عبد الله بن المرزبان حاول العبث بأبي العيناء فسأله : لم لبست جبّاعة ؟ أي التي ما بين جبّة ودراعة . فبديهة أبو العيناء بردّ ساخر فيقول : لأنّك صفديم ، وهو الذي بين صفعان ونديم [٤] .

وكانت ثقافة أبي العيناء عونا في اجاباته . قيل له : ما حالك مع فلان مذ تولى ؟ فقال : أنا معه غير جندب . يعني قول الشاعر:

واذا تكونُ كريهةٌ أدعى لها
واذا يحاسُ الحيسُ يدعى جندبُ [٥]

وهو حافظ للقرآن ، يستشهد بآياته ، كتب اليه ابن مكرم [٦] يوما : ـ

(١) انظر الفهرست ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .
(٢) مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .
(٣) خاص الخاص، ص ٨١ .
(٤) جمع الجواهر ، ص ٢٢٦ .
(٥) محاضرات الأدباء ، ج١ ، ص ١٨١ .
(٦) محمد بن مكرم: كاتب بليغ مترسل ، له مع أبي العيناء وأبي عليّ البصير أخبار مشهورة. معجم الشعراء، المرزباني ، ١٣٥٤هـ ، مكتبة القدس، القاهرة ، ص٤٤٤ . وأيضا الفهرست ، ص ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"قد ابتعتُ لك غلاماً من بني ناشر ، ثم من بني ناعظ ، ثم من بني نهد . فكتب اليه أبو العيناء : فأتنا بما تعدنا ان كنتَ من الصادقين "(١) . وهذا اللون من الاقتباس من القرآن الكريم مستهجن مذموم عند أهل البلاغة ، لأنه استعمل في مجال العبث والمجون(٢) .

وأخبار أبي العيناء كثيرة تسرّ وتطرب ، لما تحويه من طرائف وخفة ظلّ . من ذلك أنه مرّ يوما بدار عبد الله بن منصور — وهو مريض وقد صحّ — فقال لغلامه: —

"أي شيء خير أبي محمد ؟ قال : كما تحب. قال أبو العيناء : فمالي لا أسمع الصراخ في الدار ؟ "(٣) .

كما تحمل أخباره نقدا اجتماعيا وأدبيا ساخرا ، وان كان بالامكان حمل بعضها على محمل الدعابة والتظرف . من ذلك أنه اجتمع وأبو عفان على مائدة ، فقدمت اليهما فالوذجة فقال أبو عفان لأبي العيناء : "هذه والله أشدّ حرّا من مكانك في لظى ، فقال أبو العيناء بردّها الله بشعرك "(٤) .

فأبو العيناء ينتقل من ردّه الى نقد أبي عفان أدبيا . ومن نقده الاجتماعي ، وتعريضه بالحكام ، واتهامهم بالخيانة وأخذ الأموال بالحق والباطل ، ووصيته الى صديق له ولي ولاية : —

"اعلم أن الخيانةَ فطنةٌ ، والأمانةَ حرفةٌ ، والجمعَ كيسٌ ، والمنعَ صرامةٌ ، وليس كلّ يوم ولاية ، فاذكر أيامَ العطلةِ ، ولا تحقرن صغيراً ، فان من الدور الى الدور وابلاء الولاية رقدة ، فتنبّه قبلَ أن تُنبّه ، وأخو السلطان أعمى عن قليلٍ سوف يبصر "(٥) .

(١) الديارات ، ص ٩٢ ، أيضا زهر الآداب ، جا ، ص ٣٣١ .
(٢) انظر خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، ١٨٧٤م ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ص ٥٣٩ .
(٣) الديارات ، ص ٨٤ .
(٤) نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء ، المرزباني ، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري ، تحقيق رودلف زلهايم ، ١٩٦٤ ، فرانتس شتاينر بليسبادن ، ص ٣٢٣ .
(٥) تاريخ بغداد ، البغدادي ، جـ٣ ، ص ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتصل أبو العيناء بحكام مختلفين ، ووزراء كثيرين ، وبغيرهم من القائمين على شؤون الدولة والحكم ، يستعين بهم على دهره كالحسن بن سهل ، وأحمد بن أبي دؤاد ، وعبيد الله ابن سليمان .

وقد عرف أبو العيناء بشدة الاقتضاء والالحاح في الطلب ، يصرح به تصريحا مباشرا حينا ، ويذكر به تذكيرا لطيفا حينا آخر . كتب الى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه : "ثقتي بك تمنعني من استبطائك ، وعلمي بشغلك يدعوني الى تذكيرك "(١) .

فماذا يستطيع أن يعمل من كان فقيرا مثله ، الا أن يعود على اخوانه فيأخذ من أموالهم انها الحاجة ، والمقاييس الاجتماعية التي جعلت المال معيارا مهما في تقييم الفرد وتقديره في ذلك العصر ، قال أبو العيناء : —

انّ الغنيّ اذا تكلّمَ كاذبا
قالوا صدقتَ وما نطقتَ محُالا
واذا الفقيرُ أصابَ ، قالوا لم يُصبْ
وكذبتَ يا هذا ، وقلت ضلالا
ان الدراهمَ في المواطنِ كلِّها
تكسو الرجالَ مهابةً وجلالا(٢)

لذلك نجد أبا العيناء يمدح الكرم والكرماء ، ويثني على أهل الجود والفضل ، ولما كان الهدف من هذه المدائح — غالبا — هو التكسب ، فان صفة العطاء الجزيل ، والكرم من الصفات التي نوّه بها أبو العيناء ، ونسبها الى ممدوحيه . كتب الى أبي الصقر الوزير(٣)

---

(١) معجم الادباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٩٧ . ايضا الوفيات ، جـ ٤ ، ص ٣٤٧ .
(٢) معجم الادباء ، جـ ١٨ ، ص ٣٠٥ .
(٣) ابو الصقر ، اسماعيل بن بلبل ، استوزره المولق لأخيه المعتمد سنة (٢٦٥هـ) ، بلغ من الوزارة مبلغا عظيما ، وجمع له السيف والقلم ، توفي سنة (٢٧٨هـ) . الطبري ، جـ ٥ ، ص ٥٢٠ ، ص ٥٩٩ — ٦٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتابا جاء فيـــــه : —

" أنا — أعزّكَ اللهُ — طليقُكَ من الفقرِ ، ونقيذُكَ من البؤسِ ، أخذتَ بيدي عندَ عثـــــرةِ الدهرِ ، وكبوةِ الكبرِ ، وعلى أيةِ حالٍ ، حينَ فقدتُ الأولياءَ والأشكالَ والأخوانَ والأمثـــــالَ ، الذين يفهمون في غيرِ تعب ، وهم الناسُ الذين كانوا غياثاً للناس ، فحللت عقدةَ الخلّة ، ورددت اليّ بعدَ النفورِ النعمـــــــة "(١) .

فهو قادر على أن يأتي بجميل اللفظ ، ولطيف العبارة ، ورقيق المعاني ، مما جعـــل ابن مكرم يساويه بعبد الحميد الكاتب في بلاغته اذا نوّه بكرم(٢) . ومكانة أبي العيناء معروفـــة عند أهل الأدب ، وقد شهد له الكثيرون بالبراعة والتمكن والاحسان في فنّي الكتابة والشعـــر . قال صاحب الديارات : "كان حسن الكتابة ، بليغ الخطابة ، مليح الشعر "(٣) . وقـــــد وضع ابن أبي طاهـــر(٤) كتابا في أخبـــاره(٥) . وكانت وفاة أبي العيناء بالبصرة سنـــــة (٢٨٢ هـ) " .

---

(١) زهر الآداب ، جـ٣ ، ص ٨٤٤ . وردت أيضا في جمع الجواهر ، ص٢٤٣ — ٢٤٤ .
(٢) انظر زهر الآداب ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ .
(٣) الديـــــارات ، ص ٩١ .
(٤) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ، واسم طاهر طيفور ، من أبناء خراسان ، مولده ببغـــداد سنة (٢٠٤ هـ) وتوفي سنة (٢٨٠هـ) ، أحد البلغاء الشعراء الرواة ، وله من الكتـــب المصنفة كتاب تاريخ بغداد في أخبار الخلفاء والامراء ، وكتاب المنثور والمنظوم وكتـــاب سرقات الشعراء ، وكتاب فضل العرب على العجـــم . معجم الادبـاء ، جـ٣ ص ٨٧ — ٩٨ . والفهرســـت ، ١٦٣ — ١٦٤ .
(٥) انظر الفهرســـت ، ص ١٣٨ — ١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهجاء في رسائل أبي العيناء :-

يقوم الهجاء والمدح على تصوير القيم الخلقية والاجتماعية في المجتمع ، اذ أن المدح يصوّر القيم والمثل تصويرا ايجابيا ، في حين يصورها الهجاء تصويرا سلبيا [١] . وقد ارتبطت رسائل الهجاء في نثر القرن الثالث الهجري برسائل السخرية والتهكم ، ورسائل النقد الاجتماعي والسياسي . ومن أبرز رسائل الهجاء في هذا العصر ، رسالة للجاحظ ، في ذم أخلاق محمد بن الجهم ، ورسالة لسهل بن هارون في مثالب الحرّاني ، ورسالة لسعيد بن حميد في فضائح علي بن هشام ، ورسالة للمبرد في خبائث الحسن بن رجاء [٢] .

وكان أبو العيناء معروفا بالهجاء ، شغوفا بثلب الناس ، وتتبع نقائصهم ، ويرى أن ذلك من باب الواقعية التي تذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته ، ولا يخونه الاستدلال على ذلك بما يحفظه من القرآن الكريم . قال له المتوكل يوما : يا أبا العيناء ، لقد بلغني عنك طول لسانك ، فقال أبو العيناء : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذمّ فقال : نعم العبد انه أواب . وقال : هماز مشاء بنميم ، منّاع للخير معتد أثيم [٣] . وهذه الحكاية تبيّن أولا أن أبا العيناء قد عرف بين معاصريه بهذه الخصلة ، وتبيّن ثانيا أن الرجل كان يقرّ معاصريه على ما وصموه به .

ومهجوّو أبي العيناء كثيرون ومتنوعون ، فقد هجا عيسى بن فرخان شاه ، وابن ثوابة ، ومحمد بن طاهر وغيرهم . وكان يرسم لمهجويه رسوما دقيقة ، قد تكون رسوما هزلية ساخرة . يقول في ذمّ محمد بن [٤] طاهر : "ما دخلتُ عليه قط الاّ ظننتُ أنه من طلائع القيامة ، قصير القامة ، مشؤوم الهامة ، خرجَ من خراسانَ وهو أميرُها ، ويطمعُ فيها وهو طريدُها ، ويلي على أسير الصغار ، وطليقِ الهزيمة" [٥] .

---

(١) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، د . محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، ص ١٥ .
(٢) مثالب الوزيرين ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، ١٩٦١م ، دار الفكر دمشق ، ص ٣١ ، ٥٠ ، ٥١ .
(٣) الديارات ، ص ٨٨ — ٨٩ .
(٤) محمد بن عبد الله بن طاهر : هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وكنيته أبو العباس ، كان محمد أديبا ، شاعرا ، جوادا . ولاه المتوكل على بغداد وسامرا ، توفي سنة (٢٥٣هـ) . فوات الوفيات ، جـ ٣ ، ص ٤٠٣ .
(٥) مثالب الوزيرين ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل بواعث الهجاء عند أبي العيناء نابعة من الخصومات الشخصية التي كانت تدفعه للانتصاف من خصومه ، ولرغبته في التملح والتظرف والتفكه ، وكذلك لميله الى التكسّب وطلب العطاء . روي أنه دخل يوما على رجل قد عزل عن عمل كان يتولاه . فقال له : لئن قبحت عليك النعمة ، لقد حسنت بك النقمة . قال الرجل : ولم ذاك؟ فأجاب أبو العيناء : لأني سألتك أحقر من قدرك ، فردتني بأقبح من وجهك (١) .

أما المتوكل فيرجع سرّ هجائه الى حقده وثورته على الحياة والناس بسبب فقدان بصره ، قال المتوكل لأبي العيناء : " لا تكثر الوقيعة في الناس . قال : ان لي في بصري لشغلا . قال : ذاك أشدّ لحنقك على أهل العافية " (٢) .

ومن أقذع الهجاء وأوجعه عند أبي العيناء ، رسالة وجهها الى أحمد بن الخصيب وكانت العداوة بينهما قائمة (٣) . وهي رسالة طويلة وضعها أبو العيناء على ألسنة القواد والكتّاب والرؤساء وغيرهم ، وقد صاغها في عبارة أدبية بارعة ، ركز فيها على الصفات الخلقية والمعنوية لابن الخصيب مما يخلّ بكرامته . فلم يكن كتّاب هذا القرن يحفلون كثيرا في هجائهم بابراز العيوب الجسدية الخارجية لمهجوّيهم ، انما كانوا يهتمون أكثر بابراز العيوب الخلقية والنفسية ، معتمدين القاعدة التي تقول : "أجود ما في الهجاء أن يسلب الانسان الفضائل النفسية ، وما تركب من بعضها مع بعض " (٤) .

وقد رسم هجاء أبي العيناء لابن الخصيب خطوطا تفرعت في غير ما ناحية ، فالتمس شتى الأضداد لوصفه ورسم صورته . فابن الخصيب كما وصفه ضعيف العقل يحسد المحسنين ويجتنب أفعالهم ، ويذم المسيئين ويعمل أعمالهم . أعقل منه مجنون ، وأجنّ منه لا يكون .

---

(١) الديارات ، ص ٨٤ .
(٢) جمع الجواهر ، ص ٢٨١ .
(٣) انظر ما قاله أبو العيناء في ذم ابن الخصيب أيضا في بعض أخباره ، زهر الآداب ، جـ٣ ، ص٧١٢ . وانظر أيضا شعره فيه ، معجم الأدباء ، جـ١٨ ، ص ٣٠٤ .
(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، جـ٢ ، ص ١٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظالم في عمله ، سيء التدبير في أمره ما أحسن قط الا أخطأ ، ولا أصاب الا تعدّى . بذيء اللسان ، رديء الطبع يخافه الناصح ، ويأمنه الغاش . جشع متبطر على النعمة ، لا يرى درهما في يد سواه ، الا حسبه حقا له تخطاه[١] . ويمتد الهجاء ليصل الى النواحي العلمية والثقافية لابن الخصيب ، حيث ينعت أبو العيناء المهجو بالجهل في أمور الكتابة وأصولها ، وأسس البلاغة والبيان ، فهو جاهل لا يعلم ولا يتعلّم ، ويستصغر من يتعلّم .[٢]

وتستمر الرسالة على هذه الشاكلة من الهجاء والسخرية والتصوير الهزلي ، الذي يسلب ابن الخصيب كل القيم الخلقية والاجتماعية ، ويدفع القارئ الى الضحك والاستهزاء وربّما أيضا الى الاحتقار والغضب والكره . وأبو العيناء ذكي في أسلوبه الذي اتبعه في هجاء ابن الخصيب ، فقد حاول أن يقنع القارئ والسامع بصدق دعواه ، وأن ما أثبته من صفات لمهجوه هي صفاته المعروفة لدى الناس ، وليست نابعة من خصومة فردية بينه وبين الكاتب ، لذلك جعل هجاءه على ألسنة الآخرين .

كما اعتمد اللفظ السهل ، والعبارة المسجوعة ، فجاءت رسالته يتخلّلها السجع من أولها الى آخرها دون تكلف أو مشقة ، وهو بهذا يضمن لهجائه سرعة الانتشار بين الناس ، وقد حرص فيها على الطباق لما فيه من التضاد ، واظهار النقص والعيب ، وكذلك الى أسلوب النفي تحقيقا للغاية نفسها .

أما رسالة أبي العيناء الثانية ، فكانت في ذم ابن مكرم ، وقد جاءت هذه الرسالة ردّا على رسالة بعثها ابن مكرم الى أبي العيناء ، عابه فيها بقلة شكره للمعروف حيث يقول : "لست أعرفُ طريقاً للمعروفِ أحزنَ ولا أوعرَ من طريقه اليك ، ولا مسترزعا أقل زكاء ، ولا أبعد من ثمرةٍ خير من مكانه عِنْدَك ، لأن المعروفَ يُضافُ منك الى حسبٍ دنيء ولسانٍ بذيء"[٣] .

---

(١) جمع الجواهر ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .
(٣) مثالب الوزيرين ، ص ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لجأ أبو العيناء في رسالته هذه الى أسلوب مختلف عمّا لحظناه في الرسالة السابقة ، وهو أسلوب شاع بين عدد من كتّاب هذا القرن ، يعتمد على القذف والشتم والطعن والسباب ، ويتهم المهجو بأرذل الصفات ، التي تدل في مجموعها على الانحراف والشذوذ والفجور (١) .

فابن مكرم كما يصوره أبو العيناء خسيس الأصل ، ساقط القدر ، لئيم المنشأ ، ومن قوله فيه : " وأيت امرؤ تزعم أنك من أهل ماذارايا (٢) وهناك حلّتْ بك الخزايا ، من غير نقص لأهلها ، ولا دفع لفضلها ، لأنك تحبّها وتشنؤك ، وتنتمي اليها وتدفعك " (٣) .

ثم يأخذ أبو العيناء في التوسع شيئا فشيئا في هجائه لابن مكرم ، فيصوره وقد أوغل في الفحش والبذاءة ، متخيّرا لذلك الكناية حينا ، والألفاظ الصريحة والصور المكشوفة التي تثير في النفس التقزز والاشمئزاز حينا آخر (٤) . ومثل هذه الروح الهجائية الماجنة ، والألفاظ الفاحشة ، والتعابير المكشوفة التي احتوتها رسالة أبي العيناء ، نجدها أيضا عند أبي هفان الذي شارك أبا العيناء في طرائق هجائه وصوره . وقد يبين لنا هذا النوع من الرسائل جانبا من جوانب الانحلال الاجتماعي ، والفساد الخلقي الذي وصلت اليه بعض قطاعات مجتمع القرن الثالث الهجري في طبقاته الاجتماعية الخاصة والعامة .

ومع أن الهجاء الشخصي يوجه في الأصل الى واحد بعينه هو المهجو ، فان أبا العيناء تعدّى هجاء ابن مكرم الى هجاء أسرته : أمه وأبيه وأخيه ، وذكر عيوبهم ، ورذائلهم في صور قبيحة متتالية . وقد لا يكون هناك محرك أو دافع من غضب أو خصومة أو حسد وراء رسالة ابن مكرم وردّ أبي العيناء عليها ، اذ قد لا تكون أكثر من رسائل من باب التندر والتملح والعبث ، الذي كان يشيع في حياة هؤلاء الكتّاب (٥) .

---

(١) انظر مثالب الوزيرين ، ص ٤٢ ، ص ٤٥ — ٤٦ .
(٢) ماذارايا : قرية بالقرب من البصرة ويرجح ياقوت أنها بالقرب من واسط ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٤ .
(٣) مثالب الوزيرين ، ص ٤٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠ — ٤١ .
(٥) انظر فيما كان يدور بين الكتاب والأدباء من مهاترات وعبث ، محاضرات الأدباء ، جـ ٢ ، ص ٣٩٤ . أيضا جمع الجواهر ، ص ٧٦ ، زهر الآداب ، جـ ١ ، ص ٣٣١ . وطبقات الشعراء ، ابن المعتز ، ص ٤٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن المعتز : حياته ، وثقافته :-

أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، ولد في سامراء ، واختلفت الروايات في تحديد سنة ولادته ، وان كان أرجحها عام (٢٤٧هـ) ، على أكثر الأقوال . أما وفاته فكانت في عام (٢٩٦هـ) (١) .

كان ابن المعتز نبيل النفس ، كريم الخلق ، معتدا بنفسه وشخصيته ، يقول :-

قد تردّيتُ بالمكارمِ حَولي
وكفتني نَفْسي من الافتخارِ
أنا جيشٌ اذا غدوتُ وحيدا
ووحيدٌ في الجحفلِ الجرارِ (٢)

ويجمع من ترجموا لابن المعتز على أنه كان ذا حظ عظيم في الأدب والعلوم وصناعة الموسيقى وصوغ الألحان (٣) . ذكره الصولي فقال : "شاعر مفلق محسن ، حسن الطبع ، واسع الفكر كثير الحفظ والعلم ، يحسن في النظم والنثر ، من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم" (٤) .

ويقول فيه المسعودي : "كان عبد الله بن المعتز أديبا بليغا ، شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل الحفظ ، جيد القريحة ، حسن الاختراع للمعاني" (٥) .

---

(١) انظر وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ٧٦ — ٨٠ ، وفوات الوفيات ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٦ . أيضا الأغاني ، جـ٣ ، ص ٢٧٤ — ٢٨٦ .
(٢) ديوان ابن المعتز ، جـ١ ، ص ١٠٤ .
(٣) الأغاني ، جـ ١٠ ، ص ٢٧٦ .
(٤) أشعار أولاد الخلفاء ، ص ١٠٧ .
(٥) مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان ابن رشيق يقدمه ويقول : "هو عندي ألطف أصحابه شعرا ، وأكثرهم بديعا وافتنانا ، وأقربهم قوافي وأوزانا" (١) .

ومن الروافد الأدبية والفكرية الهامة التي أمدت ابن المعتز بثقافة ممتازة ، شيوخه وقد عرف منهم محمد بن عمران بن زياد العتبي ، وأحمد بن سعيد الدمشقي ، والحسن بن عليل العنزي ، ومحمد بن عبيرة الأسدي ، ومحمد بن يزيد المبرد . كما كان يلقى نصحاء الأعراب الذين كانوا يغدون على سامراء ، ويأخذ عنهم (٢) .

وقد كانت لابن المعتز عناية شديدة بالنقد الأدبي واطلاع واسع عميق على دقائق العربية ، ويبدو هذا واضحا في كتبه ورسائله . من ذلك رسالة كتبها الى ابن الأنباري ، وقد بنيت الرسالة على أنه اذا ورد في الأدب ما يعارض الدين والأخلاق ، فان هذا لا يضر الأدب ، ولا يحط من قيمته الفنية "وهل يتناشد الناس أشعار امرئ القيس ، والأعشى والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة ، وبشار وأبي نواس على تعيرهم ، ومهاجاة جرير والفرزدق الا على ملأ الناس ، وفي حلق المساجد ؟!" (٣) .

وعلى نحو ما اشتهر ابن المعتز بالنقد والبلاغة ، اشتهر أيضا بالحكمة التي استوحاها من ثقافته المتنوعة المصادر ، ومن واقع حياته العملية التي عاشها مع الناس ، ومع تجارب الكثيرة معهم . فقد عاصر ابن المعتز في حياته كثيرا من الأحداث التي كان لها أبلغ الأثر في حياته ونفسيته ، والتي انتهت بتوليه الملك ليوم وليلة .

ذكر الطبري في تاريخه أن جماعة من القواد والكتاب أصحاب النفوذ ، قد تآمروا على خلع الخليفة المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز مكانه بالخلافة . الا أن مجموعة من هؤلاء القادة

---

(١) العمدة ، جـ ١ ، ص ١٣٠ .
(٢) أشعار أولاد الخلفاء ، ص ١٠٧ .
(٣) جمع الجواهر ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما لبثوا أن اختلفوا فيما بينهم وأعادوا المقتدر الى الحكم ، وقد ظفر المقتدر بابن المعتز وقتله [١] .

وقد ذكر أصحاب الكتب التي ترجمت لابن المعتز أن له مجموعة من المؤلفات منها البديع وطبقات الشعراء ، وكتاب الآداب والجامع في الغناء وكتاب الزهر والرياض وكتاب فصول التماثيل في تباشير السرور ، اضافة إلى ديوان شعره ، ومنثورات من رسائله ، جمعها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي تحت عنوان "رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع" .

فصول التماثيل في تباشير السرور : —

وهو كتاب ينسب الى ابن المعتز في الخمر وصفتها ومجالسها وآداب الشراب والمنادمة، وما قالته الشعراء والأدباء في شتى معانيها [٢] ، مع أن الذين ترجموا له لم يذكروه في جملة آثاره ، وضمن مؤلفاته . وقد ذكره من المحدثين جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية [٣] . واستطاع محمد عبد المنعم خفاجي أن يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الكتاب هو من مؤلفات ابن المعتز ، وأنه ألف بعد عام (٢٧٤هـ) [٤] ، وهو العام الذي وضع فيه ابن المعتز كتابه "البديع" ، اذ أحال عليه ابن المعتز في مواضع من كتابه هذا [٥] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٦٧١ . أيضا شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص٢٢١ — ٢٢٢ . وتاريخ ابن خلدون ، جـ٣ ، ص ٣٥٨ — ٣٥٩ .

(٢) عرف لعدد من كتاب هذا القرن رسائل ومؤلفات تناولت هذا الموضوع، كابن خرداذبة ، وابن قتيبة في كتابه الاشربة ، والجاحظ في رسالته في مدح النبيذ .

(٣) انظر تاريخ آداب اللغة العربية ، جورجي زيدان ، تعليق شوقي ضيف ، ١٩٥٧م ، دار الهلال ، القاهرة ، جـ ٢ ، ص ١١٢ ، ١٨٩ .

(٤) انظر ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ص ١٢٥ — ١٢٧ .

(٥) انظر فصول التماثيل في تباشير السرور ، ابن المعتز ، ط١ ، ١٩٢٥ ، المطبعة العربية ، مصر ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل أن نخوض في الحديث عن ماهية الكتاب ، نستمع الى ابن المعتز يحدد لنا الغاية والهدف من وراء تأليفه . يقول ابن المعتز في مقدمة كتابه ، "فصول التماثيل في تباشير السرور" :—

"فاني حين تأملتُ سقوطَ الحالِ في أخلاقِ الجلساء ، وشمُولِ الاخلاءِ في مذاهبِ الندامى ، حتى قَبُحَتْ بهم النعمة ... ونبتْ النفوسُ عن مباشرةِ حديثهم السوقي ولفظهم العامي ، عملتُ على مجانبةِ منادمتهم تكرما ... وعدَلْتُ الى ما يجبُ لنفسي على نفسي من تحصيلِ فصولِ التماثيلِ المتصلةِ باللفظِ المنثور والقريضِ المشهور في ريحانةِ الانفس ..... ومفتاح تباشير السرور" (١) :

فابن المعتز قصد بتأليف كتابه هذا غرضين :—

١— غرضا نفسيا اجتماعيا :—

وهو الاستعاضة بهذا الكتاب عن ملابسة صغار الناس ، وسماع ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وطرائقهم المذمومة ، فمقارنتهم شقاء ، ومفارقتهم شفاء .

٢— غرضا فنيا :—

وهو جمع التماثيل "التشبيهات" التي كانت تدور في كلام العرب في باب الخمريات . فالتشبيه "جار كثير في الكلام ، أعني كلام العرب ، حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد" (٢) .

ومن سمات أسلوب ابن المعتز ، العناية الشديدة بالتشبيه والاكثار منه ، فهو يبحث عن التشبيهات بحثا ، ومن أطرف الطرق التي كان يتبعها ابن المعتز لتركيب صور جديدة مبتكرة هذه الطريقة القياسية الرياضية التي كشف عنها في قوله :—

"ومن التماثيلِ الضائعةِ على العرب ، تركهم تمثيلَ العنقودِ بالقرطِ على قياسِ تمثيلهم العنقود بالثريا والثريا بالقرط" (٣) .

---

(١) فصول التماثيل ، ص ٢ — ٣ .
(٢) الكامل ، المبرد ، ج٢ ، ص ٩٩٦ .
(٣) فصول التماثيل ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وابن المعتز أيضا من المجيدين في وصف الراح ومجالسها ، حتى عدّه النقاد كأبي نواس في هذا الباب . يقول الصولي : "سمعت بعض العلماء بالشعر يقول : أول الشعراء المتقدمين في صفة الخمر الاعشى ، ثم الأخطل ، ثم أبو نواس ثم الحسين بن الضحاك ، ثم عبدالله ابن المعتز ." (١) .

فلا عجب اذن أن يتتبع ابن المعتز هذا الفن التعبيري "التشبيهات" في نثر العرب وشعرهم في الخمر . أضف الى ذلك ، أن ابن المعتز كان في الفترة التي ألّف فيها كتابه هذا ، قد بدأ حياة جديدة بعيدة عن الخمر ولذّاتها ، لأنّ الخليفة المعتضد نهاه عنها . يقول : —

ونهاني الامامُ عن سَفَهِ الكأس فرُدّتْ على السُّقاةِ المُدامُ
عِفتُها مكرها ولذّاتُ عيشٍ
قام بيني وبينهنّ الامامُ (٢)

وبعد هذه المقدمة ينتقل ابن المعتز الى الحديث عن فصول الكتاب ، وقد قسمه الى أربعة فصول ، يستقلّ كل فصل منها بذاته ، الا أنه ينتظم مع ما يجاوره . فالكتاب رسالة واحدة مترابطة الأفكار ، تكشف في وضوح نفسية ابن المعتز الملوكية ، وأرستقراطيته الذهنية ، التي تهجّن في عينه أقدار العامة وتجعله يتنكب في كتابه "ما يسهلُ على الرعيةِ حملَهُ الى ما يضجرُها نقله ، ليستوطنَ شريفَ اختياري محلَه ، ويسعدَ به أهلَه . . . .ألا ترى أنَ جماعةَ العوام متى وصلتْ الى آداب الملوكِ العِظام بَطُلَتْ المآثرُ وسَقَطَتْ المفاخرُ ؟! ." (٣) .

ولما كان موضوع الخمر والتشبيهات التي قيلت فيها ، موضوعا واسعا ، عمد ابن المعتز الى تحديده ، فذكر أنه سيقتصر في كتابه على ذكر ما رآه مناسبا من عيون التشبيهات المختارة،

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء ، ص ١١٤ .
(٢) ديوان ابن المعتز ، ج٢ ، ص ٢٣٤ .
(٣) فصول التماثيل ، ص ٥ — ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون المتداولة ، حيث قصد الى "تخليد ما يوقظُ اللبَّ ويعمرُ القلبَ ، ويصلحُ للخفةِ والمذاكـــرة، والمباهاةِ والمفاخـــرة ."(١) .

وكانت عملية الاختيار هذه رافدا مهما من روافد النقد الأدبي ، وقد توزعت اختيـارات ابن المعتز في كتابه "فصول التماثيل" بين العصور الأدبية المختلفة . الا أن ابن المعـتز في اختياره الجيد من التشبيهات لا يعلل ذلك بعلة ظاهرة ، الا في القليل من المواضـع التي يقف عندها وقفات قصيرة ، فهو يدرس ثم يجمل دراسته في كلمات يسيرة . فعندما يسمع قول أبي نواس، وكان ابن المعتز كثير التمثل بشعره في كتابه هذا ، وقد شهد له بكـل معنى مبتكر ، من مثـل :—

وحمراءَ قبلَ المزجِ صفراءَ بعـدَهُ
غدتْ بينَ ثوبي نرجسٍ وشقائـقِ
حكتْ حمرةَ المعشوقِ صِرْفا فسلّطـوا
عليها مِزاجاً فاكتستْ لونَ عاشـقِ (٢)

يعلق بقوله : "فما تركَ لأحدٍ مقالا فيما ذهبَ اليه وعولَ عليه من لطيفِ المعنى ، والأبعـادِ في المـرى ."(٣) .

فهذا الطريف أو الجديد في المعنى هو الذى يحاول ابن المعتز تقديم أمثلة لـه، واسترعاء الأنظار والأسماع والافهام اليه . قال بعض العرب يصف قوة رائحة الشـراب :—

كميتٌ تكادُ وان لم تـذق
تنـشّ اذا الساقيان استـدارا

يقول ابن المعتز مشيدا بالبيت السابق : "وهذا من بديع المعاني الغريبـة ."(٤) .

---

(١) فصول التماثيـل ، ص ٥ .
(٢) لم أجد الابيات في ديوان أبي نواس، رواية الصولي ، تحقيق د . بهجت عبد الغفـور الحديثي ، ١٩٨٠م، دار الرسالة للطباعة ، بغـداد .
(٣) فصول التماثيـل . ص ٢٦ . وكان ابن المعتز حيثما ورد ذكر أبي نواس، يذكـره بلقبة الحكمي نسبة الى الحكم بن الجراح من بني سعد العشـيرة .
(٤) فصول التماثيـل ، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من أن ابن المعتز أعار القدامى شيئا من اهتمامه في كتابه هذا ، فانه ظل ينزع الى الحديث ، وظل يعجب بمذاهب المحدثين .

"وأما تمثيل الشراب ببياض النهار" ، فنرى أن المعاني الواردة فيه محولة من أشعار العرب ، وصفات الوجوه الحسان ، فنتج منها المولدون أنواعا في صفات الأشربة ."(١)

ويتعرض ابن المعتز في كتاب "فصول التماثيل" الى قضية السبق في المعاني ، أو ما يسمى في النقد باسم السرقات الأدبية ، وكانت هذه القضية محورا يدور حوله كثير من النقد القديم والحديث .

ويشير ابن المعتز الى أمثلة من استعادة الأدباء من كلام غيرهم ومعانيهم ، دون أن يستخدم مصطلح "السرقات" أو ينسب الشاعر أو الكاتب الى السرقة حين يردد معنى سابقا في كلامه . فهذا أبو نواس يردد معنى بيت الأعشى (٢) :—

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

في قوله :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء (٣)

ويعلق ابن المعتز على ذلك بقوله : "قال أعن النظر ، فللأعشى حق التقدم الى صياغة المعنى ، وللحكمي حسن التمثيل والزيادة فيه ."(٤) . فالشاعر اذا أخذ معنى وزاد عليه زيادة أكسبته فضلا "في اضاءة المعنى ، أو يأتي بأجزل من الكلام الأول ، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه ولا يفتضح به ، وينظر الى ماقصده نظر مستغن عنه لا فقير اليه ."(٥) "

---

(١) فصول التماثيل ، ص ٣٧ .
(٢) ديوان الأعشى ، ص ٢٢٣ .
(٣) ديوان أبي نواس ، ص ٧٤ .
(٤) فصول التماثيل ، ص ١٣ .
(٥) الموشح ، ص ٢٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانه يربـــو على كل ما قـــدم .

وابن المعتز نفسه كان كثير الأخذ ممن سبقوه ، ومن عاصروه . وكان يأخذ بحـــذق ولطـف [١] . وقد أشار ابن المعتز الى ذلك صراحة في غير ما موضع من كتابه هذا ، ومن ذلـك أن معنى قولـــه : —

يدورُ علينا الكأسُ من يدِ شـــادن
له لحظُ عينٍ يشتكي السُقمَ مُدنـــفُ
كأنَ سُلافَ الخمرِ من ماءِ خـــدّه
وعُنقودِها من شَعْرِه الجَعْـد يُقطَـفُ [٢]

مأخوذ من كلام امرأة تصف ضفائر شعر لابنتها فتقول : " لابنتي شعرٌ كأذنابِ الخيل ، ينـــالُ منها الذليل ، ان أرسلَتْه قلت سلاسلَ ، أو مشطته قلت عناقيدَ جلاها وابـــلٌ " [٣] .

وكأن ابن المعتز بهذا يحث الشعراء على البحث والاستقصاء في النثر للاستفادة مـــن تشبيهاته ، حيث أن هناك تشبيهات ضائعة على الشعراء ، اقتصر فيها القائل على النثـــر ولم تخرج الى صناعة الشعر ، كقولهـم في وصف الأعناب : " أتانا فلان بعنب كأنه أنامل الأبكـار ، وأتانا بعنب كأنه ثمار الأنـــوار " [٤] .

والواقع ان باب ابن المعتز في النقد أوسع بكثير مما يمثله هذا الكتاب ، ولكن الآراء الواردة فيه تجعلنا نعرف الى أيّ فئة من النقاد ينتمي ابن المعـــتز .

فكتاب " فصول التماثيل في تباشير السرور " ، يصوّر جانبا من جوانب الجوّ الأدبـــي النقدي الذي كانت تحفل به مؤلفات القرن الثالث الهجري ، كما ينقل لنا ابن المعتز فيـــه

---

(١) أشعار أولاد الخلفـــاء ، ص ١١٣ .
(٢) ديوان ابن المعتز ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .
(٣) فصول التماثيـــل ، ص ٣٠ .
(٤) المصدر السابـــق ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرفا من المناظرات والمحاورات الأدبية والنقدية ، التي كانت تدور في بلاط الخلفاء وفي حلقات الأدب ، ومجالس العلم ، وما كان يستذكره الحاضرون مما سبق أن قاله الشعراء[١] .

والكتاب في مجمله ثمرة من ثمرات ثقافة ابن المعتز ، المكتملة المتنوعة ، فهو يمزج ما تعلّم ، بما قرأ وسمع ، وبما شاهد ، وبما جرب هو نفسه من تجاريب خاصة عندما يتحدث عن سبب الاختلاف الحادث في محبة الخمر من قبل الأشكال والحركات والبلدان ، وعلل سبب السكر وتباين حركاته في الأبدان ، وذكر تدبير الشراب حتى يوافق المزاجات المختلفة التركيب ، وكل ذلك بأسلوب أدبيّ حسن التشبيه مليح اللفظ ، محكم العبارة .

---

(١) فصول التماثيل ، ص ١٤ ، ص ٢٠ — ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

السمات الفنية للنثر العراقي في

القرن الثالث الهجري بين القديم والحديث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدخـــــــل : —

تطوّر النثر الفني في القرن الثالث الهجري تطورا ملحوظا من ناحية موضوعاته وسماتـــــه الفنية . وكان هذا التطور أمرا طبيعيا اقتضته حياة العصر الجديدة ، والتغيير الكبير الذي شمل أحوال هذه الحياة العامة ، السياسية ، والاجتماعيةوالعقلية . فكل تطور يحدث يتمثل فيمـــــا يكتب من نثر ، ويتردّد صداه في موضوعات الكتاب ومفرداتهم ، وأساليبهم المختلفة . ولـــــــذا فقد كان نثر هذا القرن يمثل الحاضر وما فيه من جديد ، والماضي وما فيه من خصائص وتقاليـــد ، وقد يكون من الملائم أن نتبيّن فيما يلي أولا موضوعات النثر في هذا القـــــرن .

المضمـــون السياســـي والاجتماعـــــي : —

منذ القرن الثالث الهجري ، أخذ النثر يتجه اتجاهات جديدة في التعبير عن احتياجات المجتمع ، وكل ما هو متصل بحياة الناس من سياسة ، ودين وأخلاق ، ومذاهب وعصبيات عرقيـــة . وقد استطاع نثر هذا القرن أن يصور مشاعر المجتمع العراقي وطرائق تفكيره وعاداته ، كمـــــا صوّر الطبقات الاجتماعية المختلفة ، وما ضم المجتمع من فرق ومذاهب وشيع وأعراق ، وكانت وجـــوه الاختلاف والتباين بين فرق هذا المجتمع وأعراقه سببا في حدوث كثير من الاحتكاكات المذهبيـــة والعرقية والسياسية ، وقد تصبح هذه الاحتكاكات أحيانا قوية تهدد أمن الدولة وسلامـــــة المجتمع ، وتدفع الدولة الى الاستعانة بالكتّاب لمواجهتها ، لما كان للكتّاب من قدرة على التأثير في تفكير الناس ومشاعرهـــــــم .

وقد تجلى ذلك على سبيل المثال في رسائل الجاحظ ، ومن ذلك رسالته في مناقب الترك ، التي تعد محاولة من الجاحظ لمساعدة أولي الأمر على اصلاح النفوس والوقوف في وجه العصبيـــة العرقية التي انتشرت بين عامة الجند ، وكادت توقع الفتنة بين صفوفهـــــــم (١) .

---

(١) انظر رسائل الجاحظ ، رسالة الـــــترك ، ص ٢٩ .
وانظر أيضا ما كتبه الفتح بن خاقان الى الجاحظ يستحثه على انجاز كتاب الرد علـــى النصارى ، معجم الأدبـــاء ، ج ١٦ ، ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أبرز الأمور التي تمخضت عن التيارات المختلفة في هذا القرن ظهور الشعوبية التي تتآمر على الدولة ، وتعمل في السرّ والعلانية ، تحيك المؤامرات والدسائس ، لتعيد مجد الفرس القديم ، ومكانتهم السابقة [١] . ولقد نشط كتّاب هذا القرن في الردّ على هذه الحركة وأتباعها ، بالمنطق والحجة سواء أكان ذلك في مناظراتهم ومساجلاتهم ، أم فيما وضعوه من رسائل ومؤلفات تدفع عن العرب وتبيّن فضائلهم . قال الجاحظ :

" ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ، ومن يتحلى باسم التسوية ويطاعنهم على خطباء العرب ، بأخذ المختصرة عند مناقلة الكلام ، ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى ، والمنثور الذي لم يقف ..... " [٢] .

فالكتّاب شعروا بأنهم يحملون رسالة عليهم أن يبلّغوها من خلال ما يقولون ويكتبون ، ولذا شمل النتاج الأدبي عند كتّاب هذا القرن تفصيلات الحياة اليومية ، وما ارتبط بها من عادات وأعياد ومناسبات يحتفل الناس بها ، ويتبادلون الهدايا ، واستعرض الكتّاب المظاهر الحضارية والاجتماعية السائدة في مواطنهم : في شوارعها وأحيائها وأسواقها ومساجدها وأنديتها ومساكنها ، وحتى في حاناتها ، وصوروا ما كان يجرى فيها من علاقات ومعاملات ، ومن عبادات وعلم ومناظرات ، ومن لهو ومجون ، وما تحويه منازلها من أدوات وتجهيزات ووسائل لهو [٣] ، وما يقدم على موائد الناس من طعام وشراب ، وما يشيع بين رجالهم ونسائهم وصبيانهم من أقاويل وخرافات [٤] ، وما يدور على ألسنة العوام والعمال والصناع وأصحاب المهن المختلفة من ألفاظ دخيلة أو مولدة [٥] . ولم يفتهم وصف ما شهده ذلك المجتمع من ظواهر طبيعية ومناخية ، كظاهرة انقضاض الكواكب في أيام المتوكل [٦] .

---

(١) انظر حول ذلك التحف والذخائر ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٢) البيان والتبيين ، جـ٣ ، ص٥ — ٦ . أنظر أيضا الحيوان ، جـ١ ، ص٥ . ورسائل الجاحظ رسالة في النابتة ، جـ٢ ، ص ٢٢ . والفهرست ، ص٨٦ ، ١٢٤ .

(٣) انظر الديارات ، ص٨٣ . وأشعار أولاد الخلفاء ، ص٣٢٦ — ٣٢٧ . مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٩ . وبغداد ، ابن طيفور ، ص ١٢٩ .

(٤) انظر الحيوان ، جـ٣ ، ص ٥٣٤ ، جـ٦ ، ص١٩٤ ، ٤٣٥ .

(٥) انظر في ذلك رسالة الجاحظ التي كتب بها الى المعتصم ، وقيل الى المتوكل في الحضّ على تعليم أولاده ضروب العلوم والآداب ، جمع الجواهر ، ص ١٤٣ — ١٤٨ .

(٦) انظر رسالة ابن الحرون الى صديق له ، نهاية الارب ، جـ١ ، ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد احتوت كتابات هذا القرن النثرية الكثير من الحكم والآداب والنصائح والوصايا المتعلقة بالأخلاق والتعامل بين الناس، كما عالجت السياسة الملوكية ، وعلاقة الحاكم بالمحكوم . فلا عجب إذن أن نرى في القرن الثالث كتابات تتحدث عن الأخلاق وعللها ومنطلقاتها ، وعن اختلاف جواهر الناس وأمزجتهم ، وعن أقسام الفضائل وأنماط الرذائل ، وما يرتبط بهذه وتلك من ثواب أو عقاب (١) .

ونلمح في توجيهاتهم السياسية معالم الروية والتفكير والمعرفة والخبرة . وقد عمد بعض هؤلاء الكتّاب الى رواية القصص والحكايات الرمزية التي تدور على ألسنة الحيوانات ، ومن هؤلاء العتابي ، وسهل بن هارون الذى سمّاه معاصروه بزرجمهر الاسلام (٢) . ومما أوردته المصادر في هذا الصدد ، أن المأمون أرق ليلة ، فاستدعى سميرا يحدثه فقال : —

" يا أميرَ المؤمنين ، كان بالموصلِ بومةٌ ، وبالبصرةِ بومة ، فخطبتْ بومةُ الموصلِ بنتَ بومةِ البصرةِ لابنها . فقالت بومةُ البصرة: لا أجيب خطبةَ ابنك حتى تجعلي في صداقِ ابنتي مائة ضيعة خربة . فقالت بومةُ الموصل : لا أقدرُ عليها ، لكن ان دامَ والينا سلّمه اللهُ علينا سنةً واحدة ، فعلتُ ذلك " (٣) .

وفي هذه القصة الرمزية ما لا يخفى من ايحاءات بظلم الوالي ، وأثر مظالمه في تخريب الديار والضياع .

ولم يقف الكتّاب عند حدود الحياة الظاهرة للمجتمع ، فهناك رسائل شبيهة بالرسائل الأدبية تتناول النفس الانسانية وأحوالها ونزعاتها وأسرارها وتصوراتها ، وهواجسها

---

(١) انظر الفهرست ، ص ٣١٩ .
(٢) انظر سرح العيون ، ص ٢٤٢ .
(٣) المستطرف ، جـ١ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتخوفاتهـــا . . . . (١) .

وقد اتّسمت حياة الكتّاب في هذا القرن بالحيوية والنشاط ، فكان لكل جانب مـــن جوانب الحياة حيّز خاص به حسب الظروف والأحوال ، ويتراءى في موضوعات نثر الكتـــاب ذى الصبغة الشموليـة النشطـــة .

(١) انظر في ذلك رسالة القيان ، الجاحـظ ، ص ١٤٥ . ورسالة ابن المعتز فـي وصـف المكـارم ، زهر الآداب ، جـ ٤ ، ص ١٠٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوعـــات الأدبيّـــــة : ـ

لم ينحصر تطور النثر في المضامين السياسية والاجتماعية ، وانما تناول كذلك الموضوعـات الأدبية التي تعدّ جديدة في بابها ، اذ ان منها ما كان من قبل وقفا على الشعر ، كالغـــزل ، والمديح ، والهجاء ، والوصف . فقد أخذ كتّاب هذا القرن يستوعبون موضوعات الشعـــر ، وينقلون الى نثرهم ما يعجبهم من معاني الشعراء وأساليبهم . ولا غرابة في ذلك ، فـــان معظم هؤلاء الكتّاب كانوا في الغالب شعراء كذلك ، جمعوا بين فني الأدب . اضافة الـــى ثقافة عالية واسعة ، فلا عجب أن يعلق بأذهانهم بعض الصور التي وردت في الشعر فيوردوها فـي مادتهم النثريـــــة .

وقد يتفوق الناثر على الشاعر ، أحيانا في المعنى الذى احتذاه . من ذلك أن سليمـان ابن وهب أخذ معنى قول أبي تمام في مدحـــه :

واجـدّ بالصديقِ من بُرحـاء الشوقِ وجدانَ غيرهِ بالحبيـــبِ (١)

وكتب به الى بعض اخوانه قائـــلا :

" ظرف الصداقة أرقّ من ظرف العلاقة ، والنفسُ بالصديقِ آنسُ منها بالعشيق " . فجـاء كلام سليمان أرقّ من شعر أبي تمام في رأي من علّقوا عليه في كتبهم الأدبيّـة (٢) . ومـــن الواضح أن الكتابة الفنية في القرن الثالث الهجري قد تأثرت بالشعر واستعملت أدواته ، اذ أخذ الكتّاب يتأنقون في عباراتهم ، وينتقون الألفاظ بدقة ، مع مراعاة الموسيقى ، مما أكسب النصـوص النثرية سمة شعرية نلحظها في رسائل العصر ، ومنها على سبيل المثال رسالة الجاحـــظ التي جاء فيهـــا :

---

(١) ديوان أبي تمـــام ، ط٤ ، ١٩٧٦ ، ص ١٢٣ .
(٢) انظر زهر الآداب ، جـ٣ ، ص ٦٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ما ضاءَ لي نهار ، ولا دجا ليلٌ مذْ فارقتك الا وجدتُ الشوقَ اليك قد حزّ في كبدي ، والأسفَ عليك قد أُسْقِطَ في يَدي ، والنزاعَ نَحْوَكَ قد خان جَلَدي ، فأنا بين حشا خافقة ، ودمعةٍ مُهْراقةٍ ، ونفسٍ قد ذَبُلتْ بما تجاهدُ ، وجوانح قد بَليتْ بما تكابِدُ "(١) .

فهذه الرسالة أقرب الى الشعر بما اشتملت عليه من دقّة في تصوير المعاني الوجدانية ، ووصف الخواطر النفسية ونقلها قوية مؤثرة ، وبسط المعاني ، والعناية بالألفاظ والتأنق في صوغها .

ومن الرسائل الوصفية التي تدل على أن النثر قد شارك الشعر في أخيلته ، وفي استعمال ضروب البديع والتشبيهات والاستعارات ، رسالة ابن المعتز في مدح سامراء ، وذكر ما حلّ بها من الخراب . يقول ابن المعتز :

"كتبتُ اليكَ من بَلْدةٍ قد أنهضَ الدهرُ سُكانَها ، وأقعدَ جُدْرانها ، فشاهدُ اليأسِ فيها ينطقُ ، وحبلُ الرجاءِ فيها يُقْصَرُ ، فكأنَ عمرانَها يطوى ، وكأن خرابَها ينشرُ ، وقد وكلتْ الى الهجرِ نواحيها ، واستحثَ باقيها الى فنائها ، وقد تمزقتْ بأهلها الديارُ . . . "(٢) .

وأخذ الكاتب يسلك مسلك الشاعر أيضا في طلب الرفد والعطاء ، فيمدح حينا ، ويذم ويهجو أخرى . ذكر ياقوت في معجم الأدباء أنه وقف على رسالة طويلة في تقريظ المتوكل والفتح ابن خاقان ، كتبها أبو اسحاق ابراهيم بن ممشاذ (٣) . ويرسل أبو العيناء الى أبي الصقر الوزير ، وقد أخر عليه رزقه ، رقعة جاء فيها :

"أما والليلِ اذا عسعسَ ، فالبَنَانُ لبنات الدّنان ، وملامساتِ الحِسان ، وأما والصبحِ اذا تنفسَ ، فالبَنَانُ للعنان ، ومؤامراتِ السلطان ، فمن أبو العيناء القرنان ؟ ! "

فلا يستطيع الوزير الا أن يستجيب لطلب الكاتب ويوقّع في رقعته :

---

(١) معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ٩٢ .
(٢) معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٧٧ .
(٣) معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكل طعام مكان ، ولكل مُعْوِزٍ امكان ، وقد وقعنا لك بالرسوم ، وجعلنا لك حظاً من المقسوم ، وكفينا أنفسَنا عذرَك الذي هو تعزيرٌ ، ولسانُك الذي هو تحذيرٌ والسلام »(١) .

وقد تنافس أصحاب الملك والدولة في تقريب الكتّاب واغداق الأموال والجوائز عليهم . فأصبح للكتاب في هذا القرن من القوة والمكانة والرئاسة ما يزيد على ما كان للشعراء في هذا القرن . وصف الجاحظ حاله لأحد أصدقائه بقوله :

« حالي أن الوزيرَ يتكلمُ برأيي ، ويُنفِذُ أمري ، ويواترُ الخليفةُ الصّلات اليّ ، وآكلُ من لحم الطيرِ أسمنها ، وألبسُ من الثيابِ ألينها ، وأجلسُ على ألينِ الطّبري ، واتكيءُ على هذا الريـــش »(٢) .

ولم يصل الجاحظ الى هذه المكانة الا عن طريق مؤلفاته التي دعّم بها سلطة العباسيين باثبات أحقّيتهم في الخلافة ، وابطال حجج خصومهم السياسية والمذهبية عن طريق الجدل والحوار والاستدلالات وتقليب وجهات النظر المختلفة . ولا عجب في ذلك فان الجدل والمناقشة من عناصر مذهب الاعتزال الذي كان الجاحظ من أبرز القائلين بـــه .

وقد لا نبالغ اذا قلنا ان بعض الشعراء في القرن الثالث الهجري قد استفاد من ألفاظ الكتّاب وأساليبهم ، فكثير منهم كانت تروقه جملة أو معنى فيدخلهما في بيت من الشعر ، ومن ذلك قول ابن الرومي المشهور في البخـــل :

يقتّرُ عيسى على نَفْسِـــه ... وليسَ بباقٍ ولا خالـــد
فلو يستطيعُ لتقتـــيره ... تنفسَ من مِنْخَـــرٍ واحـــد(٣)

---

(١) نهاية الأرب ، ج ٤ ، ص ٦٩ .
(٢) أدب الجاحظ ، حسن السندوبي ، ط١ ، ١٩٣١م ، المكتبة التجارية ، مصر ، ص ٣٤ . لم أعثر على النص السابق ضمن مؤلفات الجاحظ ، ولم يشر الكاتب الى المصدر الذي استقى منه هذا النـــص .
(٣) ديوان ابن الرومي ، تحقيق د . حسين نصار ، ١٩٧٤م ، دار الكتب ، ج٢ ، ص ٦٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا المعنى مأخوذ كما يرى صاحب "ديوان المعاني" مما رواه الجاحظ في البخل، أن فلانا كان يقير احدى عينيه، ويقول ان النظر بهما في زمن واحد من السرف[١]. وكانت بعض أقوال الحسن بن وهب تستهوي الشعراء فينقلونها الى شعرهم، لما يجدون فيها من اللطف والرقة، كأقواله في نعت الخمر والنبيذ[٢].

وفي اطار الدراسات النقدية في هذا القرن، نجد عناية بالنثر لم تعطه له من قبل، فالجاحظ لم يقف في كتابه "البيان والتبيين" عند التمثيل والاحتجاج بالشعر، بل أكثر من التمثيل بالنثر، سواء أكان ذلك في معرض الاستحسان أم في معرض الاستهجان، وكذلك كان حال ابن المعتز في "بديعه". وثمة أمثلة عديدة لنقد فن الكتابة، في كتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة. ولم يقصر ابن طيفور كتاب "المنظوم والمنثور" على الشعر دون النثر، بل ان الأسس النقدية في اختيار النظم والنثر كانت واحدة عنده[٣].

ووضع الكاتب المعروف بـ "نطاحة"[٤] كتابا في طبقات الكتّاب على نحو ما كان معروفا في طبقات الشعراء. كما وضع الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧هـ) كتاب "أشراف الكتّاب"[٥].

ونتيجة لذلك كله، برز تساؤل كبير بين أدباء القرن الثالث الهجري ونقاده الأدبيين وهو: أي البلاغتين أفضل، بلاغة الشعر، أم الخطب والكلام المنثور والسجع؟

---

(١) ديوان المعاني، جـ١، ص ١٨٤.

(٢) انظر حلبة الكميت في الأدب والنوادر، النواجي، ١٨٨١م، مطبعة ادارة الوطن، القاهرة، ص ١٦، ١٦٠ — ١٦١. أيضا البديع، ابن المعتز، ص ٤٥.

(٣) المنثور والمنظوم، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق د. محسن غياض، ط١، ١٩٧٧م، مطبعة الهدف، بيروت، ص ٢٥ — ٢٦، ٣٥.

(٤) أبو علي أحمد بن اسماعيل بن الخصيب الأنباري، كاتب عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر، بليغ مترسل، وشاعر أديب، متقدم في صناعة البلاغة. انظر الفهرست، ص ١٣٨. ومعجم الأدباء، جـ٢، ص ٢٢٧.

(٥) الفهرست، ص ١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذهب المبرد الى موازاة النثر للشعر في مفهوم البلاغة ، الذي حدّه باحاطة القول بالمعنى ، واختيار الكلام ، وحسن النظم ، لكنه عاد فميّز النظم بالوزن (١) .

ويتجه الجاحظ بالمفاضلة بين الشعر والنثر اتجاها ثقافيا فكريا ، عندما يقول موضحا أهمية الكتابة والكتّاب : "قالوا : فكيفَ تكونُ هذه الكتبُ أنفع لأهلها من الشعرِ المقفى ؟ قال الآخر : اذا كانَ الأمْرُ على ما قلتم ، والشأنُ على ما نزّلتم ، أليس معلوماً أنّ شيئاً هذه بقيته وفضلته وسؤره وصبابته ، وهذا مظهرُ حالهِ على شدةِ الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفساد وتداول النقص حريّ بالتعظيم ، وحقيقٌ بالتفضيل على البُنيان ، والتقديم على شعرٍ ان هو حوّلَ تهافتٌ ، ونفعة مقصورٌ على أهله" (٢) .

فالكتابة أبقى على الزمن ، وأذيع في الآفاق ، وأدق عند الانتقال من بلد الى بلد ، أو من جيل الى جيل من الشعر (٣) .

والحقّ في هذه المسألة أن لكل من النثر والشعر غاية ووظيفة ، فلا سبيل الاّ الاقرار بالفضل للنثر في مجاله ، وللشعر في مجاله أيضا .

---

(١) البلاغة ، المبرد ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ص ٨١ .
(٢) الحيوان ، جـ١ ، ص ٧٩ — ٨٠ .
(٣) رسائل التوحيدي ، رسالة في علم الكتابة ، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسلوب واللغة في نثر القرن الثالث الهجـــــري : —

أن المضامين الجديدة التي برزت في نثر القرن الثالث الهجري ، تطلبت الجديد في اللغة والشكل ، ويتمثل هذا الجديد أول ما يتمثل بميل كتّاب هذا القرن الى العبارة البسيطة ، والألفاظ السهلة البعيدة عن الحوشية والغريب والتكلّف ، وهذا الميل قائم على فهم صحيح للقاعدة البلاغية التي تدعو الى مطابقة الكلام لمقتضى الحال . فالامتاع الفني الذي هو احدى غايات الأدب لا يتحقّق الا بنقل الفكرة والمعنى "للمتلقي "كما أرادها "المتفنن" ، وابرازها بصورة سليمة وواضحة . وهذا يتطلّب دقّة وحرصا في تخيّر الألفاظ الموافقة المؤدية للمعنى والمنسجمة مع طبيعة حياة المتلقين وحاجاتهم النفسية والفكرية .

ومن أجل هذا ، أصبح الأسلوب البسيط البعيد عن الغموض والتكلف والتعقيد والاستكراه في هذا القرن ، اتجاها أدبيا عاما ، يتبعه أغلب الكتّاب لتحقيق نوع من الانسجام مع ايقاع العصر الحضاري [(١)] . فاللغة كما يقول كاتب حديث ، "كائن حيّ قابل للتطوّر والنمو" ، ومن صفات اللغة الحية المرونة ، ومواكبة الحياة في سيرها ، والمجتمعات في تطورها "[(٢)] .

ومما يصلح أن يكون شاهدا على هذا المذهب ، وصف أحدهم للرقعة التي وصلت اليه من صديق بقوله : "أتاني غلامُكَ المليحُ قدّه ، السعيدُ بملكك جدّه ، بكتابٍ قرأتُهُ غير مستكره اللفظ ، ولا مُزورٍ عن القصد" [(٣)] . وقد وصف المبرد — أيضا — أسلوب كتّاب هذا القرن وألفاظهم من خلال نقده لشعر الحسن بن وهب في رثاء أبي تمام ، حيث سلك فيه طريقة أبي تمام "وترك مذهبَهُ في السهولةِ والبيانِ ، وألفاظِ الكتّاب" [(٤)] .

---

(١) انظر حول ذلك أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، ص ١٦ .
(٢) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، يوسف حسين بكار ، ١٩٧١م ، دار المعارف بمصر ، ص ٣٨٧ .
(٣) الأغاني ، جـ ٢٢ ، ص ٣٢ .
(٤) التعازي والمراثي ، المبرد ، ص ١٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس التكلف والاستكراه أن تكون الألفاظ مغلقة في غرابتها ، نابية الاستعمال ، بل قد يكون الكلام متكلفا وان كان ظاهر اللفظ ، اذا لم يوضع في موضعه ، وخولف به وجه الاستعمال ، فلكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، "ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل" (١) . والكلمة تستحسن في موضع ، ولا يتم لها هذا في موضع آخر ، ويتطلبها مكان بحيث لا يغني عنها سواها . لذلك يرى العتابي أن اختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها ، أمر صعب يحتاج الى كثير من المهارة والحذق (٢) .

ولكل طبقة من طبقات المجتمع ضرب من الحديث ومذاهب يجب مراعاتها في مخاطبتهم والكتابة اليهم . وقد قسّم ابن المدبر الكلام ثمانية أقسام تضمّ طبقات المجتمع المختلفة ، مستثنيا طبقة التجار والسوقة والعوام "لاستغنائهم بتجارتهم عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات" (٣) .

ان هذا التقسيم يبيّن لنا مبلغ اتجاه المجتمع العباسي في هذا القرن نحو قيام نظام طبقي للفئات الاجتماعية المختلفة . ولكل طبقة من هذه الطبقات الثمانية ضرب من الحديث يجب مراعاته ، فكل يخاطب على قدر جلالته وأبهته وفطنته وانتباهه ، وما جرت به عادتهم وسننهم . حكي عن اسحق بن ابراهيم قال : "حضرتُ جنازةً لبعض القبط ، فقال رجلٌ منهم : من المتوفي؟ فقلت : الله . فضربتُ حتى كدت أموت" (٤) . فالكلام اذا لم يكن شبيها بحاجة صاحبه ، وبمن يخاطبهم كان أحد الأسباب المانعة . لذلك نجد الجاحظ وغيره من كتّاب هذا القرن ، لا يستنكفون عند سرد بعض أخبار العامة وقصصهم ، أو نوادر المولدين من ايراد بعض الكلمات على ما هي عليه دون اعراب ، أو تحويل لها عن جهتها التي قيلت عليها ، فأي تغيير في

---

(١) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٩ .
(٢) الرسالة العذراء ، ص ٢١٣ ، ٢٢٠ . أيضا الصناعتين ، ص ١٧٩ .
(٣) الرسالة العذراء ، ص ٢٠٤ .
(٤) أخبار الظراف المتماجنين ، ابن الجوزي ، تحقيق محمد أنيس بمرات ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، دار الحكمة ، دمشق ، بيروت ، ص ١٠٦ . أنظر أيضا قصة ابراهيم بن المدبر وصديق له طلب منه أن يكتب له رقعة الى أحد القضاة ، الرسالة العذراء ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللفظ يتبعه تغيير في المعنى ، فيفقد الكلام رونقه وينقلب عن معنى ما أريد به (١) .

وكادت السهولة في نثرهم تحكي في بعض الأحيان ما يجري على ألسن الناس في حياتهم اليومية المألوفة . كتبت عريب الى ابراهيم بن المدبر:

" وقد وافاني كتابُكَ لا عدمتُهُ الا بالغنى عنه بك ، وذكرتُ حاملَهُ فوجهتُ رسولي اليه ليدخلَهُ فأسألَهُ عن خبرك ، فوجدتُهُ مُنْصَرِفاً ، ولو رأيتُهُ لفرشتُ خدّي له ، وكان لذلك أهلا " (٢) .

وواضح ما في هذا النص من لغة سهلة ، وصياغة بسيطة ، تقرب من لغة الحياة اليومية . ونجد أبا هفان لا يتحرج من أجل أن يوغل في هجاء ابن مكرم من الاستعانة في غير ما موضع بألفاظ العامة وكناياتهم في رسالة له يقول فيها: " فأنتَ يا ابنَ الكشخانِ القرنان ، الديوث الصفعان ، عتقَ .... الشيطان ، لا لوجه الرحمن " (٣) . والكناية عن الديوث بـ "القرنان والكشخان" من الكنايات الشعبية التي شاعت في العصر العباسي .

ولم يقتصر اهتمام الكتّاب في هذا القرن على اللفظة المفردة ، ووضعها في المكان الملائم لها ، بل تعدّى ذلك الى الاهتمام بالجمل والعبارات ، فهم حريصون على تآخي الألفاظ وانسجامها في التراكيب ، ونظمها مع شقائقها لتأتي العبارة مترابطة غير قلقة أو نافرة (٤) .

ان الذي تقدم من قول لا يعني أن نثر القرن الثالث الهجري عامة ، جاء بهذا الاطار اللغوي المبسط ، اذ وصلتنا مجموعة من النماذج النثرية التي يمكن وصفها حقا بالوعورة والتعقيد ، لما فيها من تعقيد في التركيب ، واستغلاق وابهام في المدلول ، يجعلان العبارة مستثقلة ينفر منها السمع ويستهجنها الذوق . ومما يصح أن يكون شاهدا على ذلك ، قطعة أوردها

(١) انظر البيان والتبيين ، جا ، ص ١٤٥ — ١٤٦ . والحيوان ، جا ، ص ٢١٩ ، ج٣ ، ص ٣٩ . أيضا رسائل الجاحظ ، رسالة الغلمان والجواري ، جا ، ص ٩١ . والبرهان ، ص ٢٤٨ .
(٢) الاغاني ، ج٢٢ ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .
(٣) مثالب الوزيرين ، ص ٤٥ .
(٤) الرسالة العذراء ، ص ٢٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن المعتز في بديعه لأحد كتّاب عصره ، جاء فيها :

"أطالَ اللهُ بقاءك منشئاً لك ريحَ عزٍّ لا يعدمُ هبوبُها ، ومُطلِعا لنعمَتِكَ شمسَ نصرةٍ يؤمنُ غروبُها ، وأراك أمنيتَكَ ببلوغها ، قد جعلَ اللهُ ابداءَك وأعادك في الجودِ أذانا واقامة، يدلان العفاةَ الى مبائك للريّ من ساحتِك ، ولما رأيتُ ذكرَكَ عطراً ، ولمنٌ رجاكَ سترا ، جئتُكَ ظامئاً مستسقياً ماءَ أنعُمِكَ" (١) .

وقد ذمّ ابن المعتز أبا الصقر الوزير لأنه كان يتقعر في منطقه ، ويستعمل الغريب في ألفاظه :

يستعملُ الغريبَ في خطابهِ
وغامضاتِ النحوِ في كتابه
ويزجرُ الناسَ اذا تكلما
مُفخّما مجهورا مُغلْصما
كأنه قحطان أو معدّ
وداره تهامةٌ أو نجدُ (٢)

فالاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق من غير أهل البادية بغض (٣) . وسهولة مخارج الكلمة ، وعدم تنافرها من أهم شروط التأثير والبلاغة ، فكلما "احلولى الكلامُ وعذبَ ورقّ وسهلت مخارجُه ، كان أسهلَ ولوجاً في الاسماع ، وأشدَّ اتصالا بالقلوب ، وأخفَّ على الافواه" (٤) وهذا يضمن للنثر سعة الانتشار ، ويزيد من الايقاع الموسيقي للكلمات والمفردات في أذن المتلقي وذهنه . فالنثر في القرن الثالث الهجري "لا يلذ العقل وحده ، ولا الشعور وحده ، ولكنه يلذ العقل والشعور والاذن أيضا" (٥) .

(١) البديع ، ص ٥٦ .
(٢) ديوان ابن المعتز ، جـ١ ، ص ٥٤٠ .
(٣) البيان والتبيين ، جـ١ ، ص ١٤٤ .
(٤) الرسالة العذراء ، ص ٢٢٧ .
(٥) من حديث الشعر والنثر ، طه حسين ، ١٩٦٥ ، دار المعارف بمصر ، ص ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة ظاهرة لغوية أخرى في أسلوب كتّاب هذا العصر ، هي استعمال الكلمات الأعجمية والمعربة التي دخلت العربية ، وشاعت على ألسنة الناس ، وفي نثرهم عن طريق الامتزاج الحضاري والثقافي بين العناصر المختلفة في المجتمع العراقي (١) . ومن هذه الكلمات ، النيروز ، والمهرجان والكافور ، والطيلسان ، والزاج ، والديوان .

ولا نعدم أيضا النصوص التي تستمد بعض ألفاظها من القرآن الكريم ، والحديث الشريف . فمما أثر عن ابراهيم الصولي ، واعتمد فيه لفظ القرآن ، قوله في وصف أحلام أعداء المسلمين التي لن تتحقق : —

" ووجد أعداءُ اللهِ زخرفَ باطلهم وتمويه كذبهم سراباً بقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماءً ، حتى اذا جاءهُ لم يجدْهُ شيئاً " (٢) .

أما الحسن بن سهل ، فقد اعتمد لفظ الحديث الشريف ومعناه في الكتابة الى صديق حيث يقول : "أجدني وإياكَ كالجسدِ الواحدِ اذا خُصَّ منه ألم عمَّ سائره " (٣) .

ويتّضح من هذا النص أن الحسن في قوله هذا ينظر الى قوله عليه الصلاة والسلام : " مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسدِ ، اذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمى " (٤) .

---

(١) العربية ، يوهان فك ، ترجمة وتحقيق د . عبد الحليم النجار ، ١٩٥١ م ، مطبعة دار الكتاب العربي ، ص ٥٨ — ٥٩ .

(٢) معجم الأدباء ، جـ ١ ، ص ١٩٠ . وقد أخذ كلامه من سورة النور آية : ٣٩ .

(٣) البصائر والذخائر ، جـ ٣ ، ص ٣٢٧ .

(٤) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووي ، أبو الحسين مسلم بن حجاج ، ط ٣ ، ١٩٨٤ م ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، كتاب البر والصلة والآداب ، ص ١٤٠ . أيضا رياض الصالحين ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار الفكر بيروت ، باب تعظيم حرمات المسلمين ، ص ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتّضح أثر البيئات العلمية والكلامية في لغة الكتّاب وأساليبهم ، فيما كانوا قد استمدوه من ألفاظها ومصطلحاتها ، واستخدموه في نثرهم في طرافة وابداع . وهذا واضح في قول سعيد بن حميد الى بعض أهل السلطان في النيروز " وفزعتُ الى مودتي فوجدتها خالصةً لك قديمةً غير مستحدثةٍ "(١) .

وفي الرسالة العذراء يقول ابن المدبر في أثناء حديثه عن قضية اللفظ والمعنى ، والعلاقة بينهما : "والمعاني وان كانتْ كامنةً في الصدور ، فانها مصورةٌ فيها ومتصلةٌ بها "(٢) .

وكتب عبد الله بن المعتز الى عليّ بن يحيى المنجم(٣) ، عندما ردّ اليه الجزء الذي استعاره منه في أخبار معبد : "ان كنت أردتَ بقولك جزءا ، الجزءَ الذي لا يتجزأ ، فقد أصبتْ ، وان كنتَ أردتَ جزءا فيه فائدة للقارئ ، ومتعة للسامع فقد أحلت "(٤) .

ولو أننا عدنا فتأملنا هذه النماذج ، لاستوقفتنا عبارة "القدم والحدوث" ، و "الكمون" و "الجزء الذي لا يتجزأ" ، "والاحالة" . وهذه الكلمات والمفردات أدخل في باب الفلسفة وعلم الكلام ، وبخاصة نظرية الكمون التي تحدث فيها النظام(٥) ، وانعكست في عبارة ابن المدبر السابقة(٦) .

---

(١) العقد ، جـ٧ ، ص٢٧٢ .

(٢) الرسالة العذراء ، ص ٢٣١ .

(٣) شاعر ، راوية ، علامة ، اخباري . كانت له خزانة كتب ضخمة يسميها خزانة الحكمة ، ويقصدها الناس فيتعلمون منها صنوف العلم ، وله مصنفات منها كتاب الشعراء القدامى والاسلاميين ، توفي سنة (٢٧٥هـ) . معجم الشعراء ، المرزباني ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ . والفهرست ص ١٦٠ .

(٤) زهر الآداب ، جـ ١ ، ص ١٩١ .

(٥) ابراهيم بن سيار بن هاني البصري ، المعروف بالنظام ، ويكنى أبا اسحاق ، شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم ، له كلام حسن وشعر رقيق ، توفي سنة (٢٢١هـ) . سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ . أيضا سرح العيون ، ص ٢٢٦ والفهرست ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٦) الكمون مبدأ يقرر أن الله خلق الناس والبهائم والحيوان والجماد والنبات والجواهر المعدنية في وقت واحد ، وأنه لم يتقدم خلق آدم خلق ولده ، ولا تقدم خلق الامهات على خلق اولادهن ، فالله خلق ذلك أجمع في وقت واحد ، وأكمن الاشياء بعضها في بعض ، فالتقدم والتأخر انما يقع في ظهورها من أماكنها دون خلقها . انظر الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقف أثر علم الكلام في نثر القرن الثالث الهجري على ما أسلفنا ، بل كانت له اضافة أخرى في الأسلوب ، فظهر فيه الترتيب العقلي ، والاعتماد على الحجج والبراهين والاقيسة والأدلة المنطقية . ومن الأمثلة على وجود ذلك في نثر هذه الفترة ، ما كتب به صديق الى ابن الزيات : "ان مما يُطمعُني في بقاءِ النعمةِ عليك ، ويزيدُني بصيرةً في العلم بدوامها لديك ، أنك أخذتَها بحقها ، واستوجبْتَها بما فيك من أسبابها ، ومن شأنِ الأجناسِ أن تتواصلَ ، وشأنِ الأشكالِ أن تتقاومَ ، والشيءُ أن يتغلغلَ في مَعْدِنِهِ ويَحنَّ الى عُنصرِهِ ، فاذا صادفَ مَنْبِتَهُ ولزَّ في مَغْرِسِهِ ضربَ بعرقه ، وسَمَقَ بفرعِهِ ، وتمكن تمكّنَ الاقامة ، وثبتَ ثباتَ الطبيعة ."(١)

فالكاتب يمدح الوزير ، ويقرر استحقاقه لما وهبه الله له من النعم ، لانه أخذها بحقها ، وأنه يتمتع بصفات وخلال طيبة كثيرة ، توجب له دوام هذه النعمة . ومن ثم أخذ يسوق الأدلة والشواهد التي تبرهن على صحة هذه القضية . فقد ركب الله طباع الأشياء على الاختلاف والتوافق فكل جماعة أو فئة تبحث عن نظائرها وتنجذب الى مثيلها . وتبدو الصلة واضحة بين القول السابق ، وقول أرسطو "الأشكال لاحقة بأشكالها ، كما أن الأضداد مباينة لأضدادها ."(٢) .

فهم لا يفترون عن تصيد العلل والتبريرات القاطعة على ما يقولون حتى في مزاحهم ودعابتهم ، فمن نوادر الكندي وكلامه في البخل : "من شرف البخل أنك تقول للسائل لا ، ورأسك الى فوق ، ومن ذلّ العطاء أنك تقول نعم ورأسك الى أسفل ."(٣) .

الا أن هذه الحجج لا تقوم أحيانا على أساس مقبول ، وقع عبد الله بن طاهر على رقعة معتذر اليه بخط غير حسن : "قد أردنا قَبولَ عُذْرِكَ ، فاقتطعنا دونَه من قبيحِ خَطِكَ ، ولو

---

(١) عيون الأخبار ، جا ، ص ٩٥ . وردت في البصائر ، جا ، ص٢٧٢ ، مع اختلاف في بعض الألفاظ .

(٢) الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو في الحكمة . أبو علي محمد ابن الحسن بن المظفر البغدادي الحاتمي . تقديم وتعليق فؤاد أفرام البستاني ، ١٩٣١م ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ص ٥٤ .

(٣) سرح العيون ، ص ٢٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كنتَ صادقاً في اعتذارك ، لساعدتك حركةُ يدك ، أو ما علمتَ أن حُسنَ الخطِ يناضلُ عن صاحبِهِ بوضوحِ الحُجةِ ، ويمكّنُ له ادراكَ البغيةِ "(١) .

وأخذ الأسلوب الجدلي ، الذي يتطلّب عادة دقة الألفاظ تبعا لدقّة المعاني ، في النوادر خاصة في أدب المحاسن والمساوئ ، أو المحاسن والأضداد . حيث يعمل الكاتب على اثبات الشيء ونقضه ، ويأخذ في الاحتجاج له ولضده ، بقوة بيانية واحدة ، تضع الشيء ونقيضه في المستوى نفسه ، أو تقيم كل واحد منهما مقام صاحبه (٢) . حكي عن النظام أن أباه جاء به وهو حدث الى الخليل بن أحمد ليتعلّم منه ، فقال له الخليل ممتحنا وفي يده قدح زجاج : يا بنيّ ، صف لي هذه الزجاجة . فقال : أبمدح أم بذم ؟ فقال بمدح . فقال : "تريك القذى ، وتقيك الأذى ، ولا تستر ما وراءها" . قال الخليل : فذمّها . قال النظام: "سريع كسرها ، بطيء جبرها" (٣) .

ومما ألف في هذا الموضوع كتاب المحاسن لعمر بن الفرخان الطبري ، وكان ذلك في زمن المأمون ، وكتاب المحاسن والأضداد للجاحظ .

والمسألة في نظر الباحثين تعود الى عاملين وثيقي الصلة أحدهما بالآخر: —

١ — عامل فنّي ، حيث أصبح هذا الأسلوب نوعاً من الرياضة الذهنية والبلاغية عند كتّاب القرن الثالث الهجري ومتكلميهم ، وميدانا لتدريب عقولهم وأقلامهم على الحجاج والجدل والمناقشة حتى وان اضطرهم ذلك الى اختلاق الخصوم والحجج ، ومجافاة الحقيقة ومجانبتها (٤) .

---

(١) قوانين الدواوين ، الأسعد بن مماتي ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، ١٩٤٣م ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ص ٦٥ .

(٢) انظر ما قاله ابن قتيبة في بلاغة الجاحظ ، تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة ، ١٩٧٢م ، دار الجيل ، بيروت ، ص٥٩ . أيضا اللطائف والظرائف ، المقدسي ، ص١٧ .

(٣) انظر أمالي المرتضى ، ص١٨٩ . أيضا المنية والأمل ، ص ٤٩ .

(٤) النزعة الكلامية ، ص ٩٤ ، ١٢٠ .
الجاحظ والحاضرة العباسية ، وديعة النجم ، ١٩٦٥م ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ — عامل فلسفي ، يعيد النظر في أكثر المقاييس والمذاهب ، التي كان الايمان بها يعد من المسلمات التي لا تقبل المجادلة أو التفاضل [١] .

ولم يقف تجديد الكتّاب في الأسلوب على ما أسلفنا ، بل كانت لهم اضافة أخرى في هذا المجال ، فقد مزجوا الفكاهة في جميع مستوياتها في كتاباتهم ، وحرصوا على النادرة في جميع الأحوال . وان كان للجاحظ فضل الريادة في هذا المجال ، فقد اتفق معه وتابعه في هذا كتّاب آخرون من القرن الثالث الهجري وما تلاه .

والفكاهة في نثر هذا القرن عادفة في كثير من جوانبها ، فقد تقصد للترويح عن النفس ، وابعاد السأم والملل عن القارئ ، أو للنيل من الخصوم والسخرية بهم ، أو لعلاج وضع أو دعم وتأييد مذهب من المذاهب المتنوعة التي زخر بها مجتمع القرن الثالث الهجري [٢] ، مما يصعب التعبير عنه بطريق مباشر أحيانا [٣] . فمن ذلك أن عبادة المخنث دخل على المأمون أثناء محنة القرآن فقال : يا أمير المؤمنين ، يعظم الله أجرك . قال : فيمن ؟ قال : في القرآن ، فمن بقي يصلي بالناس التراويح ؟! فقال : ويحك ، القرآن يموت ؟! فقال : أليس قال أمير المؤمنين انه مخلوق ؟! [٤] .

ان هذه النادرة تمثل موقف جمهور المسلمين وشعورهم تجاه قضية القول بخلق القرآن ، هذه القضية التي آثارها المعتزلة ، وتبناها المأمون . وقد عبّر أصحابها عن مواقفهم بأسلوب يعتمد التلميح دون التصريح والتسجيل المباشر . "ضرب هزل أنفع من جدّ ، اذا أصيب به موضع الحاجة اليه ، ووضع بحيث تقع هم النفوس عليه" [٥] .

---

(١) صورة بخيل الجاحظ الفنية من خلال خصائص الاسلوب في كتابه البخلاء ، أحمد بن محمد ابن امبيريك ، ١٩٨٦م ، الدار التونسية ، القاهرة ، ص ١٢٦ .

(٢) المكافأة وحسن العقبى ، ابن الداية ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٨٦ — ٨٧ . وأيضا مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، القلقشندي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٦٤م ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٣) عبادة المخنث : كان صاحب نوادر ومجون ، عاش في بغداد وتوفي في حدود (٢٥٠هـ). فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ١٥٣ — ١٥٤ . وأيضا مآثر الاناقة ، ج١ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٤) من غاب عنه المطرب ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، ط١ ، ١٩٨٧م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ص ٨٧ .

(٥) جمع الجواهر ، ص ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة شيء آخر يمكن أن تنعت به الفكاهة في هذا العصر ، هو استقلالها في مقطوعات ورسائل فيها من الظرف الممتع ، والتصوير الفني ، والبراعة في التلوين الشيء الكثير . ومن أطرف الرسائل الفكهة في نثر القرن الثالث الهجري ، والصادرة عن نفس مرحة عند الكاتب ، رسالة كتبها أبو العيناء في وصف دابة أهديت اليه . وقد نجح أبو العيناء في أن يضمن رسالته هذه كل المقومات التي ينتزع بها ضحك القارئ انتزاعا ، حيث اعتمد أولا على التشخيص ، واضفاء الأعمال الانسانية على دابته ، مدركا حقيقة فنية كشف عنها برجسون حديثا عندما قال "بأن المنظر قد يكون جميلا لطيفا رائعا ، وقد يكون تافها أو قبيحا ، ولكنه لا يكون مضحكا أبدا . واذا ضحكنا من حيوان ، فلأننا لقينا عنده وضع انسان ، أو تعبيرا انسانيا" (١) . وعلى هذا ما ضحكنا من دابة أبي العيناء عندما شبهها بالقضيب اليابس ولكننا ضحكنا منها عندما شبهها بالعاشق المريض ، والخطيب المرشد ، والشاعر المنشد ، وطالب العلم الذي يلحق العلماء في الأمصار ، ويروى الأخبار لأننا وجدنا فيها تعبيرا انسانيا . وقد تكون المبالغة والتهويل وتضخيم الصورة ، وحشر شخصيات أدبية وتاريخية كمجنون ليلى ، وجابر الجعفي ، وعامر الشعبي في ثنايا الرسالة من الأسباب الأخرى الداعية الى الضحك ، والباعثة على المرح فيها (٢) .

والرسالة تدل أوضح دلالة على أن الفكاهة صارت فنا من فنون القول يعمد اليه ، و أن المتتبع للفكاهة في نثر هذا القرن ، يرى طائفة من الناس احترفت الضحك والاضحاك ، وذهبت مذاهب متطرفة في فهم روح التندر والهزل . وكان هؤلاء المضحكون يجلبون الى مجالس الخلفاء وأندية الموسرين ، فيسمعون منهم كثيرا من المضاحك والنوادر ، ويشجعونهم على الافتنان فيها بشتى المغريات ، مما يصل بهم الى حد الفحش أحيانا (٣) . ومنهم ابن المغازلي المضحك ، وكان معروفا بالحذق في القاء النوادر والمضاحك ، ومحاكاة كلام الأعراب والترك

---

(١) الضحك ، هنري برجسون ، تعريب سامي الدروبي ، وعبد الله عبد الدائم ، ط٣ ، ١٩٨٣م ، دار العلم للملايين ، ص ١٦ .
(٢) انظر جمع الجواهر ، ص ٣٥٢ .
(٣) انظر حول ذلك المفوات النادرة ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنبط والزنـــج [١] . وأبو العنبس الصيمري الذي وضع في الرقاعة والمجون نيفا وثلاثـــين كتابا [٢] . وأبو العبر الذي كان يتعمد في كتابته المقلوب رقاعة ومجونـــا [٣] . ومـن ذلـــك قولـــه :

"أما قبل فاحكم بنيانك على الرمل ، واحبس الماء في الهواء ، حتى يغرق النـــاس من العطش ، فانك اذا فعلت ذلك أمرت لك كل يوم بسبعة آلاف درهم ، ينقص كل درهم سبعـــة دوانيـــق ، وكتب يوم الا تسعا لخمس وأربعين ليلة خلت من شهر ربيع الأوسط سنة عشريـــن الا مائتـــين " [٤] .

والطريف في الأمر أن أبا العبر قد تعلّم هذا الفن تعلّما ، وتفوق فيه على أستـــاذه ، وأصبح له مجلس بسامراء يغشاه الراغبون في الضحك والعبث ، فيطرحون عليه أسئلة غريبـــة ، ويكتبون عنه أجوبة أكثر غرابة ، ضمن مراسيم وطقـــوس [٥] .

ومما يتصل بالأسلوب ، مسألة الايجاز والاطناب ، وقد ذهب عدد غير قليل مـــن الباحثين المحدثين الى أثر الفرس في ظاهرة الاطناب التي أخذت تظهر وتمتد في نثر القـــرن الثالث الهجري . الا أن من يتأمل الآثار النثرية لكتّاب هذا العصر ، وقواعد البلاغة وأصولهـــا لديهم ، يرى أن الاطناب انعكاس طبيعي لا تزييف فيه لعلاقة الأدب بالحياة . فكاتب القـــرن الثالث لم يطنب التماسا للطول ولا رغبة في القدرة على الكثير ، ولكن المعاني اذا كثرت ، والوجوه اذا افتنت ، كثر عدد اللفظ " [٦] . والمعاني قد ازدادت ـ بلا شك ـ عمقا واتساعـــا

---

(١) مروج الذهـــب ، جـ٤ ، ص ١٦٣ .
(٢) أصله من الكوفة ، من أهل الفكاهات ، أدخله المتوكل في جملة ندمائه وخصه . وعـــاش الى أيام المعتمد ، وله من الكتب ، كتاب العاشق والمعشوق ، كتاب تفسير الرؤيا ، كتـــاب الدولتين في تفضيل الخلافتين . الفهرست ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ . ومعجم الشعـــراء ، ص ٤٤٢ .
(٣) أبو العبر الهاشمي ، ويكنى أبا العباس ، كان حافظا أديبا ، ولم يكن في الدنيا صناعـــة الا وهو يعملها بيده ، توفي سنة (٢٥٠هـ) . الفهرست ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .
(٤) جمع الجواهـــر ، ص ٨١ .
(٥) طبقات ابن المعتـــز ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .
(٦) البيان والتبيـــين ، جـ ٤ ، ص ٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنوعا عما كانت عليه من قبل ، بفضل تنوع مظاهر الحياة وعمقها ، فجاءت ألفاظهم على أقدار معانيهم .

يروى أن يحيى [١] بن خالد سأل أحد الكتّاب الأمويين عن سرّ الايجاز في نثرهم ورسائلهم ، فأجاب الكاتب : "انّ بني أميّة كانت لا تكتبُ في الباطلِ أنه حقّ ، ولا في الحقّ أنه باطل ، فلا تعقب أمراً قد نفذَ بخلافهِ أمر ، فلا يحتاجونَ الى الاطالة وطلب المعاذير والتلبيس ، وأنتم تكتبون في الشيء الحقّ أنه باطل ، والباطل أنه حقّ ، ثم تعقبون ذلك بخلافه ، فلا بدّ لكم من الاطالةِ" [٢] .

ان النصّ السابق على ما فيه من نقد سياسي ، يصوّر فساد الأحوال واختلال الأمور في بعض جوانب المجتمع العباسي ، فانه يؤكد أن المعاني وأغراض الكلام تختلف باختلاف المبدع والمتلقي ، والغرض الذي قيلت فيه ، ومن هذا الاختلاف نتجت الحاجة الى الاطناب ، وهو اطناب في مجمله مقبول يؤكد المعنى ويقويه ولا يثقله . ولقد أصاب الجاحظ واتّسم حكمه بالمرونة والشمول حين فسّر الايجاز بأنه أداء حاجة المعنى سواء أكان ذلك الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة ، فقد يكون "الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطئ طومار فقد أوجز" [٣] .

---

(١) يحيى بن خالد بن برمك ، كان من أكمل أهل زمانه أدبا وفصاحة وبلاغة ، وأخباره في الكرم وشرف الخلال مشهورة ، مات في سجن الرشيد سنة (١٩٠هـ) . معجم الأدباء ، جـ ٢٠ ، ص ٥ — ٩ . وشذرات الذهب ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨ .

(٢) الجليس الصالح ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .

(٣) الحيوان ، جـ ١ ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة والخيال في نثر القرن الثالث الهجري : —

توسّعت جوانب المعرفة عند كتّاب القرن الثالث الهجري ، وكثرت مظاهر الحضارة في عصرهم وبيئتهم ، وارتقت عندهم مدارك التمثل والتصور والتأمل والوصف . وتطلّعوا الى أشكال جديدة من الصور المادية والمعنوية ، يستمدونها من بيئتهم وثقافتهم الواسعة ، وتجاربهم وخبراتهم الاجتماعية . وقد ساعد ذلك كله على حدوث تطوّر ملحوظ في الصورة الفنية في نثر هذا القرن . فكلما اتسعت دائرة تجارب الكاتب ، وتعددت مشاهداته المختلفة ، غزرت الصور التي تتراءى له ، واختلفت في أنواعها وأشكالها وأنماطها .

فظهر في صورهم طابع عصرهم المترف ، ولم تعد فيها تلك الخشونة التي كنا نصادفها سابقا في نثر أسلافهم . فها هو الحسن بن وهب يصور مجلس أنس فيقول : —

" افتتحتُ الكتابَ ، جعلني الله فداك ، والآلاتُ معدةٌ ، والأوتارُ ناطقةٌ ، والكأسُ محثوثة ، والجوّ صاف ، وحواشي الدهرِ رقاقٌ ، ومخايلُ السرورِ لائحةٌ " (١) .

ولم يكن الوصف عند كتّاب القرن الثالث الهجري مقتصرا على المناسبات ، اذ أنهم تعمدوا استقصاء الموضوعات الوصفية ، فكان المأمون يستحسن الوصف من طاهر بن الحسين ويقول له :

" مثلك يا أبا الطيب فليصف الشيء " (٢) . وقال المعتصم لأحمد بن داود : " اني لأسألك عما أعرف ، لأسمع حسن ما تصف " (٣) . فتنوعت نماذج الوصف عندهم ، ما بين وصف الانسان ، ووصف الحيوان ، ووصف المدن والمظاهر الحضرية والاجتماعية (٤) . وتجاوزوا

(١) البصائر ، مجلد ١ ، ص ٢٧٩ .
(٢) المصدر السابق ، مجلد ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥٢ .
(٣) ربيع الابرار ، جـ ٤ ، ص ٢٥٣ .
(٤) انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : الثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٤٧٩ — ٤٨٠ ، ٥١٢ — ٥١٦ . أيضا ديوان المعاني : أبو هلال العسكري ، ١٩٣٣م ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، جـ ٢ ، ص ١١٨ ، وربيع الأبرار ، جـ ١ ، ص ٣١٠ ، جـ ٢ ، ص ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في وصفهم حدود المادة الى عالم المعاني ، فوصفوا القناعة والطمع ، والكرم والبخل ، والحق والباطل ، والحالات النفسية كافة . ومن ذلك وصف النظام للعشق وما ينجم عنه من لذة وألم :

"العشقُ أرقُّ من السرابِ ، وأدبُّ من الشرابِ ، وهو من طينةٍ عطرةٍ عُجنتْ في انـاءِ الجلالة ، حلو المجتنى ما اقتصد ... له سحابةٌ غزيرةٌ تهمي على القلوب ، فتعشبُ شغفاً وتثمرُ كلفا "(١) .

وتبرز لنا النصوص اعتماد كتّاب هذا القرن على الاستعارة ، وما فيها من عنصر التشخيص والتجسيم ، كأسلوب أساسي لاشاعة الحياة والحسّ والحركة في صورهم . ومن الأمثلة على ذلك وصف علي بن عبيدة (٢) للربيع ، حيث يقول : "الربيعُ جميلُ الوجه ، ضاحكُ السن ، رشيقُ القدّ ، حلو الشمائلِ ، عطرُ الرائحةِ ، كريمُ الخلائق "(٣) . فأضفى الكاتب على الربيع من الصفات والفضائل المادية والمعنوية ما هو حقيق بالانسان . فأبلغ الوصف كما يقول ابن رشيق : "ما قلب السمع بصرا "(٤)

ولم يكن التصوير الفني عندهم مقصورا على الاستعارة وحدها ، بل كان يتجلى أيضا في التشبيه التمثيلي والتشبيه الضمني ، اذ تأتي الصورة لتوضيح فكرة والبرهنة عليها ، وتقريب المعنى الذي يريده الكاتب الى ذهن القارئ والمستمع وتوكيده ، بطريق المقارنة والقياس والتمثيل . قال ابن المعتز ـ الذي يضرب المثل بحسن وجودة تشبيهاته (٥) ـ محذرا

(١) المروج ، جـ٣ ، ص ٣٧٢ . انظر أيضا وصف الجاحظ للعشق في رسالة القيان ، جـ٢ ، ص١٦٦ ـ ١٦٧ . أيضا ما دار في مجلس المنتصر حول ذات الموضوع ، المروج ، جـ٤ ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(٢) علي بن عبيدة الريحاني أحد البلغاء الفصحاء ، كان له اختصاص بالمأمون ، وسلك في تأليفاته وتصنيفاته طريق الحكمة ، وكان يرمى بالزندقة . انظر معجم الأدباء ، جـ١٤ ، ص٥١ ـ ٥٢ . أيضا تاريخ بغداد ، جـ١٢ ، ص١٨ ، والفهرست ، ص ١٣٣ .

(٣) من غاب عنه المطرب ، ص٣٧ . انظر أيضا وصف ابن المعتز للكتاب والقلم ، زهر الآداب ، جـ٢ ، ص ٤٧٩ .

(٤) العمدة ، جـ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٥) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هـ . ريتر ، مطبعة وزارة المعارف ، استنبول ، ص٨٥ . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي ، ص ٢٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من السلطان ، " أشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقربَ الأشياءِ الى النارِ أسرعها احتراقا "(١) . وقال أيضا في التحذير من العدو : " لا تأمنن عدوّك وان كان مقهورا ، واحذره فان حدّ السيفِ فيه وان كان مغمورا "(٢) .

ولقد ظهر الجانب الحسّي للصورة البيانية في نثر هذا القرن على هيئات وصور متعددة منها البصرية ، والسمعية ، والذوقية ، واللمسية . وصف ابن الحرون(٣) توقد الكواكب المنقضة وحركتها في سماء العراق ، أيام المتوكل على الله فقال : " ان الفلك قد تفرّى عن شهبٍ ثواقب ، كثيرانِ الحباحب ، متقدة كشررِ الزنود ، وشعلِ زبرِ الحديد ، مازجها عرض حمرةِ الكهرمان ، وصفرةِ العقيان ، فهي كأرسالٍ جرادٍ منتشر ، وهشيمٍ ذرته ريحٌ صرصر ، في سرعةِ الكفِ ، ووحي لحظِ الطرف "(٤) .

ولقد روعي في هذا التشبيه تفصيلات كثيرة ، الشكل واللون والحركة والاضطراب . ومن لطيف ذلك أيضا أعني الجمع بين الشكل وهيئة الحركة وصف النظام لفرس اذ يقول :

" عموصافي القميص . . . وثيقُ القصب نقيُّ العصب ، يبوع بيديه ويندس برجليه ، ويشيرُ بأذنيه . . . يلحق الأرانبَ في الصعداء ، ويجاوزُ الظباءَ في الاستواء ، ان حركته طيارٌ ، وان زجرته حارّ ، وان طرحتَ عنانه سارَ كموجٍ في لُجةٍ ، أو سيلٍ في فجوة "(٥) .

ومن الصور السمعية ما نجده في ذم أبي العيناء لرجل فقال : " له ضحك كالبكاء ، وتودد كالسباب ونوادر كندب الموتى "(٦) .

---

(١) زهر الآداب ، جـ٣ ، ص ٧٢٩ .
(٢) التمثيل والمحاضرة ، ص ٤٦٦ .
(٣) محمد بن أحمد بن الحسن بن الأصبغ بن الحرون ، حسن التأليف والتصنيف ، مليح الأدب ، من أولاد الكتاب ، وله من الكتب ، كتاب المطابق والمجانس ، كتاب الحقائق ، كتاب الكتاب ، كتاب الشعر والشعراء . الفهرست ، ص ١٦٥ .
(٤) نهاية الارب ، جـ١ ، ص ٨٨ . نيران الحباحب تضرب مثلا للشيء يروق ولا طائل فيه . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص ٥٨١ .
(٥) ديوان المعاني ، جـ٢ ، ص ١١٨ .
(٦) البصائر والذخائر ، جـ٣ ، القسم الأول ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستغل الحاحظ حاسة الذوق ليصوّر الحالة النفسية والمعنوية التي يجدها الانسان في حال النجاة والسلامة من الاسر أو القتل ، بأنها شبيهة بالحال التي يجدها آكل الفاكهة والحلوى من لذة الحلاوة : "انّ صاحبَ الحصر وصاحب الأسرِ يجدان عند التطلق وانفتاح المخرج ما يجده آكلُ الرطب ، وكذلك المصبور على ضربِ العنق ... فانه اذا سلمَ وقد عاينَ بريقَ السيفِ ، يجدُ لتلك السلامةِ من اللذّةِ ما لا يجدُ لشيءٍ من الفواكهِ والحلوى"(١).

وقد اعتمد العباس بن الحسن على حاسة الذوق أيضا في عتابه لاسحاق الموصلي وقد تأخر عنه :

"أذقتنا نفسكَ ، فلما استعذبناك لفظتَنا"(٢).

وقد تنوعت مصادر هذه الصورة البيانية وتعدّدت ، وكانت البيئة العراقية على اختلاف أنواعها الطبيعية ، والاجتماعية والثقافية ، والسياسية ، من أهم هذه المصادر وأبرزها ، حيث أمدّت الكتّاب بالأخيلة والتشبيهات والاستعارات ، ومن الأمثلة على ذلك ، هذه الصورة التي يرسمها ابن المعتز للمؤمن ، واصطباره على المصائب : "المؤمنُ لا يثقله كثرةُ المصائبِ وتواترُ النوائبِ عن الرضا باقدارِ الله تعالى ، والتسليمِ لأمرِه وحكمه ، كالحمامةِ التي تؤخذ فراخها من وكرها ، ثم تعود اليه"(٣).

وصورة أخرى يرسمها الكاتب ذاته لأصحاب السلطان ، مستلهما عناصرها من البيئة البحرية ، يقول : "من صَحِبَ السلطانَ فليصبرْ على قسوتِه ، كصبرِ الغواصِ على ملوحةِ بحرِه"(٤).

أمّا عليّ بن يحيى المنجم فقد استعار تشبيهه من حياة الناس الاجتماعية ، والمعتقدات المذهبية الشائعة في زمنه ، عندما شبه رأي ابن حمدون ، وذلك اذ يقول :

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص ٦٧٠.
(٢) المصون ، ص ٢١٩.
(٣) التمثيل والمحاضرة ، ص ٣٢٩.
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"مالي أراكَ ذا رأي أغرب من السنةِ بالكوفةِ ، والكمالِ بالبصرةِ ، نعم ، ومن الوفـــاءِ بالترك ، والجودِ بالروم ، والهمِّ بالزنـــجِ ." (١) .

وكان من مصادر الصورة البيانية في نثر القرن الثالث الهجري وأغراضه القرآن الكريـــم ، والحديث الشريف . فقد استوحى محمد بن مكرم قصة يوسف عندما وصف ثوبا أهدي اليـــه :

"وصلتْ الخِلْعَةُ التي هي أحسنُ من بُرْدِ الشبابِ على الكعاب ، وأرفعُ من قميصِ يوســفَ عندَ يعقـوب ." (٢) .

ومن ذلك أيضا وصف أبي هـفان ابن مكرم بقولـــه :

"ان تُرِكْتَ عبْتَ ، وان عِبْتَ بك استغبتَ ، فمَثَلُكَ كمثلِ الكلبِ ان تحملْ عليه يلهـــثْ ، أو تتركْه يلهـــثْ ." (٣) . وهي صورة مستوحاة من القرآن الكريم . وحظ هذه الصورة مـــن الايحاء قليل ، ومن المباشرة والتقرير كبـــير .

كما أنس كتّاب هذا القرن الى المفاهيم الدينية ، وأوردوها في نثرهم ، واعتمدوا عليهـــا في تشكيل صورهم . فهذا أحمد بن ثوابة يشبه حاله مع عبيد الله بن سليمان وترقبه لذكـــره ، بحال الصائم الذي يترقب افطاره : "ولم أزل أترقبُ أن يُخْطِرني بباله ، ترقب الصائمِ لفطـرِه ." (٤)

وربّما جاءت الصورة عند الكاتب مستوحاة من ثقافته العربية والتاريخية الواسعة ، ومـــن ذلك ما كتبه ابن الحرون في صفة أقـــلام :

"فلو كانت رجالاً لوجبَ أن تكونَ في ذَروةٍ من الشرفِ من آل آكلِ المرار ، وعبدِ المـدان ، . . . وفي الجودِ كحاتم وابن جدعان ، وفي السياسةِ كازدشيرَ وانو شـــروان ." (٥) .

---

(١) خاص الخـــاص ، ص ٣٩ .
(٢) المصدر السابـــق ، ص ٣٩ .
(٣) مثالب الوزيـــرين ، ص ٤٨ . وهذا مأخوذ من قوله تعالى : "فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهـــث" الاعـــراف ، آيـــة : ١٧٦ .
(٤) معجم الادبـــاء ، جـ٤ ، ص ١٤٧ .
(٥) البصائـــر ، جـ١ ، ص ٣١ — ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع أن الصورة الفنية عند كتّاب هذه الفترة صورة حسّية غالبا ، الا أنهم عدلوا في بعض صورهم عن هذا المفهوم ، فانتقلت تلك الصور من المحسوس والواقع المشاهد الى الصور التجريدية . ذكر أبو عثمان ثقيلا فقال : "هو أثقلُ على القلوبِ من الموتِ على المعصية" (١) . وذمّ العباس بن الحسن آخر بقوله : "واللهِ ما الحِمامُ مع الاصرارِ ، وطُولُ العللِ في الاسْفارِ ، وحلولُ الدين على الاقتارِ ، بآلم من لقائِ فلان" (٢) .

وهناك صور كثيرة في نثر القرن الثالث الهجري نلحظ فيها قوة التصوير ، وارتباطه النفسي بفكر الكاتب وشخصيته ، وبما يعبّر عنه من انفعالات وجدانية تجاه الحياة والمجتمع والناس. ومن أمثلة الصور الانفعالية الصادقة التي تعبّر عن تجربة ذاتيّة ، وتؤكد دور الشعور في بناء الصورة ما قاله ابراهيم الصولي : "أتاني فلانٌ في وقتٍ استثقلُ فيه لحظةَ الفرحِ" (٣) . ان مشاعر الملل والضيق قد ملكت على الكاتب أقطار نفسه ، ولذلك جاءت الصورة البيانية معبّرة عن مشاعره ، وان كان فيها شيء من المبالغة ، لكنها مبالغة مقبولة .

وقد تتكرر بعض الصور عند كاتب معين ، مما يشي بسمات شخصيته ونوازع نفسه ، فالصورة عند ابن المعتز — مثلا — تحمل طابعه الخاص ، اذ انتزع كثيرا منها من ميدان الفروسية ، ومن واقع حياته العملية ، وبيئته الخاصة . فنجد ألفاظ أدوات المعركة تتكرر في بعض صوره من ذلك قوله في وصف سقوط المطر :

"فما عَسيتُ أن أقولَ في المِنَّةِ الواجبِ لله تعالى الشكر عليها ، اذ تخطّتنا بعدَ أن سلّتْ سيفها" (٤) .

وفي صورة أخرى يستخدم لفظ "السهم" في تشبيهه للموت وسعيه نحو الناس:

---

(١) أخبار الظراف والمتماجنين ، ابن الجوزي ، ص ١٠٦

(٢) المصون ، ص ٢١٩ ، انظر خاص الخاص ، ص ٣٩ .
(٣) معجم الادباء ، جـ١ ، ص ١٨٦ . رسالة أبي العيناء الى عبيد الله بن سليمان ، زهر الآداب ، جـ١ ، ص ٣٢٤ . أيضا أشعار أولاد الخلفاء ، ص ٢٨٨ .
(٤) الديارات ، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الموتُ كسهمٍ مُرسلٍ اليكَ ، وعمُرُكَ يقدرُ سفره نحوك" (١) .

فالصورة تعبّر في كثير من الأحيان عن حالات نفسية ، وقضايا وجدانية وفكرية ، وليست مجرد تزويق شكلي .

كما نجد روح المبالغة ، والغلو في الوصف وجموح الخيال تغلب أحيانا على صورهم في بعض من المواضع . وذلك واضح في رسالة بعثتها عريب الى ابراهيم بن المدبر تعتذر عن حضورها مجلسه : "أصبح يومَنا هذا طيباً ، طيّبَ اللهُ عيشَكَ ، قد احتجبتْ سماؤه ، ورقّ هواؤه وتكاملَ صفاؤه ، فكأنه أنتَ في رقّة شمائلك ، وطيبِ محضَرِكَ ومخبَرِكَ" (٢) .

فأنت ترى أن عريب عملت على قلب طرفي التشبيه ، وجنحت عن قاعدة تشبيه الشيء بما هو أقوى منه في وجه الشبه . فالمألوف أن تقول فكأنك هو في الرقة ، وطيب المحضر والمخبر ، ولكن عريب بالغت فادّعت أن وجه الشبه أقوى في المشبه به ، ولذلك كان مثل هذا التشبيه عند علماء البلاغة مظهرا من مظاهر الافتنان والابداع .

ومن الصور الطريفة والمقبولة ، وان كانت مغرقة في البعد ، قول الجاحظ يصف انسانا بالطمع : "لو أعطيَ أفاعي سجستان ، وجوّاراتِ الأهواز ، وثعابينَ مصرَ لأخذها اذ كان الأخذُ واقعاً عليها" (٣) .

ويطالعنا مع صور كتّاب القرن الثالث الهجري ، وقوة انفعالهم ، دقة اختيارهم للألفاظ وصف العتابي الألفاظ بأنها : "أجسادٌ والمعاني أرواحٌ ، وانما تراها بعيون القلوب" (٤) .

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ٢٥٢ .
(٢) الأغاني ، ج٢٢ ، ص ١٨١ .
(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص ٤٢٥ ، وأفاعي سجستان يضرب بها المثل في الخبث وسوء الأثر ، كما يضرب المثل بثعابين مصر ، وجوارات الاهواز ، وعقارب شهرزور .
(٤) الصناعتين ، ص ١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ساعد ذلك كله على بناء صور فنية جديدة مبتكرة، ومن أمثلة ذلك وصف ابراهيم ابن العباس البارع للمعصية، من حال ابتدائها الى حال اشتدادها وتسعّر ضرامها، يقول :

"وقد يماً غذّت المعصيةُ أبناءَها، فحلبتْ عليهم من درّها مرضعةً، وركبتْ بهم مخاطرها موضعةً، حتى اذا وثقوا فأمنوا، وركنوا فاطمأنوا، وامتدّ رضاعُه، وآن فطامُه، فجرت مكان لبنها دما، وأعقبتهم من حلوِ غذائها مُرّاً" (١).

فصورة المعصية صورة فكرية مجودة، التمس لها الكاتب معادلا حسيا هو المرأة المرضع للكشف عن الغرض المقصود، ويتوسّع الكاتب في الحديث عن آثار هذه المعصية، من خلال صور، هي بلا شك، نتاج توسع مدارك كتّاب القرن الثالث الهجري، واهتمامهم بالفكر وطول التأمل.

الاّ أن هذا أدّى — أحيانا — الى الانتقال بالصورة من الوضوح الى الغموض والتعقيد المؤدي الى انغلاق المعاني وضبابية الرؤية. وصف ابن المعتز شجرة الكرم :

"الكرمةُ شجرةٌ مكرّمة شريفةُ العنصر، تزهو بورق يجلو البصر، كأنه السندسُ الأخضر، وتضحكُ عن ثمرٍ حلوِ المَخْبَر كأنه شمارِيخُ الجوهر، وكبائسُ الشَذَرِ المعنبر، استخرجتْه الأيامُ من الغمام، ونقلتْه الأزمانُ الى ضمائرِ الأغصان، فصارَ غذاءً يراه العيان، بعدَ أن كانَ هواءً لخفيَ المكان، ثم عادَ كماءِ الزعفران، وكعُصَارةِ المرجان، لطيفَ المنظرِ، جميلَ المُصور"(٢).

وقد يتجاوز خيال كتّاب القرن الثالث الهجري مساحة العالم وحدوده، الى آفاق الغيب وما وراء الطبيعة. نلمح ذلك في رسالة التوهم التي وضعها "المحاسبي"(٣)، وربما كانت أساسا لكل رحلات الخيال في الآخرة عند المسلمين، كما في "رسالة الغفران" لأبي العلاء

(١) المصون، ص ٢٢٦ — ٢٢٧.
(٢) فصول التماثيل في تباشير السرور، ص ٢٩.
(٣) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل، زاهد مشهور، وعالم من علماء الكلام، له كتب مصنفة في الزهد والاصول. كان أحمد بن حنبل يبغضه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه، وهجره فاستخفى المحاسبي من العامة، فلما مات لم يصل عليه الا نفر قليل. توفي سنة (٢٤٣هـ). الوفيات، جـ٢، ص٥٧ — ٥٨. أيضا سير اعلام النبلاء، جـ١٢، ص١١٠ — ١١٢. وشذرات الذهب، جـ٢، ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعـــرى . و "التوابع والزوابع" لابن شهيد ، مع اختلاف الهدف والبنـــاء في كـــل منهمـــا "(١) .

والرسالة وصف أدبيّ يعتمد على التخيل أو التصور والتوهم لسكرات الموت ، وعـــذاب القبـــر ، وبعث الرمم البالية من الأجداث ، وموقف الحساب الذى يقفه كل انسان أمام اللـــه ـ عزّ وجـل ـ وما يجده المحسن من نعيم وجنان ، وما يلاقيه المذنب من عذاب وسعيـــر ، وقد جاء كل ذلك بأسلوب قويّ مؤثر مشوق ومروع في آن معا ، مع الاستعانة بنصوص القـــرآن الكريم ، والحديث الشريف في تصوير هذه الرحلـــة (٢) .

ولم تتوقف القيم الفنية والجمالية عن النمو والتجدّد عند كتّاب هذا القرن ، لكن ذلـــك لا ينفي اعتماد الكتّاب على صور تقليدية مألوفة في بعض كتاباتهم ، يستعيرونها ويصوغونهـــا صياغة جديدة تكسبها عمقا وجمالا ، يجعلان المعنى الممثل أقرب للفهم ، وأكثر امتاعا للسامع .

وصف ابن المعتز تجديد الخلق بالحركة الخاصة في الكتاب ، الذي كلما ظهرت منـــه صورة طويت أخرى : "أملُ الدنيا كصورٍ في صحيفةٍ ، كلما نشرَ بعضُها طوى بعضها "(٣) . ومما جاء في الشعر في نحو هذا التشبيه على تفاوت الموازنة بينه وبين لفظ الشعر ، قول الراعـــي النميـــرى :

ما الدهرُ والناسُ الا مثـــل واردة
اذا مضى عَنَقٌ منها أتـــى عَنَـــقُ (٤)

الاّ أن كتّاب هذا القرن لم يوفقوا في كل صورهم ، فنرى في كتاباتهم ـ أحيانا ـ صـــورا يخونهم فيها الحس الجمالي ، كما في قول ابن المعتز يصف حمامـــا : ـ

(١) سبقنا الى هذا الرأى الاستاذ حسين القوّتلي في مقدمة كتاب العقل وفهم القرآن ، للحارث المحاسبي ، ط٢ ، ١٩٧٨ ، دار الكندى للطباعة والنشر والتوزيع ، ودار الفكر للطباعـــة والنشر والتوزيع ، ص ٢٠ .
(٢) كتاب التوهم ، الحارث بن أسد المحاسبي ، عني بنشره أ.ج آربرى ، مطبعة لجنة التأليـف والترجمة والنشر ، القاهـــرة ، ص ٦ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٤ .
(٣) خاص الخـــاص ، ص ١١ ، ١٠٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٧ . وردت في ديوان الراعي النميـــرى : ـ
ما الدهر والناس الا مثـــل واردة اذا مضى عنق منها أتى طبـــق
ديوان الراعي النميرى ، جمع وتحقيق راينهرت فايبرت ، ١٩٨٠م ، بيروت ، ص ١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"كأن رجليه خاضتا دماً ، أو شَرِبتا عندما ، وكأن عينيه جمرةٌ ، ورأسه زُبْدة ".(١) .

ان العيب في هذه الصورة يأتي من التنافر بين أجزائها ، فقد لفق ابن المعتز بين المحاسن والمساوئ .

ويمكن أن نعدّ من هذا القبيل وصف أبي العيناء لأنوف ولد موسى بن عيسى :

"كأن أنوفَهم قبورٌ نُصِبتْ على غيرِ القبلةِ ".(٢) . فالتشبيه وان كان في باب الذم والهجاء ، فان فيه بشاعة لا تخفى على المتأمل .

ومن قبيح الاستعارة قول سهل بن هارون في وصف القلم : "القلمُ أنفُ الضميرِ ، اذا رَعَفَ أعلن أسرارَه ، وأبانَ آثارَهُ ".(٣) .

وقد تصل المبالغة بالتشبيه أو الاستعارة حدّ التكلّف الذي يفقدها قيمتها وجمالها . سأل الجاحظ ورّاقا عن حاله فأجاب : "عيشي أضيقُ من محْبَرة ، وجسمي أدنَ من مِسْطَرة ، وجاهي أوهى من الزجاج ، وحظي أشدّ سواداً من العفْصِ اذا خُلِطَ بالزاج ، وسوءُ حالي ألزمُ لي من الصَمْغِ ".(٤) .

ومن المبالغة المنكرة في الصورة ، قول ابن المعتز : "حالي مرقعةٌ ، فان تحركتُ بها تمزقتُ ".(٥) .

ومن عيوب صورهم أيضا ، أنها قد تأتي جامدة قد فقدت الحيوية والنشاط والحركة . من ذلك ما كتبه ابن الحرون في أقلام بعث بها الى صديق له :

---

(١) ديوان المعاني ، جـ٢ ، ص ١٢٦ .
(٢) البصائر ، جـ٢ ، قسم الأول ، ص ٣٥ .
(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص ٣٣٠ . أيضا أدب الكتّاب ، جـ١ ، ص ٦٧ .
(٤) جمع الجواهر ، ص ١٤٢ .
(٥) خاص الخاص ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وهي كاللآلئ المكونة في الصَدَف ، والأنوار المحجوبة في السّدف ، تبرية القشور ، درّية الظهور ، فضية الكسور ، قد كستها الطبيعة جوهراً كالوشي المحبّر ، ورونقاً كالديباج المنير" (١) . فوصف ابن الحرون كما يتضح من هذه الصورة ، وصف شكلي لا يعنى الا بظاهر الشيء الموصوف "الأقلام" مما يضعف تأثير الصورة ويقلّل من فاعليتها في الفكر والعاطفة .

بقيت ثمة بضعة نماذج من الصور والأخيلة ، عند بعض كتّاب القرن الثالث الهجري ، التقريرية والتقليدية في مضمونها وبنائها البلاغي . فمن القديم في الصورة ما نجده عند أبي شراعة (٢) في وصف الخمرة ، وأثرها في النفس والجسد :

"وصلتْ اليّ ذاتُ الحسبِ العتيقِ ، والمنظرِ الأنيقِ ، فسرّتْ القلبَ ، وطردتْ الغمَ . . . . . لها نفحةُ المسكِ والكافور ، وتضوعِ العنبرِ والعبيرِ ، تدبُّ خلالَ ضلوعِ الفتى ، دبيبَ ريّا الروضة المنعمش" (٣) .

ومن الصور التقليدية أيضا قول محمد بن عروس (٤) الشيرازي الى ممدوحه :

"وما أنا ذا أيدك الله . . . ببغدادَ ، لولا رجاؤك كالطائرِ الواقعِ بعراءٍ بريّة ، حيث لا ماء فيه يرويه غيره" (٥) .

---

(١) أدب الكتاب ، جا ، ص ٧١ — ٧٢ .
(٢) أحمد بن محمد بن شراعة ، شاعر بصري من شعراء الدولة العباسية ، جيد الشعر جزله ، وكان فصيحا يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره . الاغاني ، ج٢٣ ، ص٢٢ .
(٣) قطب السرور في أوصاف الخمور ، الرقيق النديم ، تحقيق أحمد الجندي ، مجمع اللغة العربية : دمشق ، ص٣٧٦ — ٣٧٧ .
(٤) محمد بن عروس الشيرازي ، كاتب شاعر ، قال عنه ابن المعتز "وهو اليوم شاعر زمانه" ، توفي سنة (٢٨٠هـ) . طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، ص٤١٨ — ٤٢٠ . وفوات الوفيات ، ج٣ ، ص ٢٦١ .
(٥) طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، ص ٤١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزخرف اللفظي في نثر القرن الثالث الهجري : —

مذهب كتّاب القرن الثالث الهجري أقرب الى الاعتدال في استخدام المحسنات البديعية، فهم لا يسرفون في استخدامها ، وقد جروا في هذا المجال مع ما يتّفق وذوقهم الفني ، وطبيعتهم الأدبية ، ومقومات الكتابة في عصرهم . ومن أنواع البديع التي كان لها نصيب وافر عند كتّاب هذه الفترة "الطباق" . ويكون الطباق بين اسمين أو فعلين أو حرفين . فمن المطابقة بين اسمين ما كتبه أحمد بن[1] سليمان بن وهب لأخيه عبيد الله بن سليمان ، وقد سافر ولم يودعه: "أطالَ اللهُ بقاءَ الوزيرِ مُصْحِباً له السلامة الشاملة ، والغبطة المتكاملة ، والنعم المتظاهرة، والمواهب المتواترة ، في ظَعْنِهِ ومقامِهِ ، وحلّه وترحاله ، وحركتِهِ وسكونِهِ ، وليلِهِ ونهارِهِ"[2].

ومن الطباق بين فعلين ما جاء في وصف القلم لابن المعتز:

"والقلمُ مُجهزٌ لجيوش الكلامِ ، يَخْدُمُ الارادةَ ، ولا يملّ الاستزادة ، ويسكتُ واقفاً ، وينطقُ سائراً"[3]. فقد طابق ابن المعتز بين الفعلين "سكت ، وينطق" اضافة الى المطابقة بين "واقفا ، وسائرا" وهو طباق غير متكلف ، تغلب عليه الخفة والبراعة ، وفيه استعارة .

وقد يخرج الطباق في بعض النصوص الى ما يمكن أن يسمى "بالمقابلة" ، حيث يأتي الكاتب بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابل على الترتيب. كتب الجاحظ الى ابن الزيات يقول : "انّ شَيْنَ غَضَبِكَ عليّ ، كزين صفحك عني ، وانّ موتَ ذكري مع انقطاعِ سببي منك، كحياةِ ذكرك مع اتصالِ سببي بك"[4].

---

(١) أحمد بن سليمان بن وهب ، كاتب بارع ، وشاعر مجيد ، تقلد أعمالا كثيرة ، أهمها جباية الأموال ، وله من المصنفات كتاب ديوان شعره ، وكتاب ديوان رسائله . توفي سنة (٢٨٥هـ) . معجم الادباء ، جـ٣ ، ص ٥٤ — ٦٣ . والأعلام ، الزركلي ، جـ ١ ، ص ١٣٢ .

(٢) زهر الآداب ، جـ١ ، ص ٥١٧ . ومعجم الأدباء ، جـ٣ ، ص ٦١ .

(٣) تقييد العلم ، ص ١٢٠ . وزهر الآداب ، جـ١ ، ص ٤٧٩ .

(٤) زهر الآداب ، جـ١ ، ص ٥٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالجاحظ أتى بأشياء في كلامه ، ثم أتى بأضدادها على الترتيب ، بحيث يقابل "الشين" الزين " ، "والغضب ، الصفح " و "الموت ، الحياة " . . . وثمة نماذج عديدة من هذا الطباق في نثر القرن الثالث الهجري . من ذلك ما كتبه ابن طيفور في ذم ابن ثوابة ، الذي يرى أن "الجنة خُلقت لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه . . . فلا يعذبُ اللهُ العبادَ الا على معصيتِهِ ، ولا يثيبهم الا على طاعتِهِ . . . يحسبُ الجودَ ذُلاً ، والبخلَ عزّاً . . . وان ما نهى اللهُ عنه من قبيح ، فهو الجميلُ الذي أمر به " .(١)

فالطباق والمقابلة يضيفان على الكلام رونقا وجمالا ويزيدانه وضوحا ، ويقويان الانفعال ، ويبعثان الحركة والحيوية في النص الذي يحتويهما .

أما "الجناس" الذي هو تشابه اللفظين في الأصوات أو الحروف واختلافهما في المعنى ، فقد جاء عند كتّاب القرن الثالث الهجري بنوعيه التام والناقص . تظلم رجل الى المأمون من عامل له فقال : "يا أميرَ المؤمنين ، ما تركَ لي فضةً الا فضّها ، ولا ذهباً الا ذَهَبَ به ، ولا غِلّة الا غلّها ، ولا ضيعةً الا أضاعها ، ولا عِلقاً الا علِقَه ، ولا عِرْضا الا عَرَضَ له ، ولا ماشية الا امتشها ، ولا جليلاً الا أجلاه ، ولا دقيقاً الا أدقه " . فأعجب المأمون بحسن كلامه وقضى حاجته .(٢)

ومنه أيضا هذه اللفظة الوجيزة لحنين(٣) بن اسحاق ، وقد جمع فيها بين التجنيس والطباق ، مع حسن المعنى وجودته : "قليلُ الراحِ صديقُ الروح ، وكثيرُهُ عدوّ الجسم" .(٤)

فالجناس يعطي العبارات والجمل نغما مؤثرا ، مما يخدم المعنى المقصود ويبرزه في معرض من الاتساق والجمال والرقة . فالمحسنات البديعية كانت تقع في نثر كتّاب هذا القرن وعباراتهم توخيا لأمور فنية أسلوبية يقتضيها المقام .

(١) اختيار المنظور والمنثور ، القصائد المفردات ، ص ١٩ .
(٢) زهر الآداب ، جـ٢ ، ص ٥٦٤ .
(٣) حنين بن اسحاق العبادي ، كان بارعا في صناعة الطب ، فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية ، عرب كتاب اقليدس وله تصانيف عدة ، توفي سنة (٢٦٠هـ) ، انظر سير أعلام النبلاء ، جـ١٢ ، ص ٤٩٢ . والفهرست ، ص ٣٥٢ .
(٤) خاص الخاص ، ص ٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسجع حلية بديعية أخرى جاءت في موضعها عفو الخاطر ، دون تكلّف ولا اجتلاب خلافا لما عهدناه عند كتاب القرن الرابع الهجري ، وما اعتور أساليبهم المسجوعة من تكلف واعتساف أفسد هذا الفن البديعي . وكان سجع كتّاب هذا العصر قصير الفقرات ، أقرب الى الفواصل ذات النغم الخفيف العذب ، والجمل السريعة التنقل . كتب الحسن بن وهب الى المتوكل في يوم نيروز: "أسعدَكَ اللهُ يا أميرَ المؤمنين بكرِ الدهورِ ، وتكاملِ السرورِ ، وبارِكَ لك في اقبالِ الزمان ، وبسطَ بيمنِ خلافتِكَ الآمال ، وخصكَ بالمزيد ، وأبهجَكَ بكلِ عيد ، وشدّ بك آزرَ التوحيد ، ووصلَ لك بشاشةَ الربيعِ المونق ، بطيبِ أيامِ الخريفِ المُغدقِ "(١) .

ويظهر في هذا النص أن التنويع في فواصل السجع ، والتنقل بالقارئ من وزن الى وزن ، ومن نغم الى نغم ، قد أضفى على الأسلوب نغمة زائدة في بنائه الموسيقي ، وكثيرا من الجمال والرقة والوضوح .

ومما يزيد في جمال السجع أن تنضم اليه حلية بديعية أخرى ترفع من شأنه ، كالجناس مثلا . كتب أبو علي البصير في الهجاء : "عدوك منعزلٌ عنك ، وصديقُكَ على وَجَلٍ منك ، ان شاهدتَه عاقّك ، وان غبتَ عنه حاقّك ، تسأله فوقَ الطاقةِ ، وترهقه عندَ الفاقةِ ، .... والناسُ منك بين أسرارٍ تفشى ، وبوائقَ تُخشى "(٢) .

وعلى الرغم من أن السجع جاء في أغلب نصوص هذا القرن مسايرا للطبع والذوق ، فاننا لا نعدم بعض النماذج التي احتوت سجعا متكلفا رديئا يجافي الطبع ، ويثقل على اللسان والسمع . ولعل هذا اللون من السجع هو الذي أنكره أحمد بن أبي طاهر على أبي العيناء في قوله:

سَجْعُ أبي العيناءِ من رَجْعِهِ
فلعنةُ اللهِ على سَجْعِهِ

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ٢٣٩ .
(٢) صبح الاعشى ، ج ٩ ، ص ٢١٧ — ٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنَ من يسمع ألفاظَـــــــهُ
يقـــذفُ ضمَّ الصخرِ في سَمْعِـــهِ (١)

وقد اختلط الازدواج بالسجع في كثير من المواضع ، وجاء غاية في اليسر والتدفق واللطف كتب ابن المعتز في الصداقة : "لا يزالُ الاخوانُ يسافرونَ في المودةِ ، حتى يبلغوا الشقَّـــة ، فاذا بلغوها ألقوا عصا التَّسْيار ، واطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفودُ النصائحِ وأُمِنَتْ خبايـــا الضمائرِ ، فحلّوا عُقَدَ التحفظِ ، ونزعوا ملابسَ التَخَلـــــقِ ." (٢) .

وليس ابن المعتز وحيد عصره في هذا المنحى ، فهناك عدد من كتّاب القرن الثالـــث الهجري مالوا الى استخدام الأسلوب المزدوج ذي السجع الرشيق ، كسعيد بن حميد ، وأبـــي علي البصيـــــر .

ومن صور البديع التي شاعت في نثر هذا القرن شيوعا ظاهرا التضمين ، وهو أن يضمـــن الكاتب نثره بعض ألفاظ القرآن والحديث والشعر والأمثال والاقوال المأثورة . وهـــذا الفـــن يدل على سعة ثقافة الكاتب في هذا القرن ، وتعدد مصادر المعرفة عنـــده .

وقد اهتم الكتّاب اهتماما كبيرا بالقرآن الكريم ، وكان موضع عنايتهم ، فأخذوا ينهلـــون من معانيه ويقتبسون من ألفاظه لنثرهم . قال سعيد بن حميد : "اذا نزعتُ في كتابي بآيةٍ مـــن كتابِ اللهِ تعالى ، أنرتُ اظلامه ، وزينتُ أحكامَهُ ، وأعذبتُ كلامَـــــه ." (٣) .

وقد تنوعت الطريقة المستخدمة في الاستشهاد بالقرآن ، فكثيرا ما يمهد الكاتب لقولـــه عزّ وجـل بعبارات تدل على ذلك . وقد تدرج الآيات في ثنايا الكلام ، دون النص على ذكرهـــا بحيث تأتي متممة للحديث وكأنها جزء من الكلام . كتب عنبسة بن اسحاق الى المأمون يصـــف

---

(١) نور القبـــــس ، ص ١٧٣ .
(٢) زهـــر الآداب ، جـ١ ، ص ٢٢٥ .
(٣) المصدر السابـــق ، جـ٤ ، ص ١١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خروج الأعراب بناحية سنجار، وعبثهم بهـــا :

"يا أميرَ المؤمنين ، قد قطعَ سُبلَ المجتازين عن المسلمينَ والمعاهدين ، نفرٌ مـــن شذّاذِ الاعرابِ الذين لا يرقبونَ في مؤمنٍ الاّ ولا ذمـــة ." (١) .

ففي النص السابق تضمين لبعض ألفاظ الآية الكريمـــة : "لا يرقبون في مؤمن الاّ ولا ذمّة وأولئك هم المعتـــدون ." (٢) .

وكتب الجاحظ في العتاب : "أما بعد ، فما أقبحَ الأحدوثةَ من مستمنحٍ حَرَمْتَهُ ، وطالـــبِ حاجةٍ رددتَهُ ، ومثابرٍ حجبتَه ، ومنبسطٍ اليكَ قبضَتَهُ ، ومقبلٍ اليك بعِنانه لويتَ عنه ، فتثبتْ فـــي ذلك ولا تُطِعْ كلَّ حلاّفٍ مهين ، همّازٍ مشّاءٍ بنمـــيم ." (٣)

وقد يعمد الكاتب الى ضمّ غير ما آية بعضها الى بعض، بحيث تبدو وحدة واحدة منسجمة في معناها وتركيبها . فمن رسالة لأحمد بن ثوابة يصف فيها حوارا دار بينه وبين رجل أحضره ليعلمه الهندسة : "فعلّمَ أفدنا شيئاً منها ، عسى أن يكونَ عوناً لنا على دينٍ أو دنيا ، فـــي مروءةٍ ومفاخرةٍ لدى الأكفاء ، ومفيداً زهداً ونكا فذلك هو الفوزُ العظيم ، فمن زُحْزِحَ عن النـــارِ وأُدخِلَ الجنةَ فقد فازَ ، وما ذلك على اللهِ بعزيـــــز ." (٤) .

ومما جاء من نثرهم وقد ضمن ألفاظ الحديث ومعناه رسالة من ابراهيم بن المهـــــدى الى صديق يدعوه الى المزاسلة وتجديد الوصل ، ضمنا قوله عليه الصلاة والسلام : "التواصـــلُ بينَ الناسِ في الحضرِ التزاور ، وفي السفرِ التكاتـــــب ." (٥) .

---

(١) زهر الآداب ، جـ٤ ، ص ١١٤٧ ــ ١١٤٨ .
(٢) سورة التوبـــة ، آيـــة : ١٠ .
(٣) العقد ، جـ٤ ، ص ٢٩٣ . والقول السابق مأخوذ من سورة القلم ، الآيـــة : ١٠ .
(٤) معجم الأدباء ، جـ ٤ ، ص ١٦٥ . استمد الكاتب بعض ألفاظه من سورة غافر آيـــة : ٩ ، وآل عمران آية : ١٨٥ ، وابراهيم : آيـــة : ٢٠ .
(٥) أشعار أولاد الخلفـــاء ، ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تضمين المثل ما جاء في قول أبي العيناء في رجلين فسد ما بينهما :

"تنازعا ثوبَ العقوقِ حتى صدعاه ، صدعَ الزجاجةِ مالها من جابرٍ "(١) ، وصدع الزجاجة يضرب مثلا لما لا يجبر ولا يلتئم .

وقد مال الكتّاب أيضا الى تضمين الأمثال المولدة . فمن هذه الأمثال "زمن البرامكة" ويضرب مثلا لكل شيء حسن . قال الجماز: "أيامنا كأنها زمنُ البرامكةِ على العُفاةِ "(٢) .

وكتب ابن المعتز الى صديق له عاتبه على تأخر رسوله عليه :

"أما ما ذكرتَ من تأخرِ رسولي عنكَ للسؤالِ عن خَبرِكِ في هذه الأيام ، والتفقدِ لك، فاني رأيتك قلبتَ قولَ القائلِ : خُذِ اللصَ من قَبلِ أنْ يأخذَكَ "(٣) . فقولهم "خذ اللص من قبل أن يأخذك" ، مثل شعبي استطاع ابن المعتز أن يدخله في مضمون عبارته ببراعة واتقان.

ولم يكتف كتّاب هذا القرن بالاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وتضمين الأمثال ، وانما تعدّوا ذلك الى ايراد كثير من الشعر العربي ، والحكم والأقوال المأثورة التي تأتي في موضعها دون افراط أو تعمد "فالبديع اذا تطلبه الموقف من أصول البلاغة، وهو حسن ذاتي لا عرضي ولا تابع "(٤) .

ان لكتّاب القرن الثالث الهجري صورا أخرى لصنعة النثر وفنّه من اعتراض، وصحة تقسيم، وانسجام ومساواة ، واستطراد ، وسوى ذلك من ألوان التفنّن والصنعة التي لا غنى للكلام الفني عنها .

---

(١) البصائر، جـ٣ ، القسم الأول ، ص ٨١ .
(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٢٠٢ . وردت في جمع الجواهر بقوله : "جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العفاة" ، ص ٢٨٧ .
(٣) الديارات ، ص ٧٤ .
(٤) دراسات في البلاغة ، د . محمد بركات أبو علي ، ط١ ، ١٩٨٤م ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــــــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــة :ـ

ظهر من خلال الدراسة أن التطورات الجديدة التي شهدها النثر العراقي في القـــرن الثالث الهجري ، بما فيها من جديد لم يعرف من قبل ، انما كانت بفعل تغيّرات كثـــــيرة حضارية ، وثقافية ، واجتماعية ، أثرت على المجتمع العراقي في القرن الثالث الهجري ، واستجاب النثر لمقتضياتها ، فتنوعت نصوصه ، واختلفت صيغها باختلاف طبيعتها . وقد انعكست علـــى نصوص هذا النثر آثار الازدهار الحضاري ، وتجلت هذه الآثار بخاصة في جنوحه الى عمـــق المعاني ، ورقّة المباني ، والبعد عن الغموض والتكلّف والتعقيـــــد .

وقد توسّع النثر في هذا القرن الى حدّ كبير في موضوعاته ، ودخل مجالات التعبـــير الوجداني الذي ظلّ مدة طويلة وقفا على الشعر وحده ، فاستطاع أن يغدو قادرا على التعبير عن كل مشاغل النفس البشرية ، من غزل ، ومديح ، وهجاء ، ووصف . . وقد يعزى هذا التطـور الى ثقافة الكتّاب الواسعة التي أمدّتهم بطاقة فكرية قوية ، اضافة الى أن معظم كتّاب هـــذا القرن قد جمعوا بين فنّي الأدب، النثر والشعر ، في آن واحـــــد .

كما أن النثر صوّر الحياة العامة : سياسية ، واجتماعية ، وعقلية ، وثقافية من خـــلال موضوعاته المختلفة ، وهي موضوعات لم تسبق معالجتها بهذه السعة في النثر العربي مـــن قبل . واغتنت هذه الموضوعات بألفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم ، وبالألفاظ والتشبيهـــات المنتزعة من حياة الكتاب ، وبما كانوا قد استمدوه من كلم القرآن والحديث الشريف ومأثـــور الأقـــــوال .

وأما من ناحية الصورة فقد مالوا الى اقتناص الصور البلاغية والأخيلة المبتدعة ، واعتمـــدوا على الاستعارة والتشبيه لاشاعة الحياة والحسّ والحركة في صورهـــــم .

كما توصّلت الدراسة الى أن الكتّاب جميعا كانوا يعمدون الى الصنعة الفنية ، وان اختلفوا في نوع هذه الصنعة ودرجتهـــــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما لاحظناه في هذا القرن أيضا ، ظهور بعض الكتّاب الذين اضطلعوا بدور كبير في ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية ، ذلك أنهم كان منهم الوزراء والقواد وأصحاب الدواوين ، والمستشارون ذو الكلمة المسموعة في كثير من الأحيان .

وبعد : فقد بذلت ما أستطيع ولم أدّخر وسعا في التدقيق والبحث والتنقيب ، فأسأل المولى القدير أن يكون لي عونا فيما أقدمت عليه ، انّه نعم المولى ونعم النّصير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــرس الأشعـــــــــار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الأشعـــــار

حـــرف الهمـــزة

الشعـــــر	البحـــــر	الصفحـــــة
الـــــداء	البسيـــــط	١٦٦

حـــرف البـــاء

كتبـــــك	المنســـــرح	٣٩
الآداب	الكامـــــل	هامش ٧٧
كـــاذب	السريـــــع	٨٢
الكتّـــاب	الكامـــــل	هامش ٨٧
جنـــدب	الكامـــــل	١٠٢
كتابـــــه	الرجـــــز	١١٣
بهـــــا	المتقـــــارب	١١٦
الحبيـــب	الخفيـــــف	١٣١

حـــرف التـــاء

مهجّـــرات	السريـــــع	٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرف الدال

الشعر	البحر	الصفحة
رقدوا	البسيط	١٤
تردّدا	الطويل	٩٩
خالد	المتقارب	١٢٥

حرف الراء

صريرها	الطويل	٢١
الافتخار	الخفيف	١١٠
استدارا	المتقارب	١١٥

حرف العين

المتتابع	الطويل	٢٨
متسع	المنسرح	٩٣
سجعه	السريع	١٥٣

حرف الفاء

مدنف	الطويل	١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	البحـــــر	الصفحـــة
شقائـــــق		١١٥
عنـــــق	البسيـــط	١٤٨
	حـــرف الكـــاف	
الأملاكـــا	الخفيـــف	٣٨
	حـــرف الـــلام	
مظـــلل	الطويـــل	١٩
الرسائـــل	الطويـــل	٧٥
لـــه	الرمـــل	٨٦
الزلـــل	البسيـــط	٩٢
محـــالا	الكامـــل	١٠٤
وكمال	الكامل	٦٨
	حـــرف المـــيم	
عزائمـــه	الطويـــل	٣٢
الافهـــام	الكامـــل	٨٢
الامـــام	الخفيـــف	١١٤
الدما	الطويل	٦٦
	حـــرف اليـــاء	
داميـــة	المتقـــارب	٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــــرس الاعـــــــــلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــرس الأعـــــلام

حـــرف الألـــــف

— ابراهيم بن ريـــــاح : ٩١ ٠

— ابراهيم بن العبـــاس: ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٩٣ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ٠

— ابراهيم بن المدبـــــر: ٢٦ ، ٣٨ ، ٧٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٤٦ ،

— ابراهيم بن ممشـــــاذ : ١٢٤ ٠

— ابراهيم بن المهـــــدى : ٧ ، ١٢ ، ٤٢ ، ١٥٥ ٠

— احمـــد بن اسرائيـــل: ٧١ ، ٨١ ، ٩١ ٠

— أحمد بن ثوابـــــــة: ٥٣ ، ١٠٦ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ٠

— أحمـــد بن خالـــــد : ٨٩ ٠

— أحمد بن الخصيـــــب: ٤٠ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ٠

— أحمـــد بن أبـــــي دؤاد: ٣٣ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٤٠ ٠

— أحمد بن سعيد الدمشقـــي : ١١١ ٠

— أحمد بن سليمـــــان : ١٥١ ٠

— أحمـــد بن طولـــــون: ٨٣ ٠

— أحمد بن الطيب السرخســـي : ٧٣ ٠

— أحمـــد بن عمـــــار : ٨٨ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحمد بن محمد بن شراعـــة: ٤٢ ، ١٥٠ .

أحمد بن محمد بن الفـــرات: ٨٧ ، ٨٨ .

أحمـد بن يوســـــف: ٣٦.

أرخميـــــــدس: ١٨.

أرسطـــــــو: ١٨ ، ١٢٤ .

اسحـاق بن ابراهيـــم: ١٢ ، ٣٢ .

اسحـاق بن سعـــــد: ٩٤ .

اسحـاق الموصلـــي: ١٢ ، ٢٧ ، ٤٥ ، ١٢٩ ، ١٤٣ .

اسماعيـل بن بلبـــل: ١٠٤ ، ١٢٤ ، ١٣١ .

الأعشـــــى: ٩٩ ، ١١٦ .

أفلاطـــــون: ١٨.

اقليـــــدس: ١٨.

الأمـــين: ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ .

ابن الأنبـــــارى: ١١١ .

ايتـــــاخ: ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف البـــــاء

- بابـــــــك: ٧ ، ٤٢ .
- البحـــــــترى : ١١ ، ٥٣ .
- البخـــــــارى : ١٧ .
- بشـــر المريـــــــسي : ٦٤ .
- البـــــــــلاذرى : ١٧ .
- بـــــــــوران : ١١ ، ٤٢ .

حـــرف التّـــــاء

- الترمـــــــذى : ١٧ .
- أبو تمـــــــام : ٧٥ ، ١٢٣ ، ١٢٨ .

حـــــرف الثّـــــاء

- ثابـت بـــن قـــــرّة : ١٨ .
- ثعلـــــــب : ١٧ ، ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف الجـــــيم

- جابـر الجعفـــــي : ١٣٧ ٠
- الجاحـــــظ : ١٥ ، ١٧ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ٠
- جالينـــــوس: ١٨ ٠
- جعفر بن عبد الغفـــار: ٨٣ ٠
- جعفر بن مبشر الثقفـــي : ٤٢ ٠
- الجمـــــاز : ١٥٦ ٠

حـــرف الحـــاء

- أم حبيبـــــة : ٦ ٠
- الحرّانـــــي : ١٠٦ ٠
- ابن الحـــرّون : ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ٠
- الحسن بن رجـــاء: ١٠٦ ٠
- الحسن بن سهـــل: ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٣٢ ٠
- الحسن بن عليل العنـــزي: ١١١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— الحسن بن عيسى : ٨١ .
— الحسن بن وهب: ٢٠، ٣٨، ٨٨، ٩١، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٠، ١٥٣.
— الحصين بن الحمام: ٦٦.
— ابن حمدون : ١٤٣ .
— حنين بن اسحاق : ١٨، ١٥٢ .
— الحسين بن زكرويه: ٧٣ .
— الحسين بن الضحاك: ٦٦ .

حرف الخاء

— الخليل بن أحمد : ١٣٥ .
— الخوارزمي : ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف الـــدال

- داود بن محمـد الطوســـي : ٤٦ ، ٤٧ .
- دريـــــرة : ٨٩ .
- دعبـل الخزاعـــي : ١٤ ، ٧٥ .
- ابن دنقـــش : ٨٧ .
- الدينـــوري : ١٧ .

حـــرف الـــراء

- الراعـــي النميـــري : ١٤٨ .
- ابن الراوندي : ٦٧ .
- الرشيد : ٤٧ ، ٩٢ .
- ابن الرومـــي : ٧٥ ، ١٢٥ .

حـــرف الزيـــن

- الزبيـــر بن بكـــار : ٥٨ .
- زكريـــا بن يحـــى : ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف السيـــــن

— سعـــدان بن يحيـــــى : ٨٧ .

— سعيد بن حميـــــد : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٧ ، ١٠٦ ، ١٣٣ ، ١٥٤ .

— ابن السكيـــــت : ٦٥ ، ٦٧ .

— سقـــــراط : ١٨ .

— سليمان بن علـــــي : ٨٨ .

— سليمان بن عمـــــران : ٨٤ .

— سليمان بن وهـــــب: ٢٠ ، ٢٣ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢٣ .

— سهل بن بركـــــة : ٨٢ .

— سهل بن هـــــارون: ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٤٩ .

حـــرف الشـــين

— شاريـــــة: ١٣ .

— ابن شهيـــــد : ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف الصـــاد

— صالـح بن وصيـــــف : ٩٢ .

حـــرف الطـــاء

— طاهـر بن الحسيـــــن: ٣١ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٨٩ ، ١٤٠ .
— الطـــــبرى : ١٧ .
— ابن طيفـــــور: ١٧ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

حـــرف العـــين

— عامـــر الشعبـــــي : ١٣٧ .
— عبـــادة المخنـــــث: ١٣٦ .
— العباس بن الحســـــن: ١٤٣ ، ١٤٥ .
— العباس بن الحسن الوزيـر: ٧٣ .
— عبد الحميد الكاتـــــب: ١٠٥ .
— عبد العزيز المكـــــي : ٦٤ .
— عبد الله بن أحمـــــد : ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد الله بن طاهـــــر: ٢٤، ٢٨، ٣٥، ٣٩، ٤٨، ٥٦، ١٣٤ .
- عبد الله بن عبـــــده : ٨٤.
- عبد الله بن علـــــي : ٨٨.
- عبد الله بن محمد بن يزداد : ٧١.
- أبوعبد الله بن المرزبـــــان: ١٠٢.
- عبـــد الله بن منصـــــور: ١٠٣.
- عبد الله بن موسى بن جعفـــر: ٣٣.
- عبيد الله بن سليمـــــان: ٥٥، ١٠٤، ١٤٤، ١٥١ .
- عبيد الله بن يحيى بن خاقـــان: ٨١ .
- أبـــو العبـــــر : ١٣٨.
- العتابـــــي : ٤٧، ١٢١، ١٢٩، ١٤٦ .
- أبو العتاهيـــــة : ٦٦ .
- عريـــــب : ١٣، ٢٦، ٤٠، ١٣٠، ١٤٦.
- أبوعلي البصيـــــر: ١٥٣، ١٥٤ .
- أبوعلّي الجبائـــــي : ٦٣.
- علـي بن الجهـــــم: ٥٦.
- أبوعلّي الخاقانـــــي : ٧٩ .
- علّي بـــن عبيـــــدة: ١٤١.
- علّي بن عيســـــى : ٧٢، ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— علي بن محمد بن الفـــرات: ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٩ .
— علي بن موسى (المعروف بعلي الرضا) : ٠٦
— علي بن هشـــــام : ١٠٦ .
— علي بن يحيى المنجـــم: ١٣٣ ، ١٤٣ .
— عمر بن الفرج الرخجـــي : ٩٠ .
— عمر بن الفرخـــــان: ١٣٥ .
— عمر بن مطـــــرف : ٨٤ .
— عمرو بن مسعـــــدة: ٨١ .
— أبو العنبـــــس: ١٣٨ .
— عنبسة بن اسحـــاق: ١٥٤ .
— عيسى بن ابراهيـــم: ٨٢ ، ٨٣ .
— عيسى بن فرخان شـــاه: ١٠٦ .
— عيسى بن يزدانيـــروذ : ٨٦ .
— أبو العينـــــاء: ٢٥ ، ٤٢ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ،
١٥٣ ، ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف الفـــاء

- الفتح بن خاقـــــان : ١٢٤ .
- الفـــــراء : ١٧ .
- فضل جاريـة المتوكـــل : ١٣ .
- الفضل بن الحباب الجمحـــي : ٥٠ .
- الفضل بن سهـــــل : ٦ ، ٧ ، ٨٨ .
- الفضل بن مـــروان : ٨٤ ، ٩٠ ، ٩١ .

حـــرف القـــاف

- القاسم بن عبيد اللـــه : ٧٣ ، ٩٣ .
- ابن قتيبـــة : ١٧ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩١ ، ١٢٦ .
- قدامة بن زيـــاد : ٨٣ .
- القشيـــرى : ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف الكـــــاف

— الكـــــدى : ٢٩ ، ١٣٤ .

حـــرف الميـــــم

— ابن ماجـــــة: ١٧ .

— المازنـــــي : ٤٦ ، ٦٤ ، ٦٥ .

— المأمـــــون: ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ .

— المبـــــرد : ١٧ ، ٣٨ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

— المتوكـــــل : ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٥٣ .

— مجنون ليلـــــى : ١٣٧ .

— المحاسبـــــي : ١٤٧ .

— محمد بن الجهـــــم: ١٠٦ .

— محمد بن داود بن الجراح : ٨٠ .

— محمد بن سليمـــــان: ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— محمد بن سماعـــــة: ٨٥ ·

— محمد بن طاهـــــر: ١٠٦ ·

— محمد بن عبد الملك الزيـات: ٢٣، ٣٩، ٤٦، ٥٥، ٥٦، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٣٤، ١٥١ ·

— محمد بن عبد الملك بن صالـح: ٥٠ ·

— محمد بن عـــــروس: ١٥٠ ·

— محمد بن عمران بن زياد الضبـي: ١١١ ·

— محمد بن غالب الاصبهاني: ٩٣ ·

— محمد بن القاسم النوشجانـي: ٦٨ ·

— محمد بن مكرم: ١٠٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١٣٠، ١٤٤ ·

— محمد بن يـــزداد: ٢١، ٢٤، ٥٥ ·

— محمد بن يوسف القاضـــي: ٧٢، ٩٠ ·

— محمد بن عبيرة الأســـدى: ١١١ ·

— محمـــود الوراق: ٣٨ ·

— مخـــــارق: ٦٦ ·

— المستعـــــين: ٨ ·

— أم المستعـــــين: ١٢ ·

— مسلـــــم: ١٧ ·

— معبـــــد: ١٣٣ ·

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المعتز : ٨ ، ١١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٩٢ ، ٩٤ .
- ابن المعتز: ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ١٩ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ .
- المعتصم: ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ٤٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٤٠ .
- المعتضد : ١٠ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٨٩ ، ١١٤ .
- المعتمد : ٩ ، ١٦ ، ٨١ .
- المعرى: ١٤٧ .
- المعلى بن أيوب : ٧٢ .
- معمر بن المثنى : ٨٥ .
- ابن المغازلي المضحك: ١٣٧ .
- المقتدر: ٧٢ ، ٨٣ ، ١١١ .
- ابن المقفع : ٩٦ ، ١٠٠ .
- المكتفي : ١٠ ، ٧٣ ، ٩٣ .
- المنتصر: ٨ ، ٤٢ ، ٨٠ .
- المنصور: ٨٨ .
- المهتدى: ٨ ، ٩ ، ٨٠ .
- المهدى: ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— موسى بن بغـــا : ٨٠
— الموفـــق : ٨١، ٩٠
— المؤيـــد : ٤٢٠
— ميمون بن ابراهـــيم : ٨٩٠

حـــرف النـــون

— نجـــاح بن سلمـــة: ٩٠، ٩١، ٩٤٠
— نصر بن شبـــث: ١٤٠
— نطاحـــة : ١٢٦٠
— النظـــام: ١٣٣، ١٣٥، ١٤١، ١٤٢٠
— أبو نـــواس: ٦٦، ١١٤، ١١٥، ١١٦٠

حـــرف الهـــاء

— أبو هذيل : ٦٢، ٦٤، ٧٠٠
— أبو عفـــان: ٧٨، ١٠٣، ١٠٩، ١٣٠، ١٤٥٠
— الهيثم بن خالـــد : ٨٣٠
— الهيثم بن عـــدى: ١٢٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف الـــــواو

- الواثـــــــق : ٨ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
٨٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .

حـــرف اليـــــاء

- يحيى بن خالد : ١٢٩ .
- يحيى بن عبد الرحمن : ٨١ .
- يحيى بن ماسويه : ١٨ .
- اليعقوبي : ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر

- ابن أبي اصيبعة ، أحمد بن القاسم بن خليفة :
عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، ١٩٦٥، دار مكتبة الحياة ، بيروت.

- ابن أبي الحديد ، ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ) :
شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٦١م ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

- ابن الأبار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ) :
اعتاب الكتاب، تحقيق د. صالح الأشتر ، ط ١ ، ١٩٦١م ، المطبعة الهاشمية .

- الأبشيهي ، شهاب الدين ابو الفتح محمد بن احمد المحلي (ت ٨٥٢هـ) :-
المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق د. مفيد محمد قميحة ، ط ٢ ، ١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- ابن الأثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ) :-
الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق، ط ١، ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

- الأزدي ، ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم :-
تاريخ الموصل ، تحقيق د. علي حبيبة ، ١٩٦٧م ، مؤسسة دار التحرير للطباعة والنشر ، القاهرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الاصطخـــرى ، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي : المسالك والممالك ، سلسلة تراثنا ، ١٩٦١م ، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية المصرية ، دار القلم ، القاهـــــرة .

- الأعشـــــى :
الديوان ، شرح وتعليق د . محمد محمد حسين ، ط٧ ، ١٩٨٣م ، مؤسســـــة الرسالـة ، بـــــيروت .

- البحـتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيـــــد (ت ٢٨٤هـ) :
الديـوان ، تحقيـق د . حسن كامل الصيرفـي ، ١٩٦٤م ، دار المعـــارف مصـــــر .

- برهان الدين الكتبـي (أبو اسحـــــاق) :
غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحـــة ، دار صعب ، بـــيروت ، (دون تاريـــــخ) .

- البغـــدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني (ت ٤٢٩هـ) :
الفرق بين الفرق ، ط١ ، ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت .

- بيدبـا ، ترجمـة ابن المقفـــع (ت ١٤٢) :
كليلـة ودمنـــة ، د . ت ، ط ١٥ ، ١٩٣١م ، المطبعة الأميرية ، القاهـرة .

- البيهقـــي ، ابراهـيم بن محمـــــد (ت ٣٢٠هـ) :
المحاسن والمساوئ ، ١٩٦٠م ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشـــــر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تأبط شرّا :
الديوان ، تحقيق علي ذو الفقار شاكر ، ط١ ، ١٩٨٤م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

- ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط١ ، ١٩٣٠م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) :
الديوان ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط٢ ، ١٩٧٠م ، ط ٤ ، ١٩٧٦م ، دار المعارف ، مصر .

- التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ) :
- المستجاد من فعلات الأجواد ، تحقيق محمد كرد علي ، ١٩٧٠م .
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، ١٩٧١م ، دار صادر ، بيروت .

- التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ) :
- البصائر والذخائر ، تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، ١٩٦٤م ، مطبعة الانشاء ، دمشق .
- ثلاث رسائل للتوحيدي ، تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، ١٩٥١م ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .
- الصداقة والصديق ، شرح وتحقيق علي متولي صلاح ، ١٩٧٢م ، مكتبة الآداب ومطبعتها القاهرة ، والمطبعة النموذجية ، الحلمية .
- مثالب الوزيرين ، تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، ١٩٦١م ، دار الفكر ، دمشق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ) :
  - تحفة الوزراء ، تحقيق حبيب علي الراوي ، والدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، ١٩٧٧م ، مطبعة العاني ، بغداد .
  - التمثيل والمحاضرة ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ١٩٦١م ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .
  - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٨٥م ، دار المعارف ، القاهرة .
  - خاص الخاص ، قدم له حسن الأمين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت . (دون تاريخ) .
  - من غاب عنه المطرب ، تحقيق عبد المعين الملّوحي ، ط١ ، ١٩٨٧م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق .

- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) :
  - البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، ١٩٦٣م ، دار المعارف ، القاهرة .
  - البلدان ، تحقيق ، د . صالح أحمد العلي ، ١٩٧٠م ، مطبعة الحكومة ـ بغداد .
  - البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٤ ، دار الفكر ، بيروت ، (دون تاريخ) .
  - التاج في أخلاق الملوك ، ١٩٥٥م ، ط١ ، ١٩٣٨م ، دار الفكر ، بيروت ، ودار البحار ، بيروت .
  - الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط١ ، ١٩٣٨م ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر .
  - رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٦٤م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المحاسن والأضداد (منسوب) قدم له وراجعه د. عاصم عيتاني، ط١، ١٩٨٦م، دار احياء العلوم، بيروت.

- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسّان الأندلسي (ت ٣٧٧):
طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، ١٩٥٥م، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة.

- الجهشياري، أبوعبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ):
الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ط١، ١٩٣٨م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.

- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن البغدادي (ت ٥٩٧هـ):
أخبار الظراف والمتماجنين، تحقيق محمد أنيس سمرات، ط١، ١٩٨٧م، دار الحكمة، دمشق.

- الحاتمي، أبوعلي محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي (ت ٣٨٨هـ):
الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو في الحكمة. تقديم وتعليق فؤاد أفرام البستاني، ١٩٢١م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

- ابن حجة الحموي:
خزانة الأدب وغاية الأرب، ١٨٧٤م، مطبعة بولاق، القاهرة.

- الحصري، أبو اسحاق ابراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣هـ):
- جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق محمد البجاوي، ط٢، ١٩٨٧م، دار الجيل، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— زهر الآداب وثمر الألباب ، ضبطه وفصله د . زكي مبارك ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت .

— ابن حمدون ، محمد بن الحسن بن حمدون (ت ٥٦٢هـ) :
التذكرة الحمدونية ، تحقيق د . احسان عباس ، ١٩٨٣م ، معهد الانماء العربي ، بيروت .

— الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) :
— تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ، ١٩٤٩م ، دمشق .
— تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت (دون تاريخ) .

— ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) :
تاريخ ابن خلدون ، المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ١٩٧١م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

— ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) :
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د . احسان عباس ، ١٩٧٠م ، دار الثقافة بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الداية ، أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٤٠هـ) :
  المكافأة وحسن العقبى ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار الكتب العلمية، بيروت ، (دون تاريخ) .

- أبو داوود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) :
  سنن أبي داوود ، ضبطه محيي الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

- ابن درستويه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن المرزبان(ت ٣٤٧هـ) :
  كتاب الكتّاب ، تحقيق ، تحقيق د . ابراهيم السامرائي ، د . عبد الحسين الفتلي ، ط١ ، ١٩٧٧م ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .

- دعبل بن عليّ الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ) :
  - الديوان ، جمع وتحقيق د . محمد يوسف نجم ، ١٩٦٢م ، دار الثقافة ، بيروت .
  - شعر دعبل بن علي الخزاعي ، جمع د . عبد الكريم الأشتر ، ط٢ ، ١٩٨٣م .

- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) :
  سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط ، ط١ ، ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— الراعي النميري (ت ٩٠هـ) :
الديوان ، تحقيق راينهرت فايبرت ، ١٩٨٠م ، بيروت .

— الراغب الاصبهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) :
محاضرات الأدباء ، ومحاورات الشعر والبلغاء ، ١٩٦١م ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

— ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) :
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٣ ، ١٩٦٤م ، مطبعة السعادة ، مصر .

— الرقيق النديم ، أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم (ت ٤٢٥هـ) :
قطب السرور في أوصاف الانبذة والخمور ، تحقيق أحمد الجندي ، ١٩٦٩م ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .

— ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جوريج (ت ٢٨٤هـ) :
الديوان ، تحقيق د . حسين نصار ، ١٩٧٤م ، دار الكتب ، القاهرة .

— الزبير بن بكار ، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ) :
الأخبار الموفقيات ، تحقيق د . سامي مكي العاني ، ١٩٧٢م ، مطبعة العاني ، بغداد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحـــــاق:
مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام هـارون ، ١٩٦٩م ، الكويـــت.

- الزمخشـري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمـــر (ت ٥٣٨هـ) :
ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق د . سليم النعيمي ، ١٩٨٢م ، مطبعـــة العانـي ، بغـــــداد .

- ابن الساعي ، تاج الدين أبو طالب علي بن انجـــب (ت ٦٧٤هـ) :
نساء الخلفاء ، المسمى جمات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، تحقيـــق د . مصطفى جواد ، دار المعارف ، مصـر (دون تاريـــخ) .

- سعيـد بن حميـــد (ت ٢٥٠هـ) :
رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ، جمع وتحقيق يونس السامرائي ، ١٩٧١م ، مطبعـة الارشاد ، بغـــداد .

- سهل بن هـــارون (ت ٢١٥هـ) :
النمر والثعلب ، تحقيق عبد القادر المهيري ، ١٩٧٣م ، الشركة التونسيـــة لفنـــون الرســـم .

- السيوطي ، جلال الدين السيوطـــي (ت٩١١هـ) :
الاشباه والنظائر في النحـــو ، ١٩٧٥م ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، مصـــر.

- الشابشـتي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ) :
الديارات ، تحقيق كوركيس عوّاد ، ط٢ ، ١٩٦٦ ، مطبعة العارف ، بغـــداد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الصابي ، غرس النعمة بن هلال الصابي (ت ٤٨٠ هـ) :
  الهفوات النادرة ، تحقيق د . صالح الأشتر ، ط١ ، ١٩٦٧م ، مجمع اللغة العربية ، دمشق .

- الصابي ، أبو الحسن الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ) :
  - رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، ١٩٦٤م ، مطبعة العاني ، بغداد .
  - الوزراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٥٨م ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ) :
  الوافي بالوفيات ، باعتناء محمد يوسف نجم ، ١٩٧١م ، دار صادر ، بيروت .

- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ) :
  - أخبار الشعراء ، المسمى كتاب الأوراق ، عني بجمعه ج . هيوارث ، القاهرة (دون تاريخ) .
  - أدب الكتّاب ، تصحيح محمد بهجة الأثري ، ومحمود شاكر الألوسي ، ١٣٤١هـ ، المكتبة العربية .
  - ديوان ابن المعتز ، تحقيق د . يونس السامرائي ، ١٩٧٧م ، منشورات وزارة الاعلام .
  - أشعار أولاد الخلفاء ، عني بجمعه ج . هيوارث . د . ت ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، دار المسيرة ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) :
  تاريخ الرسل والملوك ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- ابن الطقطقي ، فخر الدين أبو جعفر بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ) :
  الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ١٩٦٠م ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت .

- ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ) :
- تاريخ بغداد ، عرف الكتاب وصححه محمد زاهد بن حسن الكوثري ، راجع أصوله عزت العطار الحسيني ، ١٩٤٩م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
- المنثور والمنظوم ، القصائد المفردات التي لا مثل لها ، تحقيق د . محسن غيّاض ، ط١ ، ١٩٧٧م ، منشورات عويدات ، بيروت .

- عبد الجبار الهمذاني :
  المنية والأمل ، تحقيق د . عصام الدين محمد علي ، ١٩٨٥م ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .

- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ) :
  العقد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر (دون تاريخ) .

- عبد القاهر الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ) :
  أسرار البلاغة ، تحقيق هلموت ريتر ، ١٩٥٤م ، مطبعة وزارة المعارف ، استانبول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— ابن العبـرى ، غريغوريوس الملطـــي (ت ٦٨٥هـ) :
تاريخ مختصر الدول ، تصحيح الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، ط١ ، ١٩٨٣م ، دار الرائد اللبناني ، بـــيروت .

— العسكـــرى ، أبو أحمد الحسن بن عبد اللـــه (ت بعد ٣٩٥هـ) :
الأوائل ، ط١ ، ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت .
— ديوان المعانـي ، ١٩٧٣م ، مكتبة القدسي ، القاهـــرة .
— الصناعتين ، تحقيق د . مفيد قميحة ، ط١ ، ١٩٨١م ، دار الكتب العلميـــة ، بـــيروت .
— المصون في الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٦٠م ، مطبعة حكومة الكويـــت ، الكويـــت .

— علـي بـن الجهـــم (ت ٢٤٩ هـ) :
الديوان ، تحقيق خليل مردم بك ، ط٢ ، لجنة التراث العربـي ، بـــيروت .

— ابن العماد الحنبلـي ، أبو الفلاح عبد الحـــي (ت ١٠٨٩هـ) :
شذرات الذهب في أخبار من ذهـــب ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، دار المسيرة ، بـــيروت .

— ابن العمرانـي ، محمد بن علي بن محمـــد (ت ٥٨٠هـ) :
الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق د . قاسم السامرائي ، ١٩٧٣م ، دار احيـــاء الكتب العربية ، القاهـــرة .

— أبو الفرج الاصبهاني ، علي بن الحســـين (ت ٣٥٦هـ) :
— أدب الغرباء ، تحقيق د . صلاح الدين المنجد ، ط١ ، ١٩٧٢م ، دار الكتاب الجديد ، بـــيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأغاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (دون تاريخ) مطبعة دار الثقافة، بيروت ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٦٠م .

أبو الفرج النهرواني ، المعافى بن زكريا النهرواني الجريري (ت ٣٩٠هـ) :
الجليس الصالح الكافي ، والأنيس الناصح الشافي ، تحقيق د . محمد مرسي الخولي ، ط١ ، ١٩٨٣م ، عالم الكتب ، بيروت .

القاضي الرشيد ، أبو الحسين أحمد بن الرشيد بن الزبير (ت في القرن الخامس الهجري) :
الذخائر والتحف ، تحقيق د . محمد حميد الله ، قدم له وراجعه د . صلاح الدين المنجد ، ١٩٥٩م ، مطبعة حكومة الكويت .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) :
- أدب الكاتب ، تحقيق محمد الدالي ، ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- تأويل مختلف الحديث ، ١٩٧٢م ، دار الجيل ، بيروت .
- عيون الأخبار ، ط١ ، ١٩٢٨م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ) :
بهجة المجالس وأنس المجالس ، وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط٢ ، ١٩٨٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

القلقشندي ، أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ) :
- صبح الأعشى في صناعة الانشا ، شرح وتعليق يوسف علي طويل ، ط١ ، ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٦٤ ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكـــــر (ت ٧٥٢هـ) :
  أحكام أهل الذمة ، تحقيق د . صبحي الصالح ، ط٢ ، ١٩٨١م ، دار العلـــم للملايـــين ، بـــــيروت .

- القفطـــي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوســـف (ت ٦٤٦هـ) :
  انباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٥٠م ، مطبعـــة دار الكتب المصرية ، القاهـــــرة .

- الكتبـــي ، محمـد بن شاكـــــر (ت ٧٦٤ هـ) :
  فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق د . احسان عباس ، ١٩٧٣م ، دار صـــادر بـــيروت .

- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمـــــر (ت ٧٧٤هـ) :
  البداية والنهاية ، تحقيق د . أحمد أبو ملحم ، د . علي نجيب عطوي ، فـــــؤاد السيد ، ط٣ ، ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بـــــيروت .

- المبـــرد : أبو العباس محمد بن يزيـــــــد (ت ٢٨٥هـ) :
  - البلاغـة ، تحقيق رمضان عبد التواب ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .
  - التعازي والمراثي ، تحقيق محمد الديباجي ، ١٩٧٦م ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق .
  - الفاضل ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ١٩٥٦م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .
  - الكامل ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، ط١ ، ١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (٣ أجـــــزاء) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مجموعة من الأساتذة :
  المعجم الوسيط ، ط٢ ، ١٩٧٣م ، مطابع دار المعارف ، مصر .

- المحاسبي ، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت ٢٤٣هـ) :
  - كتاب التوهم ، عني بنشره ا . ج آربري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (دون تاريخ) .
  - العقل وفهم القرآن ، تحقيق حسين القوتلي ، ط٢ ، ١٩٧٨م ، دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع ، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- محمد بن عبد الملك الزيات :
  الديوان ، نشره د . جميل سعيد ، ١٩٤٩م ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة .

- محمود الورّاق (ت ٢٢٥هـ) :
  الديوان ، تحقيق عدنان راغب العبيدي ، ١٩٦٩م ، مطبعة دار البصري ، بغداد .

- المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ) :
  أمالي المرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط١ ، ١٩٥٤م ، دار احياء الكتب العربية .

- المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ) :
  - معجم الشعراء ، ١٣٥٤هـ ، مكتبة القدس ، القاهرة .
  - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ط٢ ، ١٣٨٥هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها .
  - نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء ، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري ، تحقيق رودلف زلهايم ، ١٩٦٤م ، فرانتس شتاينر بفيسبادن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المسعـــودى ، أبو الحسن علي بن الحســـين (ت ٣٤٦هـ) :
  - التنبيه والاشراف ، ١٩٦٥م ، مكتبة خياط ، بـــيروت .
  - (أ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبـة العصريـــة ، بـيروت (دون تاريـــخ) .
  - (ب) طبعـة دار الأندلس للطباعة والنشـر ، بـــيروت (دون تاريـــخ) .
- مسكويـــه ، أبو علي أحمد بن محمـــد (ت ٤٢١هـ) :
  - تجارب الأمـم ، تصحيح هـ . ف آمد روز ، ١٩١٤م ، مطبعة شركة التمدن الصناعيـة ، مصـــر .
  - الحكمة الخالـــدة ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، دار الأندلـــس للطباعة والنشر والتوزيـــع .
- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن حجـــاج (ت ٢٦١هـ) :
  - صحيح الامام مسلم ، بشرح الامام النووى ، ط٣ ، ١٩٨٤م ، دار احياء الـــتراث العربـي ، بـــيروت .
- ابن المعـتز ، عبد الله بن المعـــتز (ت ٢٩٦هـ) :
  - البديع ، عني بنشره اغناطيوس كراتشقوفسكي ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، دار المسيرة ، بـيروت .
  - الديوان ، صناعة الصولي ، تحقيق د . يونس السامرائي ، ١٩٧٧م ، منشـــورات وزارة الاعـــلام .
  - طبقـات الشعـراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر .
  - فصول التماثيل في تباشير السرور ، ط١ ، ١٩٢٥م ، المطبعة العربية ، مصـــر .
- المقـدسي ، أبو نصر أحمد بن عبد الـــرازق :
  - اللطائف والظرائـف في الأضـداد ، ١٨٧٨م ، المطبعة الوهبية ، القاهـرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر:
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، ١٩٠٦م ، مطبعة بريل ، ليدن .

— المقري ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد :
المختار من نوادر الأخبار ، تحقيق د . أنور أبو سويلم ، ١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

— ابن مماتي ، أسعد أبو المكارم بن مهذب (ت ٦٠٦هـ) :
قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، ١٩٤٣م ، مطبعة مصر .

— ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) :
لسان العرب ، ١٩٥٥م ، بيروت (١٥ جزءً) .

— ابن نباته ، جمال الدين محمد بن محمد (ت ٧٦٨هـ) :
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٨٦م ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

— ابن النديم ، محمد بن اسحاق بن محمد (ت ٤٣٨هـ) :
الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، ١٩٧١م ، مطبعة دانشكاه ، طهران .

— النواجي ، شمس الدين محمد بن الحسن (ت ٨٥٩هـ) :
حلبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات ، ١٨٨١م ، مطبعة ادارة الوطن، القاهرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— أبو نـــواس، الحسن بن هاني' الحكمـــي (ت ١٩٨هـ) :
الديوان ، برواية الصولي ، تحقيق د . بهجت عبد الغفور الحديثي ، ١٩٨٠م ، دار الرسالة للطباعة ، بغـــداد .

— النـــووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شـــرف (ت ٦٧٧هـ) :
رياض الصالحـــين ، دار الفكر ، بـــيروت .

— النويـــري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت ٧٣٣هـ) :
نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافـــة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشـــر .

— ابن وهب ، أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمـان :
البرهان في وجوه البيان ، تحقيق د . أحمد مطلوب ، والدكتورة خديجـــة الحديثـي ، ط١ ، ١٩٦٧م ، مطبعة العاني ، بغـــداد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) :
  - معجم الأدباء ، ط٢ ، ١٩٢٢م ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
  - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ) :
  - تاريخ اليعقوبي ، تحقيق محمد صادق ، ١٩٦٤م ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف .
  - مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، دار الكتاب الجديد ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــع الحديثـــة

- ابراهيم أبو الخشـــب :
  تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثانـي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، احسان عباس ، ملامح يونانية في الأدب العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشـــر ،

- أحمـد أمـــين :
  ضحى الاســلام ، ط٧ ، ١٩٦٤م ، مكتبة النهضة المصريـــة .

- أحمـد زكـي صفـــوت:
  - جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، العصر العباسي الأول ، ط ٢ ، ١٩٦٢م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصـــر .
  - جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، العصر العباسي الأول ، ط ١ ، ١٩٣٧م ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصـــر .

- أحمد فريد رفاعـــي :
  عصر المأمون ، ط١ ، ١٩٢٧م ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهـــرة .

- أحمد بن محمد بن أمبيريـــك:
  صورة بخيـل الجاحظ الفنية من خلال خصائص الأسلوب في كتابه البخـــلاء ، ١٩٨٦م ، الدار التونسية ، القاهـــرة .

- أحمـد محمد الحوفـــي :
  تيارات ثقافية بين العرب والفـرس ، ١٩٦٨م ، دار نهضة مصر للطبع والنشـــر ، القاهـــرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- إيليا حاوى :
فن الخطابة وتطوره عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت .

- جرجي زيدان :
تاريخ آداب اللغة العربية ، تعليق شوقي ضيف ، ١٩٥٧م ، دار الهلال ، القاهرة .

- حسن ابراهيم حسن:
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط١٠ ، ١٩٨٢م ، مكتبة النهضة المصرية .

- حسن السندوبي :
أدب الجاحظ ، ط١ ، ١٩٣١م ، المكتبة التجارية ، مصر .

- خير الدين الزركلي :
الأعلام ، ط٦ ، ١٩٨٤م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

- شوقي ضيف :-
العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، مصر .

- صلاح حسين العبيدى :
الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الثاني ، ١٩٨٠م ، دار الرشيد للنشر .

- طه حسين :
من حديث الشعر والنثر ، ١٩٦٥م ، دار المعارف ، مصر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد الحكيم بلبع :
أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، ١٩٥٩م ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة .

- عبد الرحمن بدوى :
من تاريخ الالحاد في الاسلام ، ط٢ ، ١٩٨٠ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

- عمر الدقاق :
ملامح النثر العباسي ، ١٩٧٤م ، دار القلم العربي ، حلب .

- عيسى العاكوب :
تأثر الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، ط١ ، ١٩٨٩م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق .

- محمد أحمد عبد المولى :
العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي ، ١٩٨٦م ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية .

- محمد بركات أبو علي :
دراسات في البلاغة ، ط١ ، ١٩٨٤م ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان .

- محمد حسين :
الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، مكتبة الآداب ، الجماميز .

- محمد الخضرى بك :
محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية "الدولة العباسية" ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— محمد ضياء الدين الريـــس:
الخراج والنظم المالية للدولة الاسلاميـــة ، ط٢ ، ١٩٦١م ، مكتبة الانجلـــو المصريـــة .

— محمد عبد المنعم خفاجـــي :
ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ط٢ ، ١٩٥٨م ، دار العهـــد الجديد للطباعـــة .

— محمد نبيـــه حجـــاب :
— بلاغة الكتّاب في العصر العباسي ، ط١ ، ١٩٦٥م ، المطبعة الفنية الحديثـــة .
— مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ط١ ، ١٩٦١م ، مكتبة نهضة مصر بالفجالـــة .

— محمـــود الهجرســـي :
محمد بن عبد الملك الزيـــات ، صاحب التنور . المؤسسة المصرية العامـــة للتأليف والنشـــر .

— مصطفى الشكعـــة :
معالم الحضارة الاسلامية ، ط٣ ، ١٩٧٨م ، دار العلم للملايين ، بـــيروت .

— وديعـــة طه النجـــم:
الجاحـــظ والحاضرة العباسيـــة ، ١٩٦٥م ، مطبعة الارشـــاد ، بغـــداد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- يوسف حسين بكار:
اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ١٩٧١م، دار المعارف، مصر.

- يونس أحمد السامرائي:
آل وهب، ط١، ١٩٧٨م، مطبعة المعارف، بغداد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــع المترجمـــــة

- آدم مـــــتز :
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ريـــدة ، ط٤ ، ١٩٦٧ م ، مكتبة الخانجـــي ، القاهرة ، ودار الكتاب العربـــي ، بـــــيروت .

- تشارلـــز ديكنـــز :
قصـة مدينتـين ، ط ٩ ، ١٩٨٢م ، دار العلم للملايـــين .

- رينهارت دوزى :
المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة د .أكرم فاضل ، ١٩٧١م ، دار الحرية للطباعة ، بغـــداد .

- زيغريـــد هونكـــه :
شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ، وكمال دسوقي ، ط١ ، ١٩٦٤م ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشـــر .

- ف بارتولـــد :
تاريخ الحضارة الاسلاميـة ، ترجمة حمزة طاهـــر ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر .

- كـــارل بروكلمـــان :
تاريخ الأدب العربي ، نقله الى العربية د . عبد الحليم النجـار ، دارالمعارف ، مصـــر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- هنري برجسون :
الضحك ، ترجمة سامي الدروبي ، وعبد الله عبد الدائم ، ط ٣ ، ١٩٨٣م ، دار العلم للملايين .

- يوهان فك :
العربية ، ترجمة وتحقيق د . عبد الحليم النجار ، ١٩٥١م ، مطبعة دار الكتاب العربي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق بأسماء بعض الكتّاب الشعراء في القرن الثالث الهجري .

١ . ابراهيم بن عباس الصولي
٢ . ابراهيم بن المدبر
٣ . ابن عروس الكاتب

٤ . ابو علي البصير
٥ . الحسن بن سهل
٦ . الحسن بن وهب
٧ . سعيد بن حميد
٨ . سليمان بن وهب
٩ . سهل بن هارون
١٠ عبدالله بن طاهر
١١ عبدالله بن المعتز
١٢ عبدالله بن محمد بن يزداد
١٣ عبيدالله بن عبدالله بن طاهر
١٤ علي بن عبيدة الريحاني
١٥ علي بن يحيى المنجم
١٦ عمرو بن مسعدة
١٧ عيسى بن فرخانشاه
١٨ الفتح بن خاقان
١٩ القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب
٢٠ محمد بن داود بن الجراح
٢١ محمد بن العباس الجرجرائي
٢٢ محمد بن عبدالله بن طاهر
٢٣ محمد بن عبدالملك الزيات
٢٤ محمد بن الفضل الجرجرائي
٢٥ محمد بن القاسم بن خلاد
٢٦ محمد بن مكرم
٢٧ هارون بن علي المنجم
٢٨ يحيى بن علي المنجم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق بأسماء الوزراء الكتّاب خلال القرن الثالث الهجرى

الرقم	الخليفة	مدة خلافته	الوزير الكاتب
١ .	المأمون	١٩٨هـ - ٢١٨هـ	الفضل بن سهل
٢ .			الحسن بن سهل
			أحمد بن أبي خالد الأحول
			أحمد بن يوسف بن القاسم
			أبو عبّاد ثابت بن يحيى
			عمرو بن مسعدة بن صول
			أبو عبدالله محمد بن يزداد
٢ .	المعتصم	٢١٨هـ - ٢٢٧هـ	أبو العباس الفضل بن مروان
			أبو العباس أحمد بن عمّار بن شاذى البصرى
			أبو جعفر محمد بن عبدالملك الزيات
٣ .	الواثق	٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ	أبو جعفر محمد بن عبدالملك الزيات
٤ .	المتوكل	٢٣٢هـ - ٢٤٨هـ	أبو جعفر محمد بن عبدالملك الزيات
			أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي
			أبو الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان
٥ .	المنتصر بالله	٢٤٧هـ - ٢٤٨هـ	أبو العباس أحمد بن الخصيب
٦ .	المستعين بالله	٢٤٨هـ - ٢٥٢هـ	أبو العباس أحمد بن الخصيب
			أحمد بن صالح بن شيرزاد
			أبو صالح عبدالله بن محمد بن يزداد
			أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	الخليفة	مدة خلافته	الوزير الكاتب
٠٧	المعتز بالله	٢٥٢هـ - ٢٥٥هـ	أبوالفضل جعفر بن محمود الاسكافي أبو موسى عيسى بن فرّخانشاه أبو جعفر أحمد بن اسرائيل
٠٨	المهتدي بالله	٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ	ابوالفضل جعفر بن محمود الاسكافي محمد بن أحمد بن عمّار أبو أيوب سليمان بن وهب عبدالله بن محمد بن يزداد
٠٩	المعتمد	٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ	أبوالحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجراح أبو أيوب سليمان بن وهب أبو الصقر اسماعيل بن بلبل أبو بكر أحمد بن صالح بن شيرزاد القطربلي
١٠	المعتضد بالله	٢٧٩هـ - ٢٨٩هـ	أبوالصقر اسماعيل بن بلبل أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب أبوالحسين القاسم بن عبيدالله بن سليمان
١١	المكتفي بالله	٢٨٩هـ - ٢٩٥هـ	أبوالحسين القاسم بن عبيدالله بن سليمان أبو أحمد العباس بن الحسن الجرجرائي أبوالحسن علي بن محمد بن الفرات
١٢	المقتدر بالله	٢٩٥هـ - ٣١٧هـ	أبوأحمد العباس بن الحسن الجرجرائي أبوالحسن علي بن محمد بن الفرات أبوعلي محمد بن عبيدالله بن يحيى علي بن عيسى بن داود بن الجراح

٣٩٦٧١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

As for style , prose writers in Iraq in that century made use of inherited rhetorical images, new images stemming out from their modern life and made much use of the different figures of speech.

The study also has shown that all writers of that century used artistic expressions, although each of them had his own style and way in his artistic diction :

One natable thing in relation to those writers is that some of them had a prominent role in political, social and literary life. Some of them held the positions of state ministers (Viziers) and army commanders , in addition to acquiring the positions of first secretaries of the state , and of reignly advisors .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

This study shows that the new developments noted in the Iraqi prose in the third Islamic century were reflections of the cultural social and other related developments that took place in Iraq in that century. This was why the texts of that prose varied both in content and style.

The topics of the third century prose in Iraq indeed varied , and the ways and methods adopted in expressing them varied too, if compared with the previous prose texts. Topics that were dealt with only in poetry, were dealt within this century in it, prose-texts . That is why this prose expressed among other things,the sentimental side in human souls , including the sentiment of love, and the subjects usualy linked with poetry, such as laudation, sative , description of-nature and other such subjects. This might be due to the new education of prose-writers which was wider and more extensive than the education of their predecessors.

Prose in this century also depicted public life : Political social,cultural and mental, through it , various and many ramifications. These topics were further enriched by the thoughts and styles of - scholastic philosophers and their idiomatic expressions. Added to this was the extractions from the Qurán , the Prophetic traditions and the inherited Arabic literature : Verse and prose.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit